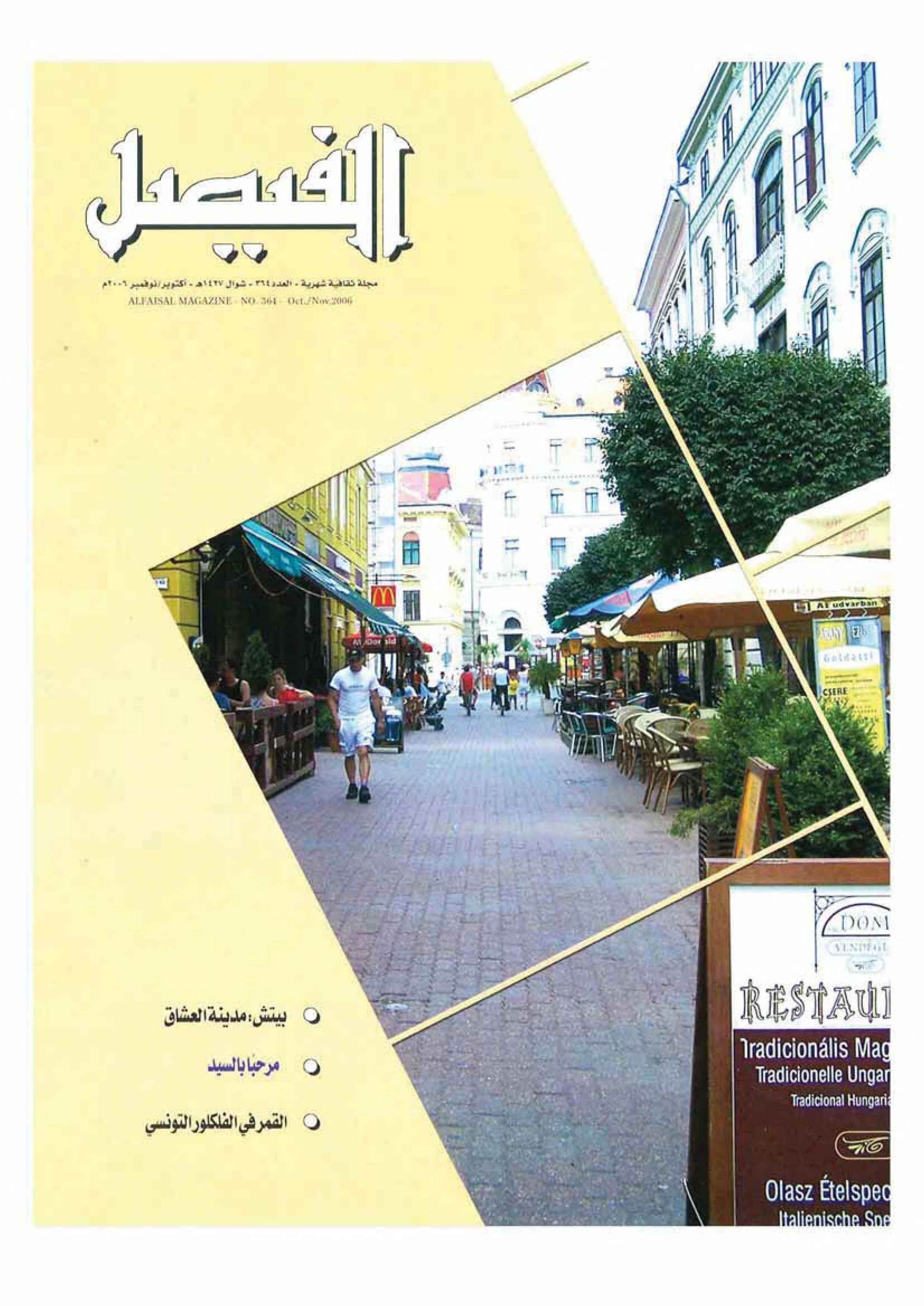
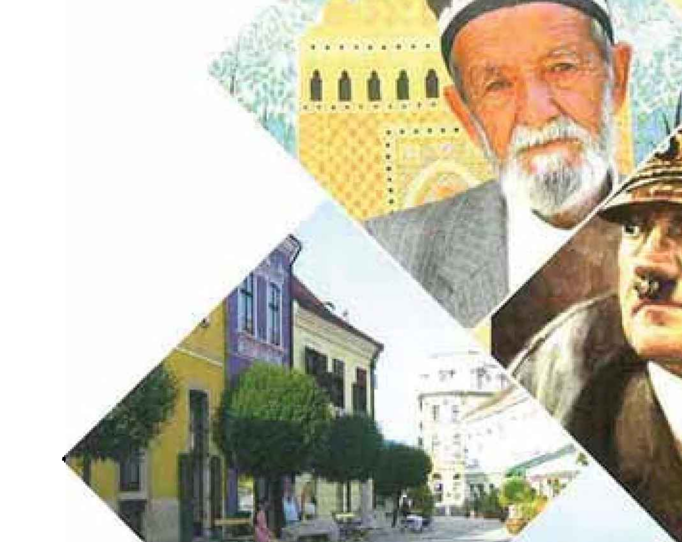


الفيصل
مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٦٤ - شوال ١٤٢٧هـ - أكتوبر/نوفمبر ٢٠٠٦م
ALFAISAL MAGAZINE - NO. 364 - Oct./Nov.2006
بيتش: مدينة العشاق
مرحبًا بالسيد
القمر في الفلكلور التونسي
RESTAU
Tradicionális Mag
Tradicionelle Ungar
Tradicional Hungaria
Olasz Ételspec
Italienische Spe





مجلة ثقافية شهرية . العدد ٣٦٤- شوال ١٤٢٧هـ . أكتوبر/نوفمبر ٢٠٠٦م
ALFAISAL MAGAZINE - No 364 -Oct./Nov 2006

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات»، مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
التثبت من النقول التي تنقل من الكتب ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.
ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في المعاجم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

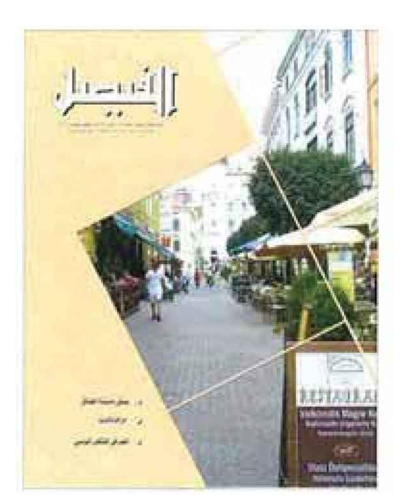
السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . الإمارات ١٠ دراهم . قطر ١٠ ريالات . البحرين دينار واحد . عُمان ريال واحد . الأردن ٧٥٠ فلس . اليمن ١٠٠ ريال . مصر ٤جنيهات . السودان ١٥٠ دينارًا . المغرب ١٠ دراهم . تونس ٢٥٠ ,١دينار . الجزائر ٨٠ دينارًا . العراق ٨٠٠ فلس . سورية ٤٥ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنك . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء، هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ . فاكس ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢ ... سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٤٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٢٢ . ١١، ٩٦٣٠٠ . تونس . الشركة التونسية للصحافة . نهج المغرب . ص.ب ٧١٩، فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ . ٧١ . ٢١٦٠٠ . قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ . فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٩٧٤٠٠ . الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ . ٦ . ٩٦٢٠٠ . البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٧١٢٨١ . ٩٧٣٠٠ . الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ . فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٩٧١٠٠ . الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٩٦٥٠٠ . المغرب . الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ . ٢١٢٠٠ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ . الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ . ٣ . ٩٦٧٠٠ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧







بيتش: مدينة العشاق
تتعايش في مدينة بيتش المجرية آثار من مختلف العصور، منذ العصور الكلتية والرومانية حتى العصر الحديث، وعدتها اليونسكو من التراث الإنساني.
ما تاريخ هذه المدينة؟ وما قصة الأقفال التي ينثرها العاشقون في شارع يانوس بانونيوس؟

إدارة التحرير

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير

حسين حسن حسين
محسن بن حمد الخرابة
نايف بن مارق الضيط
حوى النبي علي صالح

الإخراج الفني:

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ .
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ . ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

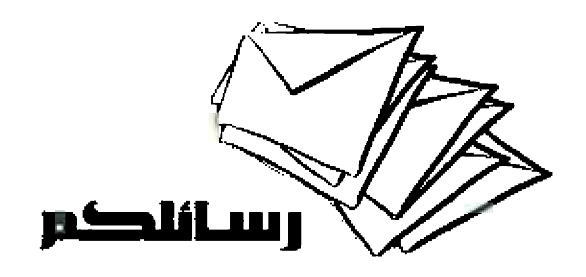
الاشتراك السنوي:

١٥٠ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ . ٠٢٥٨



ملاحظات:

يسعدني أن أرسل تحياتي إليكم، وأود أن أنقل بعض الملاحظات حول مجلة الفيصل:

- بالنسبة إلى مسابقة «الفيصل»، أرجو زيادة عدد الجوائز؛ لكون المجلة مشهورة على مستوى الوطن العربي، والمشاركات في المسابقات كثيرة.

- لماذا لا تصدر مجلة الفيصل نهاية كل سنة، على أقراص مضغوطة sprom؟

- لماذا لا يوجد موقع إلكتروني، أو بريد الكتروني للمجلة؟

- بعض أسئلة المجلة صعبة، أرجو أن تكون سهلة ليتسنّ للجميع المشاركة فيها، فمثلاً: العدد رقم (٣٥٢)، مصطلح (كيوجين) لا يوجد مراجع له إلا عن طريق الإنترنت.

- أقترح أن يكون في كل عدد تنويع لأسئلة المسابقة، فمثلاً: تكون أوائل، أو أواخر، أو مؤلفات كتب، أوالتاريخ السعودي بالنسبة إلى القارئ العربي، أو معارك إسلامية أو دول إسلامية، أو عن الصحابة، أو أسئلة عن الأنبياء، أو الألقاب، أو آيات القرآن الكريم.

وكل الشكر لكم جميعًا

المرسل: رائد أحمد عبدالله الملكاوي

عمان - الأردن

التحرير:

نشكر لك اقتراحاتك، التي ستكون محل النظر والتقويم؛ لما تشتمل عليه من أفكار جيدة، وبخصوص وضع المجلة في أقراص مضغوطة، وإنشاء موقع إلكتروني لها. هاتان فكرتان تعمل المجلة على إحالتهما إلى واقع، وسيكون ذلك في القريب إن شاء الله.

أما أسئلة المسابقة، فهي ستكون جزءًا من تطوير المسابقة شكلاً ومضمونًا.

سياسة فريدة

أرسل رسالتي هذه شاكرًا لكم ما تبذولنه من جهد حثيث، وإخلاص في إصدار مجلتنا الفيصل، في هذه الصورة البهية، فوالله وبلا مجاملة، إنها المجلة الوحيدة من مجلات كثيرة، أواظب عليها، أقرؤها من الجلدة الأولى إلى الجلدة الأخيرة، ودفعة واحدة من دون انقطاع. فلحظة حصولي عليها أتفرغ لها، ومن دون أسباب، واقرؤها دفعة واحدة، فليس الدافع مني، ولكن الدافع طبيعة المجلة التي تجعلني أفعل ذلك. فكما قلت: أتابع كثيرًا من المجلات إلا أن «مجلتنا الفيصل» لها سياسة تختلف عن غيرها من المجلات،

فموضوعاتها متكاملة، تتناول الموضوع من الناحية التاريخية، والتسلسل في الموضوع من القديم إلى الأحدث، وهذا ما يجعلها متفردة في هذا، سواء كانت موضوعات تاريخية، أو أدبية، أو استطلاعية، أو علمية، نجدها لا تحيد عن هذا المنهاج أبدًا وذلك ما جعلها متفردة ومتكاملة.

ولكن لي عتاب على مجلتنا العزيزة، فقد كانت سباقة في منهاج، وتخلت عنه، وتلقفته مجلات كثيرة وكبيرة، كالعربي، وغيرها، وهو: «الملفات» والموضوع الخاص، والموضوعات الاقتصادية المدعمة بالجداول، مثل باب «دائرة المعارف» فهناك أبواب مثله، ولكنها ليست كالفكرة التي كانت عليها مجلتنا العزيزة، ولكن وعلى الرغم من ذلك، فإنها جميلة ومتكاملة، وذات ذوق رفيع لا يجامل فيه أحد.

المرسل نبيل أحمد علي غانم

أبو حماد - الشرقية- مصر

التحرير:

نشكر لك هذه المشاعر الطيبة التي تجعلك مرتبطًا بالمجلة، ومواظبًا عليها، وحريصًا على قراءتها.

ويسعدنا كثيرًا أن تلبي المجلة رغبات قرائها، ويسرنا أكثر تلقي ملاحظاتكم واقتراحاتكم التي تكون عونًا في حركة التجديد والتطوير المستمرة.

ردود سريعة

الأخ محمد أحمد علي - المنوفية - مصر:

المسابقة هدفها دفع القارئ إلى البحث والتنقيب عن المعلومة، والمعلومات التي تقدم يجب ألا تكون جميعها ذات صبغة دينية، أو متعلقة بثقافتنا العربية؛ لأن معرفة ثقافات العالم، وطرائق تفكير الآخرين، من أهداف أي مجلة ثقافية عامة، لذا ليس من العيب أن تكون هناك أمثلة عن معلومات تخص الآخرين وتتعلق بنظامهم، حتى لو اختلفت مع ما نؤمن به؛ لأن معرفة الشيء أفضل من الجهل به. وهذا ما نوضحه أيضًا لأخ لم يكتب اسمه، واعترض على بعض أسئلة المسابقة.

عمار إبراهيم - الدمام - السعودية:

نشكر لك اهتمامك، ويبدو أنك لا تتابع المجلة منذ مدة طويلة، فالأبواب التي تسأل عنها لم تعد موجودة، وإشادتك بالتنويع في المواد محل اعتزازنا، ونأمل أن نكون عند حسن ظن جميع الإخوة القراء.

الأخ عبدالسلام كامل عبدالسلام - أم درمان - السودان:

نشكر لك إهداءك ديوانك الجديد، وسوف يتم التعريف به في القريب متمنين لك مزيدًا من التوفيق.

الأخ سليم عثمان - الدوحة - قطر:

جميل أن تتواصل مع المجلة بعد طول غياب، ونتوقع مشاركاتك التي وعدت بها، شاكرين لك إطراءك وتقديرك للمجلة.



استطلاع

بيتش: مدينة العشاق

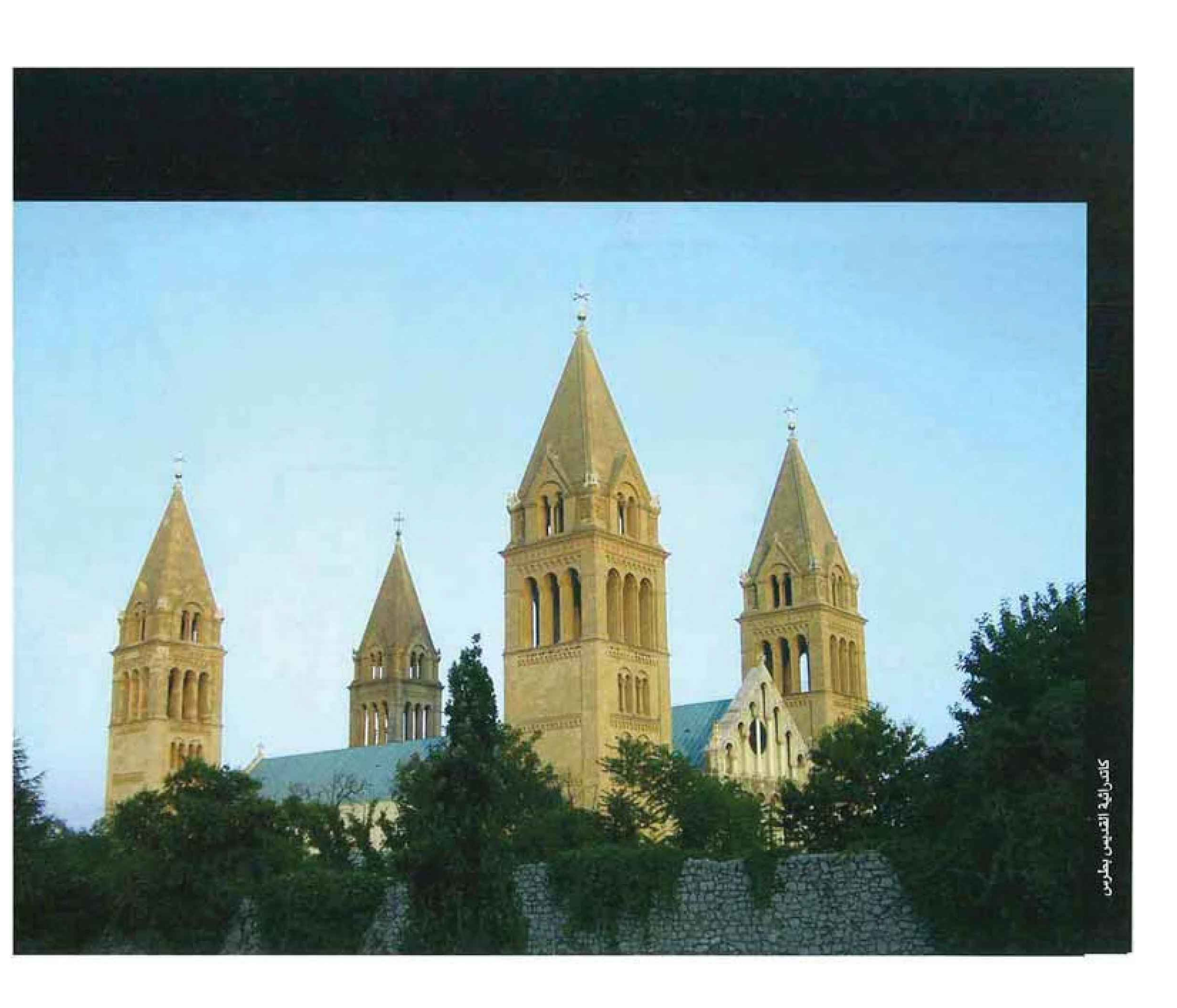
ثائر صالح

بودابست ــ المجر

مدينة بيتش: من أجمل المدن المجرية. وتبعد نحو ٢٠٠ كم. إلى الجنوب من بودابست العاصمة. قريبًا من الحدود المجرية الكرواتية والسلوفينية. والمدينة غنية بتاريخها. وتراثها، وزراعتها، وصناعتها، وثقافتها. جوها معتدل. وموقعها خلاب. إذ تمتد على السفوح الجنوبية لجبال مَتشَك. التي تحميها من الريح الشمالية الباردة. وتمتد جنوبها وشرقها تلال خصبة. ويقع غربها سهل درافا. تقع المدينة على ارتفاع يراوح بين ١٢٠ و٣٨٠ مترًا. فوق سطح البحر.

هذا الموقع جعل المدينة تتمتع بمناخ شبه متوسطي sub-Mediterranean، ولذلك اشتهرت المنطقة بزراعة الكروم، وتثمر فيها الفواكه المتوسطية، مثل: التين، ويزهر الرمان. شتاؤها معتدل، وصيفها حار، وخريفها طويل. معدل درجة الحرارة السنوي فيها ١١ درجة مئوية، ويبلغ معدل الأمطار السنوي نحو ٦٧٠ ملم، وعدد الساعات المشمسة يفوق ٢٠٠٠ ساعة سنويًا.

هذا عن طبيعة المدينة ومحيطها، ولتخيل الحياة في المدينة، نذكر بعض المعطيات الأخرى، التي لها دلالاتها: تعمل في بيتش اليوم خمسة مسارح، ولديها فرقة موسيقية فلهارمونية، واشتهرت فرقتها للباليه على الصعيد العالمي، وتصدر عنها مجلات أدبية رفيعة المستوى، وفيها كثير من المتاحف، يتركز كثير منها في «شارع المتاحف»، ولها جامعاتها العريقة التي يدرس فيها اليوم نحو ٣٠ ألف طالب، بينهم أعداد من الطلبة العرب، وفيها مراكز العلم والأبحاث، وتقام فيها كثير من المهرجانات على امتداد العام. ومن المهرجانات، التي أقيمت هذا الصيف، مهرجان أسابيع المأكولات والفنون، وقد غصت الشوارع بالزوار، وقدّمت فرق


كاتدرائية القديس بطرس

الرقص الشعبي المجري، التي قدمت من داخل المجر وخارجها عروضها الزاهية الممتعة، على مسرح مؤقت أقيم في الساحة المقابلة للكاتدرائية الرئيسة. خلاصة القول: تجمع بيتش بين تراث الماضي – المتمثل في الإرث، الذي يمتد أكثر من ألفي عام –، والإبداع الثقافي المعاصر. وتفتخر بتنوعها الثقافي والاثني، فقد تراكمت فيها الثقافات الشرقية والغربية، الرومانية، والعثمانية التركية، والسلافية، والألمانية، والمجرية، وتفاعلت لتعطي هذا المزيج المتناغم، الذي نسميه اليوم بيتش. كل هذا أسهم في تحول المدينة ومحيطها إلى مقصد سياحي معروف.

وما دمنا ذكرنا السياحة، لا بد من الحديث عن واحد من أغرب المشاهد السياحية في المدينة، حيث نجد في شارع يانوس بانونيوس، سياجًا وضعت عليه آلاف الأقفال، وهي عادة بدأت في خمسينيات القرن العشرين، وأضحت اليوم رمزًا للحب، إذ اعتاد العاشقان، تعليق قفل على السياج وغلقه، ثم رمي المفتاح بصورة مشتركة، بحيث لا يعثر عليه أحد، أملاً في بقاء الحبيبين مجتمعين معًا، وتجنب الانفصال؛ لأن إعادة فتح القفل



شارع محاط بمبان تاريخية

بئر جولناي



تعني ذلك. وأصبح السياج وأقفاله، موقعًا يزوره السيّاح.

ويوجد في المدينة عدد من الفنادق المريحة، والنزل الرخيصة، تلائم كل الأذواق، وتناسب محافظ النقود المختلفة السُمك، إضافة إلى عشرات المطاعم، التي تتباهى بمطابخها المتنوعة، المجرية، والكرواتية، والصربية، والألمانية، وغيرها من مطابخ الأقوام التي تسكن المدينة، وتبرز من بينها مطاعم اللحوم البرية، مثل مطعم الصياد الواقع في طرف المدينة، على الطريق المؤدية إلى بحيرة أورفو الخلابة القريبة، حيث توجد مغارة اشتهرت بأعمدة الكلس الصاعدة والنازلة.

تاريخ المدينة

كانت المدينة مركزًا سكنيًا منذ آلاف السنين، فقد سكنها الإنسان القديم في عصور ما قبل التاريخ، وقد عثر في المغارات القريبة على أدلة لوجود بشري هناك، قبل ٦٠



إلى ٨٠ ألف سنة، كما عثر على آثار منطقة سكنية، أحيطت بتحصينات تعود إلى العصر الحجري الحديث، وكانت مأهولة قبل ستة آلاف سنة خلت. سكنتها في العصور التاريخية أقوام مختلفة، مثل الكلتيين (السلتيين)، قبل أن تصبح جزءًا من الإمبراطورية الرومانية، ومركزًا لولاية رومانية، هي بانونيا فاليريا Pannonia Valeria، وكان اسمها سوبياني Sopianae. حكم الرومان المدينة والمنطقة المعروفة باسم ما وراء الدانوب، أربعة قرون، ونجد اليوم كثيرًا من الآثار التي تعود إلى تلك الفترة، منها كنائس مسيحية ومقابر، وبنيت كاتدرائية المدينة على نمط كنائس تعود إلى تلك الفترة. واشتهرت بيتش - في تلك العصور - بمنتجاتها الزراعية، مثل: الفواكه والكروم، التي صنع منها الرومان الخمر، واستخرجوا من جبالها الصخر للبناء. وعزز من مكانة المدينة وثرائها، مرور أربعة طرق تجارية وعسكرية عليها، بينها طريق الكهرمان الشهير الذي يربط بحر البلطيق بروما؛ عاصمة الدنيا في ذلك الوقت.

ثم احتلتها جحافل الهون في نحو عام ٤٣٣م، تبعهم أقوام كثيرون مثل القوطيين، واللونغوبارديين، والأفاريين. وأشارت وثيقة لأسقف مدينة زالتسبورغ حررت في عام ٨٠٢ م إلى تدشين كنيسة اسمها Quinque Basilicas؛ أي: المدافن الخمسة، وعلى هذا الأساس أصبحت المدينة تعرف باسم Quinque Basilicae، ولاحقًا باسم Quinque Ecclesiae؛ أي: الكنائس الخمس، التي بنيت على أسس مدافن خمسة مسيحيين قتلوا في العهود الوثنية، فعدتهم الكنيسة المسيحية شهداء.

آخر موجة بشرية كبيرة اجتاحت حوض جبال الكاربات، جاءت في السنوات الأخيرة من القرن التاسع الميلادي، عندما قدم تحالف القبائل المجرية من الشرق، ليستقر في المنطقة، وقد وصل المجريون بيتش التي كانت تابعة لإمبراطورية شارلمان في عام ٨٩٩ م تقريبًا. وربما ضم هذا

تجمع بيتش بين تراث الماضي - المتمثل في الإرث، الذي يمتد أكثر من ألفي عام - والإبداع الثقافي المعاصر، وتفتخر بتنوعها الثقافي والاثني. فقد تراكمت فيها الثقافات الشرقية والغربية، الرومانية، والعثمانية التركية، والسلافية، والألمانية، والمجرية



منظر عام للمدينة

التحالف، إلى جانب المجريين، أقوامًا تركية وإيرانية. وتشير الأدلة إلى أن جزءًا ممن جاء مع التحالف، ربما كان يعرف الإسلام، لكن الأغلبية اعتنقت ديانة طبيعية بدائية، ميزت المجريين في أثناء وجودهم في موطنهم الأصلي في أواسط آسيا، حين تجاوروا مع الشعوب التركية والإيرانية. وتعود إلى تلك الفترة الكلمات المجرية المشتركة مع اللغات التركية والإيرانية. وقد تنافست في الماضي نظريتان حول أصل المجريين، تدعم الأولى الأصل التركي ومن بين أهم مؤيديها المستشرق آرمين فامبيري، وبعده المستشرق جولا جرمانوس (المعروف لدى العرب باسم الحاج عبد الكريم جرمانوس، وقد اعتنق الإسلام، وأدى فريضة الحج ثلاث مرات، والتقى الملك عبدالعزيز - رحمه الله)، وترجع الثانية الانتماء إلى

عائلة الشعوب الفنو- أوغورية، التي سادت لاحقًا مع بداية القرن العشرين. فقد اختار المثقفون المجريون الانتماء إلى هذه المجموعة الصغيرة، التي تضم الفنلنديين، وبعض شعوب بحر البلطيق، وقبائل بدائية في سيبيريا وشرق جبال الأورال، على أن ينتموا إلى الشعوب التركية لأسباب سياسية، تتمثل في العداء الأوربي التقليدي للإمبراطورية العثمانية (على الرغم من التحالف الذي قام لاحقًا بين ألمانيا وإمبراطورية النمسا - المجر والعثمانيين في الحرب الأولى). واصبحت نظرية الأصل الفنو - أوغوري النظرية الرسمية المعتمدة لدى أكاديمية العلوم المجرية إلى يومنا هذا، إذ عدّت اللغة المجرية من اللغات الفنو - أوغورية في الأصل، وجاء التأثر باللغات التركية والإيرانية لاحقًا، عندما جاور المجريون هذه الشعوب في أواسط آسيا. أما الأتراك أنفسهم، فهم يصنفون المجريين ضمن الشعوب التركية لأمور لغوية وأنثروبولوجية وثقافية.

نعود إلى مدينة بيتش، فنقول: إن أول ذكر لهذا الاسم في المصادر التاريخية، يرجع إلى عام ١٢٩١م، على هيئة «قلعة بيتش»، وقبلها ذكرت كلمة «طريق بيتش» في وثيقة تعود إلى عام ١٠٩٣م في عهد الملك المجري لاسلو الأول، وبصيغة Pench. وقد اختلف الباحثون في تفسير هذه الكلمة وأصلها. فالرأي الغالب يقول: إنها كلمة صربية - كرواتية تعني فرنًا، أو تنورًا، أو صخرة، بسبب وجود محارق الكلس المستخرج من الجبال المجاورة لصنع الجص. في حين يرى آخرون أن الكلمة تركية الأصل، وتعني - أيضًا - صخرة. لكن الجميع يرى وجود علاقة ما لهذا الاسم بالرقم خمسة، أي: بالاسم القديم للمدينة (الكنائس الخمس)، لكن لم يحصل اتفاق حتى الآن على اللغة التي استنبطت منها هذه الكلمة. واميل إلى أن احتمال وجود أصل إيراني للكلمة هو أمر وارد؛ بسبب وجود كلمات إيرانية الأصل كثيرة في اللغة المجرية، وهذا يستعمل في الأعداد كذلك، مثل رقم مئة (ساز Szaz بالمجرية وتقابل صد الفارسية)، ورقم الف (أزَر ezer بالمجرية من هزار بالفارسية). لذا قد تكون كلمة بيتش مشتقة من الرقم بنج (ويعني خمسة) باللغات الإيرانية. وتعزز هذا الرأي قرابة أسماء بعض أيام الإسبوع في اللغة المجرية إلى الفارسية، التي دخلت من طريق اللغات السلافية مثل يوم الأربعاء (سَرْدا) Szerda، القريب إلى الرقم ثلاثة (سَي)، والخميس (تشُتُرْتُك) Csutortok القريب إلى الرقم أربعة (جهار) والجمعة (بَينْتَك) Péntek القريب إلى الرقم خمسة (بنج).

وكان البابا سيلفتر قد منح الملك المجري إشتفان (سطيفان) التاج، عندما اعتنق المسيحية عام ١٠٠٠ للميلاد، وقد حكم إشتفان بين عامي ٩٩٧ و١٠٣٨م، وفرض إشتفان اعتناق المسيحية على المجريين، الذين كانوا يدينون بديانة وثنية بدائية، تعد من الديانات الطبيعية، كما ذكرنا، وقد قابل زعماء القبائل ذلك بمعارضة شديدة قمعت بالقوة. وكان هذا نصرًا للبابوية التي نجحت في «ترويض» الوثنيين المجريين الذين ما لبثوا يهددون الممالك الأوربية بغاراتهم، وبالمقابل عنى ذلك احتواء هذا الشعب

حصلت بيتش على لقب العاصمة الثقافية الأوربية لعام ٢٠١٠م، وستبدأ المدينة بالتهيئة لذلك العام بشكل تدريجي. فقد خصص عام ٢٠٠٦م عامًا للإرث الثقافي. وعام ٢٠٠٧م للتعليم والمعرفة، وعام ٢٠٠٨م لثقافة البيئة والحياة الصحية، وعام ٢٠٠٩م للثقافة الدينية احتفالاً بالذكرى الألفية لقيام أسقفية بيتش

الآسيوي الشرقي ضمن النظام السياسي الأوربي.

في عـام ١٠٠٩م بدأ تنظيم البـلاد على أسـاس الأسقفيات، بعد قمع تمرد القائد آيتون، وحددت مدينة بيتش مركزًا لواحدة من هذه الأسقفيات، تمتد حدودها حتى الدانوب شرقاً، وبحيرة البالاتون شمالاً. وكان لذلك تأثيره في نشوء المدارس والجامعات، فقد برزت الحاجة إلى تعليم رجال الدين اللغة اللاتينية، وعلم اللاهوت باللغة اللاتينية، وبدأت حركة استنساخ الكتب الدينية بالدرجة الأولى، وتدل القرائن على أن بناء كاتدرائية المدينة قد بدأ في تلك الأيام، على أسس معابد قديمة تعود إلى القرن الرابع الميلادي.

ولا يعرف حجم الدمار الذي لحق بمدينة بيتش عند اجتياح التتار حوض الكاربات في عام ١٢٤٢م، ومطاردتهم

آخر موجة بشرية كبيرة اجتاحت حوض جبال الكاربات، جاءت في السنوات الأخيرة من القرن التاسع الميلادي، عندما قدم تحالف القبائل المجرية من الشرق، ليستقر في المنطقة. وقد وصل المجريون بيتش التي كانت تابعة لإمبراطورية شارلمان في عام ٨٩٩ م تقريبًا

من حركة الحياة في بيتش





قلعة بارياكان



مركز الاحتفالات بجوار القلعة

الملك المجري بيلا الرابع حتى البحر الأدرياتي. وقد كان النصف الثاني من القرن الثالث عشر مضطرباً، قبل أن تأتي فترة من الازدهار في القرن التالي. وقد شيدت أول جامعة في المدينة عام ١٣٦٧م – وهي أول جامعة في المجر أيضًا – بأمر من الملك لايوش (لويس) الأول، وافتتحت في مدينة بيتش أول مكتبة عامة في المجر عام ١٤٤٠م وبفضل هذا النشاط الثقافي أضحت بيتش مركزاً من مراكز الثقافة والعلم في وسط أوربا خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر. وبرز اسم الكاتب والشاعر يانوس يانونيوس – أسقف بيتش بين عامي ١٤٥٩ و١٤٧٢م، واسمه الأصلي يانوش تشزميتسي – بين مفكري عصر النهضة الذين تميزوا بفكرهم الإنساني. عاش يانونيوس في عهد الملك المجري الشهير ماتياش، الذي تميز برعاية الفنون والعلوم والآداب، فأصبح بلاطه واحدًا من أشهر بلاطات أوربا في عصر النهضة. وفي تلك الفترة – أيضًا – شيد السكان المتحدرون من أصل فرنسي وبلجيكي (فالّون) كنيسة القديس برتلان، الواقعة في ساحة سيتشيني اليوم، التي هدّمها الأتراك لاحقًا؛ لبناء جامع الغازي قاسم باشا، إذ كانت قائمة في ثلاثينيات القرن الرابع عشر.

بيتش في ظل الحكم العثماني

اندفعت الجيوش العثمانية بعد احتلالها البلقان وبلغاريا، نحو المجر ووسط أوربا. وعانى الجيش المجري والجيوش الأوربية المحاربة معه من هزيمة ساحقة، في معركة موهاتش، عصر يوم ٢٩ أغسطس/ آب عام ١٥٢٦م، وتقع موهاتش على الدانوب قريبًا من مدينة بيتش، واشترك في المعركة عدد من نبلاء مدينة بيتش وأسقفها، وسقط أكثرهم في ساحة القتال. وتألف جيش السلطان سليمان الثاني من ٥٠ ألف محارب، بينهم ٢٠ الف انكشاري، مجهز تجهيزًا جيدًا، و٣٠ الف فارس مسلح تسليحاً خفيفاً مع مدفعية قليلة العدد. أما الجيش المجري فبلغ تعداده ٢٥ ألف مقاتل، جلّه من القوّاسين، وتألف سلاح الخيالة من الفرسان المثقلين بالدروع، ومن فرسان خفيفين. وكانت معركة موهاتش، آخر معركة استعمل فيها سلاح الفرسان المثقل بالدروع في التاريخ العسكري الأوربي، فقد ثبت عجزه أمام مناورات الفرسان الأتراك الخفيفين. ولم تدم المعركة أكثر من ساعتين، فقد فيها الجيش المجري نحو ألف من النبلاء، وعشرة آلاف من المشاة، وأربعة آلاف فارس.

بعد ورود أخبار الهزيمة هرب رجالات بيتش حاملين معهم ما تمكنوا من ثروة وكنوز مملوكة من قبل الأسقفية.

غير أن السلطان سليمان الثاني لم يغادر معسكره عدة أيام بعد المعركة، ولم يتوجه نحو بيتش؛ بل انطلق نحو العاصمة بودا التي دخلها من دون مقاومة في ١١ سبتمبر/ أيلول، لكنه غادرها بعد أن أضرم النار فيها، في حين هاجمت مجموعات من الجنود العثمانيين بيتش التي بقيت من دون دفاعات، فسلّم السكان المدينة التي استباحها الجنود الذين نهبوها، وقتلوا من تبقى فيها، وأحرقوها قبل انسحابهم.

احتل سليمان قلعة بودا في ٢٩ أغسطس/ آب عام ١٥٤١م لتبقى هذه المرة تحت الحكم العثماني إلى عام ١٦٨٦م، وكان يرغب في احتلال بيتش قبل الشتاء؛ ليؤمن خطوط مواصلات جيشه، غير أنه أخفق في ذلك، ولم يتمكن من احتلالها إلا في يونيو/ حزيران عام ١٥٤٣م، عندما دخل قاسم بك وقواته المدينة. وقد لقب قاسم باشا فيما بعد بالغازي؛ لغزوه بيتش. ألحقت المدينة بسنجق موهاتش في البداية، ثم أصبحت مركزًا لسنجق كانيجا، بعد احتلال قلعة كانيجا في عام ١٦٠٠م. ويذكر أن نسبة كبيرة من وحدات الجيش العثماني، التي رابطت في هذه الأصقاع، تألفت من أبناء الشعوب التي أخضعها العثمانيون، مثل السلاف الجنوبيين (كالبوشناق، أي: البوسنيين)، والأكراد، وغيرهم. ولا تزال بعض العوائل المجرية تحمل لقب كردي حتى اليوم، وهناك اسم شاهين بين أسماء العوائل المجرية، وهناك منطقة قريبة إلى بيتش تسمى غابة الباشا الكردي، وفيها قبره. كما جاء إلى المدينة للسكن مسلمون من البوشناق، واشتهروا بصناعة الجلود، ووصلت بضاعتهم الفاخرة إلى ألمانيا غربًا، والأستانة في الشرق.

يصف المؤرخ التركي جلال زاده مصطفى مدينة بيتش على النحو الآتي: «.. وتعد قلعة بيتشوي «تسمية بيتش في المصادر التركية» من بين أهم قلاع هذه المنطقة، فقد بنيت وسط سهل واسع، وهي مدينة قديمة وكبيرة؛ كأنها الجنة، تحيط بها الحدائق وبساتين الأزهار؛ وكل منظر من مناظرها يصلح ليكون صورة للجنة..».

أما الرحالة التركي الشهير أوليا جلبي، فيصف أبنية المدينة في السطور الآتية: «يوجد حمام نظيف وجميل مقابل محراب جامع قاسم باشا، على الجانب الآخر من الطريق إلى اليسار، ذاع صيته في كل مكان؛ فماؤه وهواؤه وبنايته كلها لطيفة. منزع الحمام واسع، وفوقه قبة، يتوسطه حوض

تعود معظم بنايات المدينة إلى القرن الثامن عشر، وبذلك يغلب عليها طراز عصر الباروك، الذي كان سائدًا حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وبلغ الإعمار ذروته في ثمانينيات القرن الثامن عشر

بعض القطع الفنية في متحف جولتاي





متحف فازارلي

من رخام أبيض اللون، لا يمكن وصفه لجماله... وفي وسط الحوض توجد نافورة كأسها برونزية، تلتمع كالذهب، تتسع لخمسة عشر رجلاً. ويصب في الكأس ماء الحياة، الذي ينبثق من أفواه اثني عشر تمثالاً على هيئة تنانين. هذه الكأس الفنية، جعلها صانعها الماهر تستند إلى رؤوس ثلاثة ثيران برونزية، ودروع ثلاث سلاحف برونزية، فتستوقف عقل المشاهد، ويحار لمرآها». ثم يصف السوق، التي كانت تقع في شارع كوشوت، وساحة سيتشيني، وفيها أربعمئة دكان، وتوجد فيها بضائع الهند واليمن. ومن المعروف أن أوليا جلبي تجول في الأراضي المجرية التي خضعت للسلطان نحو عامين، من عام ١٦٦٠ إلى عام ١٦٦٢م، ووصف أحوال مدن المجر في ذلك الوقت، وتعد كتاباته من بين أهم المصادر التاريخية عن أحوال تلك الأراضي آنئذ.

نعمت المدينة باستقرار وسلام داما نصف قرن، حتى اندلعت حرب الخمسة عشر عامًا (بين عامي١٥٩١ و١٦٠٦م). فقد مارست جماعات الجنود المجريين الفقراء عمليات السطو في مناطق واسعة، وكذلك الوحدات العسكرية التركية السائبة. ويصف مؤرخ من أهالي بيتش هو إبراهيم بيتشوي الحال في عام ١٥٩٤م فيقول: «وحتى أنا في بيتي الفقير في بيتش آخذ إلى النوم عند حلول الظلام، وأنا قابض على السيف وأحتضن بندقيتي».

وكان عام ١٦٦٤م من أسوأ السنوات، عندما وصلت قوات ميكلوش زريني المؤلفة من الألمان، والمجريين، والكروات إلى المدينة فنهبتها، وأعملت السيف في سكانها، لكنها لم

تتمكن من القلعة، وقبل انسحاب زريني بعد نحو عشرة أيام، أحرق جيشه المدينة كلها. بعد هذا توالت المصائب على المدينة، حتى عند تحريرها من الحكم العثماني، فقد انسحب الجيش التركي إلى القلعة بعد أن أضرم النار في المدينة، غير أن الحامية اضطرت إلى الاستسلام في ٢٢ أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٦٨٦م بعد قطع الماء عن القلعة.

تحررت المجر كلها من سيطرة العثمانيين، لكنها لم تستعد استقلالها؛ بل أصبحت محتلة وخاضعة للقيصر النمساوي من آل هابسبورغ. وثار المجريون عدة مرات للاستقلال، باءت كلها بالفشل، كانت آخرها حرب عام ١٨٤٨ - ١٨٤٩م التحررية. وبعدها توصل النبلاء المجريون إلى اتفاق مع البلاط النمساوي في عام ١٨٦٧م حصلت فيه المجر على صلاحيات واسعة، وأعلن عن قيام إمبراطورية النمسا - المجر. وقد دامت السيطرة النمساوية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

وبعد الحروب ضرب الطاعون، المدينة مرتين، في تسعينيات القرن السابع عشر. ثم حرب التحرير المجرية التي قادها راكوتسي ضد حكم هابسبورغ النمساوي، لكن المدينة لم تتحول إلى جانب راكوتسي، (وكان سكانها خليطًا من المجريين، والألمان، والسلاف الجنوبيين)، الذي نهبت قواته في عام ١٧٠٤م المدينة لثلاثة أيام، وقتلت نحو ٧٠٠ شخص. لكن المصائب لم تنته عند هذا الحد، إذ قام الجانب الآخر (المتألف من خليط الغوغاء من سكان القرى الصربية المحيطة) بفظائع فاقت الفظائع التي اقترفها الأسبقون. كل هذا حول المدينة، التي كانت مزدهرة في القرون الوسطى، وفي فترة الحكم العثماني إلى أطلال، وأقفرت من سكانها. وفي القرن الثامن عشر استقدمت أعداد كبيرة من الألمان والصرب لإسكانها في المدينة وما حولها، وقد حافظت بيتش على تنوعها السكاني هذا، حتى في الفترات اللاحقة إلى اليوم.



مسرح بيتش

بيتش في العصر الحديث

بدأت المدينة بالتعافي في أوائل القرن الثامن عشر، وعاد الثراء يميز هذه المدينة الغنية بخاماتها وزراعتها، وظهرت الصناعة لاحقًا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ بفضل استخراج الفحم الأسود من مناجمها، ومدت شبكات السكك الحديدية، وظهرت بعض المعامل، مثل معمل جولناي للسيراميك، الذي اشتهرت منتجاته على صعيد عالمي، وشيدت معامل للجلود، والسباكة، والسكر، والجعة، ثم أنشئت محطة للطاقة الكهربائية. كل ذلك ترافق مع عودة



مواصلات غير تقليدية في المدينة

الحياة الجامعية إلى المدينة، حيث كانت فيها ثلاث جامعات، ومعهد للتربية (معهد إعداد المعلمين)، وانتشرت المرافق الثقافية، مثل: المتاحف، والمسرح، والمكتبات.

تعود معظم بنايات المدينة إلى القرن الثامن عشر، وبذلك يغلب عليها طراز عصر الباروك، الذي كان سائدًا حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر. وبلغ الإعمار ذروته في ثمانينيات القرن الثامن عشر، ففي ذلك الوقت بدأ تحطيم أجزاء من سور المدينة، واستخدمت الأراضي القريبة من السور للبناء.

أهم معالم المدينة

تتعايش في المدينة آثار من مختلف العصور، منذ العصور الكلتية والرومانية حتى العصر الحديث. إذ تتميز المدينة منذ القدم بتنوعها السكاني حيث اجتذبت كثيرًا من الأقوام؛ بسبب مناخها المعتدل وغناها. وإذا تتبعنا معالم المدينة حسب التسلسل التاريخي، فسنبدأ من منطقة الكاتدرائية، حيث عثر على عدد من القبور والصوامع المسيحية، التي تعود إلى أواخر القرن الرابع الميلادي في العهود الرومانية، وقد رسمت على جدرانها مناظر من وحي قصص العهدين

القديم والجديد، مثل النبي نوح وفلكه، وإلقاء النبي يونس في اليم. وقد صنفت منظمة اليونسكو هذه الآثار في عداد ما يجب حمايته من التراث الإنساني في عام ٢٠٠٠م.

بدأ بناء الكاتدرائية الرئيسة (كاتدرائية القديس بطرس) في عام ١٠٤٠م في منطقة غنية بالآثار الرومانية. وبعد الاكتساح المغولي (التتاري) في عام ١٢٤٢م، ومن ثم الحريق الذي التهم الأجزاء الخشبية المتبقية من الكنيسة في عام ١٢٩٩م، أعيد بناؤها تمامًا في الثلث الأول من القرن الرابع عشر، وقد أنجز البناء، ورسمت الجداريات في عام ١٣٤٥م، وفي عام ١٥٤٣م حول الأتراك العثمانيون الجزء الغربي منها إلى جامع في البداية (هو جامع السلطان سليمان)، ثم استخدمت البناية مدرسة ومخزن أسلحة ومخزن حبوب فيما بعد، في زمن أوليا جلبي. وقد حافظ العثمانيون على البناية، حتى إن أحمد أغا البلغرادي رممها، وأصلح برجها الجنوبي الغربي، بعد أن أصابته صاعقة في عام ١٩٣١م. وبعد تحرير المدينة، رممت الكنيسة في بداية القرن الثامن عشر، ثم في سبعينيات القرن التاسع عشر، حينما جرت تقوية الهيكل الداخلي. غير أن ترميمات عام ١٨٨٢م دمرت كثيرًا من آثار القرون الوسطى الثمينة، مثل: الأبواب، والشبابيك، والجداريات. وتعد الكاتدرائية - اليوم - من أهم التحف المعمارية في المجر، وأغناها في تنوع أنماط بنائها وتحفها الفنية: التي تعود إلى مختلف العصور على امتداد ألف عام.

تتميز الكاتدرائية بموقعها الرائع على قمة تلة صغيرة، وتسامي أربعة أبراج ارتفاعها ٦٠ مترًا في زواياها. ويبلغ طول الكاتدرائية نحو ٧٠م وعرضها ٢٢ مترًا. وتشتهر كذلك كنيستها التحتانية (وتقع تحت أرضية الكاتدرائية)، التي بنيت في القرن الحادي عشر، طولها ٢٥ مترًا وعرضها ٢١ مترًا.

بنى العثمانيون خلال حكمهم الجوامع، والمدارس، والحمامات، والتكايا، وقد حولوا بعض الكنائس إلى مساجد، في حين قاموا بهدم كنيسة القديس برتلان في مركز المدينة (ساحة سيتشيني اليوم، أو ساحة السوق كما كانت تعرف في القرون السابقة)؛ ليستعملوا مواد البناء لتشييد جامع، هو



محطة القطار



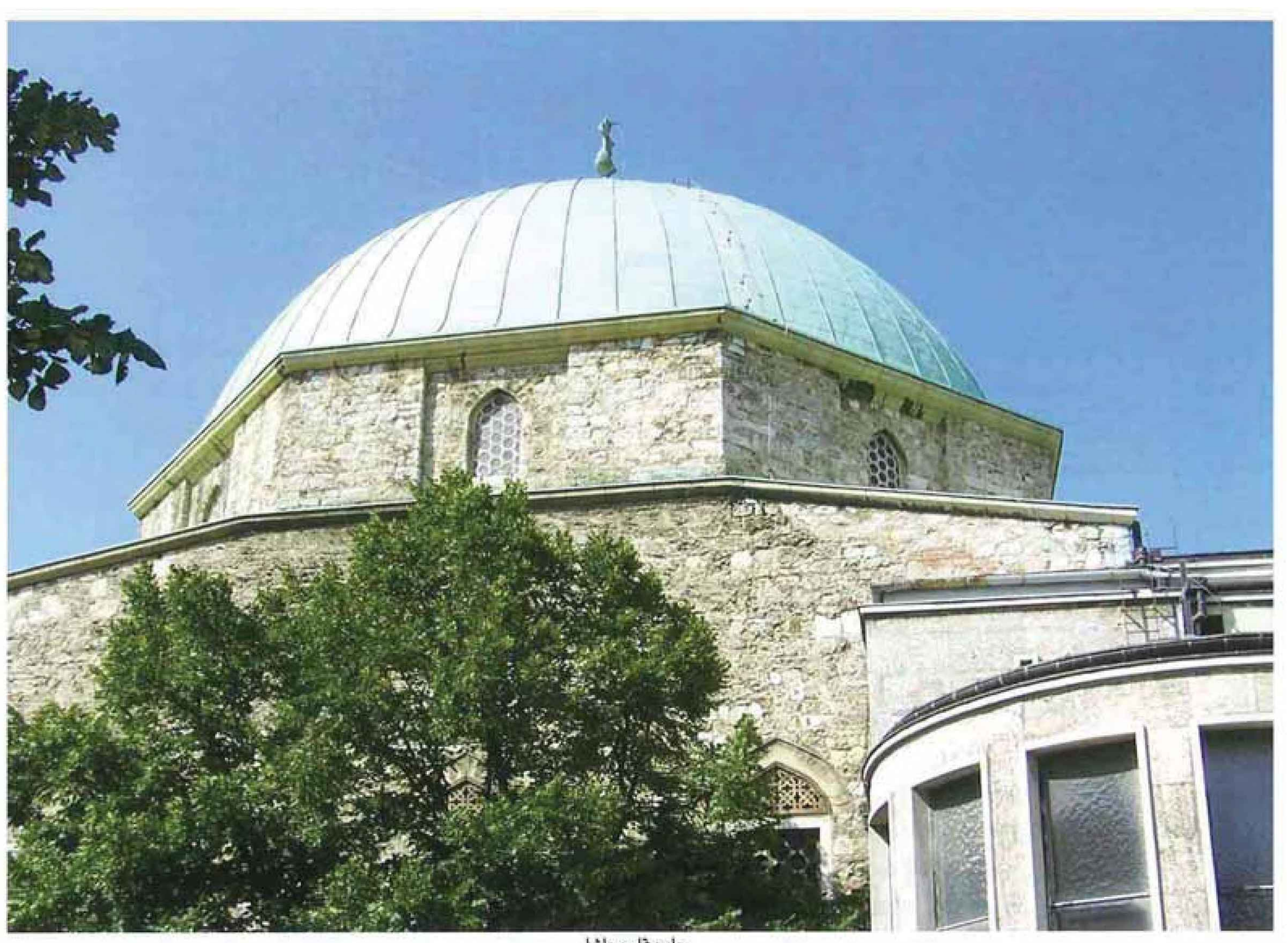
أقفال العاشقين

جامع قاسم باشا الموجود حالياً، وكنيسة القديس برتلان في الأصل، كانت بحجم الكاتدرائية الرئيسة، وقد بنيت على انقاض معبد روماني، وقد عثر على آثار تعود إلى عام ٢٤٠م، كما عثر على ستة عشر قبرًا رومانيًا تحت أرضية الجامع. والبناء مربع الأبعاد طول ضلعه ٢٨ مترًا، وقطر قبته ١٨ مترًا، شبهها أوليا جلبي بقبة جامع السلطان سليم في إستانبول. عن الجامع هذا يقول: «جامع غازي قاسم باشا، جميل جدًا، لذلك يؤمه كثير من الناس. طوله وعرضه مئة خطوة، منبره، ومحرابه، ومحفل مؤذنه، وكرسيه المرصع بالأحجار الكريمة، صنعت بطريقة فنية يعجز عنها الوصف بالكلمات. قبته مدورة ومرتفعة.. جميلة وكبيرة تشبه قبة جامع السلطان سليم في إستانبول؛ لأن هذه أيضًا شيدت فوق بنيان مربع...» وبعد استعادة المدينة في عام ١٦٨٦م جرى الحفاظ على الجامع، بعد أن حول إلى كنيسة منحت للآباء اليسوعيين، وقد هُدّ الجزء العلوي من المنارة الملحقة بالجامع في عام ١٧٥٣م، وهدم الجزء الباقي في عام ١٧٦٦م، غير أن قاعدة المنارة لا تزال مرئية اليوم. جرى ترميم الجامع في الأعوام ١٩٣٩ و١٩٤٢م ثم في عام ١٩٥٩م، ولم تنفذ خطط بناء منارتين للجامع، بسبب الحرب العالمية الثانية. ولاتزال جدران الجامع تحتفظ ببعض الكتابات الأصلية، نتبين في إحداها لفظ الجلالة، واسم الرسول الكريم ﷺ. والجامع اليوم هو الكنيسة الكاثوليكية لمركز المدينة وأحد أهم معالم بيتش التاريخية والسياحية، ورمزها الذي اشتهرت به.

ضريح إدريس بابا: بني في عام ١٥٩١م من الحجر الكلسي، وهو ثُماني الأضلاع، قطره ستة أمتار، وارتفاعه ثمانية أمتار ونصف المتر، وفوقه قبة على الطراز التركي. نجد على الجدران الداخلية كتابات تركية تعود إلى بداية القرن السابع عشر. جرى ترميم الضريح في عام ١٩١٢ و١٩١٣م، وفي عام ١٩٦١م أنجزت فيه تنقيبات عثر خلالها على رفات الدرويش. وقد ذكره إبراهيم بيتشوي، وأوليا جلبي كذلك.

جامع حسن يعقوب علي (ويلفظ بالمجرية ياكوفالي): ويقع في منطقة المستشفى، بني في النصف الثاني من القرن السادس عشر. وهو من أشهر الآثار العثمانية في المجر، وأفضلها حفظًا. فهو - بمنارته الرشيقة الجميلة - الجامع الوحيد الذي بقي على حاله في المجر. وتخطيط الجامع مربع الأبعاد، وتستند القبة على أساس ثماني الأضلاع. وكان للجامع مدخل فيه ثلاثة أقواس، وفوقه قبب صغيرة، ويقع الممر المؤدي إلى المنارة على يمين المدخل. رممته السلطات الأثرية في فترة الحكم الاشتراكي عام ١٩٦١م، وقد حول إلى متحف للتراث الإسلامي والعثماني في المدينة، وافتتح عام ١٩٧٥م، ويضم المتحف عددًا من المحفوظات، التي تعود إلى فترة الحكم العثماني، قدمت بعضها الحكومة التركية هدية، مثل: المنبر، والكرسي، وبعض السجاد الثمين. وجامع حسن يعقوب علي، مفتوح أمام المسلمين لتأدية الصلاة فيه، وتقام فيه صلاة الجمعة، والأعياد، ويؤمه المصلون في شهر رمضان الكريم على وجه الخصوص. وفي الأصل كان للجامع مدرسة ملحقة به، ووجدت قربه تكية مولوية (نسبة إلى جلال الدين الرومي، الذي أطلق عليه اتباعه لقب مولانا، وهو شاعر ومتصوف، ومؤسس الطريقة المولوية، التي انتشرت في

نعمت مدينة بيتش باستقرار وسلام داما نصف قرن، حتى اندلعت حرب الخمسة عشر عامًا (بين عامي ١٥٩١ و١٦٠٦م). فقد مارست جماعات الجنود المجريين الفقراء عمليات السطو في مناطق واسعة، وكذلك الوحدات العسكرية التركية السائبة.


جامع قاسم باشا

أراضي الإمبراطورية العثمانية، وتركت لنا تراثًا رائعًا، من شعر صوفي، وموسيقا دينية صافية، وأناشيد مؤثرة). يقول أوليا جلبي عن هذه التكية: إنه لم ير في بلاد الروم، والعرب، والعجم، مثيلاً لها في جمالها. ولا يعرف وقت دمار التكية والمدرسة، فقد حصل ذلك مبكرًا في حصار عام ١٦٨٦م، أو لاحقًا عند بناء المستشفى في عام ١٧١٤م.

التكيــة: وتقع في وادٍ مــرتفع يطل على المدينة، وهي في الأصل قصر أسقف بيتش جورج ستماري عام (١٥٠٥-١٥٢١م) الذي بني في هذه المنطقة الرائعة الجمال على طراز عصر النهضة، وقد حول الأتراك القصر إلى تكية للطريقة البكداشية. وقد هُجرت البناية في أواخر القرن الثامن عشر، وتحولت إلى خربة. وتقام بين أطلال التكية اليوم أماس ثقافية، مثل: تقديم العروض المسرحية، أو الموسيقية، وشيد مسرح ومدرج للمشاهدين مؤقتين لهذا الغرض. والمنطقة كلها تسمى اليوم بالتكية Tettye، ويوجد قرب التكية عدد من الفنادق والمطاعم، وهو مكان مفضل للسفرات والتنزه.

بارباكان: وهي قلعة مدورة في سور المدينة بنيت في القرن الخامس عشر (ربما في عام ١٤٩٨م)، وقد أحاطت بها البيوت القديمة حتى ستينيات القرن الماضي، عندما هدمت المنازل المتداعية، ونظمت المنطقة المحيطة بهذه القلعة المدورة. وأصبحت هذه المنطقة – اليوم –

مركزًا تقام فيه الاحتفالات، وتقدم العروض الموسيقية، ويقع بالقرب منها قصر الأسقف.

اطلال حمام مَمي باشا: ويقع قرب جامع حسن يعقوب علي، وقد رممت أطلاله والجدران المتبقية منه في عام ١٩٧٧م، امتدحه أوليا جلبي في كتبه، واستحسن خدماته.

أول ذكر لهذا الاسم في المصادر التاريخية يرجع إلى عام ١٢٩١م، على هيئة "قلعة بيتش"، وقبلها ذكرت كلمة "طريق بيتش" في وثيقة تعود إلى عام ١٠٩٣م في عهد الملك المجري لاسلو الأول، وبصيغة Peuch. وقد اختلف الباحثون في تفسير هذه الكلمة وأصلها

سور المدينة

ويمكن رؤية أجزاء كثيرة منه باقية إلى اليوم. وتشتهر كذلك بنايتا بلدية المحافظة وبلدية المدينة بجمالهما، والبنايتان تقعان على ساحة سيتشيني، حيث يوجد جامع قاسم باشا. وفي الساحة نفسها يوجد بالقرب من مبنى بلدية المدينة ما يسمى بيئر جولناي، وهو تمثال صنع في معمل جولناي من الخزف المزجج الملون بالأيوسين الأخضر، يصب الماء من أفواه أربعة ثيران أسطورية في حوض يحيط به، وكان هدية من صاحب معمل جولناي للمدينة.

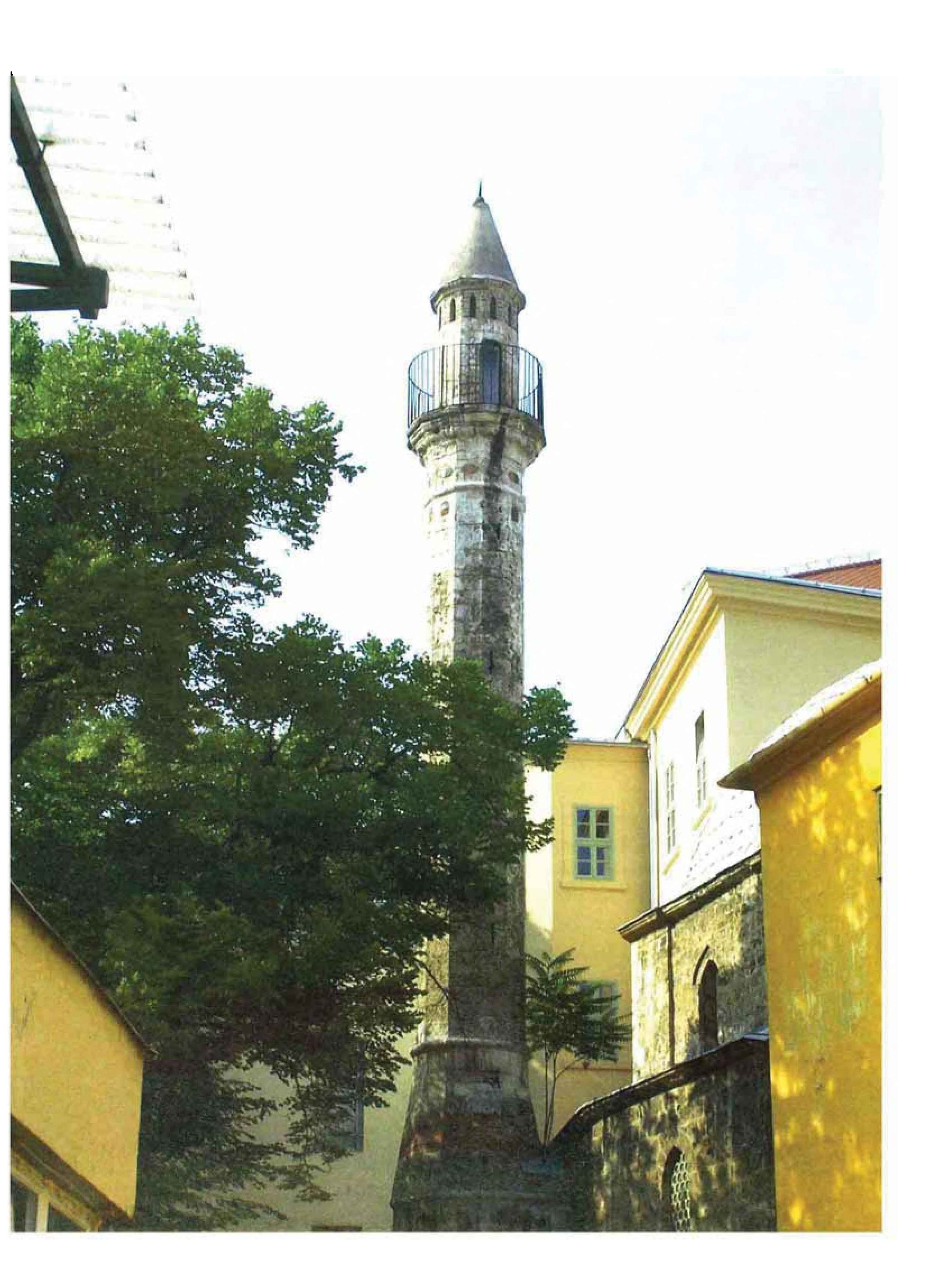
المتاحف

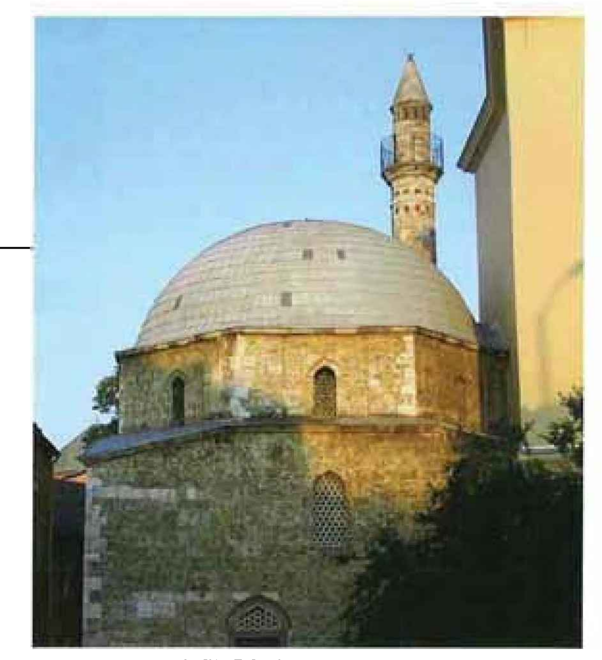
تعج المدينة بمختلف أنواع المتاحف، لدرجة تسترعي الانتباه، فهناك المتاحف الأثرية القديمة، ومتاحف الفن التشكيلي والصناعي، ومتحف التاريخ الطبيعي، والتراث الشعبي، ومتحف تاريخ الجامعات، وغيرها كثير مما يصعب حصره. ويتبع عدد من المتاحف: متحف يانوس بانونيوس، بصفته متحف بيتش الرئيس. وهذا استعراض سريع لبعض المتاحف المهمة:

متحف تشونتفاري: وهو مخصص للرسام المجري الموهوب تيفادار كوستكا تشونتفاري (١٨٥٣-١٩١٩م) الذي عرف بتصوير مناظر من أوربا (على الخصوص البلقان) والعالم العربي، ومن أشهر لوحاته «بعلبك» و«زيارة شجرة الأرز» و«الأرزة الوحيدة» التي رسمها في لبنان، و«بئر مريم في الناصرة» و«منظر على البحر الميت» في فلسطين، كما اشتهرت لوحته «جسر موستار المتيق» كثيرًا، وهو الجسر الذي تدمر في الحرب البوسنية وأعيد بناؤه أخيرًا.

متحف جولناي: تأسس معمل جولناي للسيراميك في عام ١٨٥٣م على يد ميكلوش جولناي، لكنه لم يكن أكثر من ورشة صغيرة متواضعة لصنع الخزفيات، ثم أداره بعد عام ١٨٦٥م فيلموش جولناي الذي طور الورشة، وحصل على شهرة عالمية في معرض فيينا الدولي عام ١٨٧٣م، وبالدرجة الأولى في معرض باريس الدولي في عام ١٨٧٨م، ثم جاءت الدفعة الثانية من السمعة الدولية بعد استعمال المعمل التقنية المعروفة باسم «يوسين» Eusin التي ابتكرها عالمان كيماويان مجريان في بداية تسعينيات القرن التاسع عشر، ولا تزال القطع الفنية التي صنعها المعمل في تلك الفترة، تباع في أكبر المزادات العالمية، وبأسعار باهظة. أسست عائلة جولناي المتحف في عام ١٩٢٨م بمناسبة الذكرى المئوية لولادة فيلموش جولناي، وانتقل إلى ملكية متحف بيتش (متحف يانوس بانونيوس) في عام ١٩٤٨م، ويضم آلاف القطع الفنية الثمينة، وكثيرًا من الوثائق التاريخية، والصور المتعلقة بالمعمل، وعائلة جولناي الشهيرة. وهناك معرض آخر - لكنه صغير - يعرض بعض قطع جولناي الفنية يستضيفه متحف الفنون التشكيلية الواقع في شارع المتاحف.

متحف فازارلي: ولد فكتور فازارلي (فاشارهيي في الأصل





جامع حسن يعقوب علي (ياكوفالي)

باللغة المجرية) عام ١٩٠٦م في مدينة بيتش، وأصبح رسامًا تشكيليًا شهيرًا على صعيد عالمي، بعد هجرته إلى فرنسا في عام ١٩٣٠م، ومن أشهر لوحاته «حمار الوحش» التي رسمها في عام ١٩٣٨م. تميز باستعماله الأشكال الهندسية، والمؤثرات البصرية، وطور تقنيته في رسم اللوحات بالأبيض والأسود. افتتح المعرض في عام ١٩٧٦م، ويضم المتحف كذلك لوحات لأشهر الرسامين العالميين المعروفين، الذين يمثلون الفن التشكيلي في النصف الثاني من القرن العشرين. وتحتفل المدينة هذا العام بالذكرى المئوية لولادة الفنان.

بيتش العاصمة الثقافية الأوربية لعام ٢٠١٠م

ختاماً نذكر أن بيتش حصلت على لقب العاصمة الثقافية الأوربية لعام ٢٠١٠م إلى جانب مدينة أسن الألمانية، (وإستانبول في تركيا المرشحة للانضمام إلى الاتحاد الأوربي)، وستبدأ المدينة بالتهيئة لذلك العام بشكل تدريجي، فقد خصص عام ٢٠٠٦م عامًا للإرث الثقافي، وفيه يكتمل برنامجها المتعلق بالحفاظ على الإرث الإنساني، الذي أعلنته منظمة اليونسكو في عام ٢٠٠٠م، وعام ٢٠٠٧م للتعليم والمعرفة، وعام ٢٠٠٨م لثقافة البيئة والحياة الصحية، وعام ٢٠٠٩م للثقافة الدينية احتفالاً بالذكرى الألفية لقيام أسقفية بيتش. وينعكس في برنامج هذا العام التنوع الديني، فمع الأغلبية الكاثوليكية التي تسكن بيتش، هناك اهتمام بالطوائف المسيحية الأخرى، مثل: الإنجيلية، والصربية الأرثوذكسية، ويوجد فيها جامع حسن يعقوب علي التاريخي، الذي يؤدي فيه مسلمو المدينة صلواتهم. ثم تأتي الذروة عام ٢٠١٠م لتقام المهرجانات والمؤتمرات العلمية والثقافية والاحتفالات المختلفة. ويتضمن برنامج التحضير، تخصيص مبلغ ٤٤ مليار فورنت (الدولار يعادل أكثر من ٢١٠ فورنت بقليل) لتطوير المدينة، منها نحو ١١ مليار، لإعمار أجزاء من منطقة معمل جولناي، وتحويله إلى حي ثقافي، وتخصيص مبلغ ٨ مليارات من الفورنتات؛ لبناء قاعة موسيقا ومركز مؤتمرات، ونحو خمسة مليارات؛ لبناء مكتبة ومركز معلومات في المنطقة الواقعة بين حي جولناي الثقافي، ومركز المدينة، إلى جانب تخصيص أكثر من سبعة مليارات؛ لإعمار ساحات ومتنزهات المدينة.

ولتطوير البنية التحتية، وتشجيع السياحة، افتتح في ٢٦ مارس/ آذار الماضي مطار بيتش - بوغان القريب، الذي يبعد ٦ كلم عن مركز مدينة بيتش، وشغّلت الخطوط النمساوية على الفور خطًا جويًا مباشرًا بين العاصمة فيينا ومدينة بيتش؛ لنقل المسافرين بمعدل أربع رحلات أسبوعياً في الوقت الحاضر، وتخطط الشركة لزيادة عدد الرحلات لاحقًا. بذلك غدا من الممكن الذهاب إلى مدينة بيتش مباشرة، عبر فيينا من أي مكان في العالم، يرتبط بالعاصمة النمساوية بخط جوي، تؤمن ذلك رحلات جوية إلى ١٢٠ مدينة. كما يأمل المسؤولون في المطار تنظيم شركات السياحة الأوربية رحلات خاصة (تشارتر)؛ لنقل المسافرين من بعض المدن الأوربية وإليها. من جانب آخر وعدت الحكومة المجرية بإنجاز بناء الطريق الخارجي السريع رقم ستة M6 الذي يربط مدينة بيتش بشبكة الخطوط السريعة الوطنية في حدود عام ٢٠٠٨م.



الجامعة الإسلامية
الفكرة والدافع

عبدالرزاق إبراهيم عيسى
المدينة المنورة - السعودية

في القرن الماضي، مرت البلاد الإسلامية بكثير من المحن الناجمة من ضعف الدولة العثمانية، التي لم تعد دولة الإسلام الكبرى القادرة على حماية المسلمين من الجيوش الأوربية الطامعة فيها - كما كان سابقًا - بل أصبحت غير قادرة حتى على حماية نفسها من توغل دولة أوربية، إلا بتدخل دولة أوربية أخرى.

من هنا شعر الإنسان العربي بالعجز أمام هذه القوى، التي كانت في نظره - حتى ذلك الوقت - قوى صليبية، وساعد على هذا التفكير الروح الدينية السائدة في هذه الفترة عمومًا، سواء في الشرق، أو الغرب على حد سواء، فمثلاً: عندما كانت الدولة العثمانية تحارب روسيا، كانت الإمدادات تنهال عليها من البلاد الإسلامية لنصرة الإسلام وخليفة المسلمين، بينما يعلن المسيحيون من رعايا الدولة أنهم لن يقاتلوا أي مسيحي آخر.

وتأكد العجز العثماني حينما استولت إنجلترا على مسقط عام ١٨٠٠م، وعلى معظم مشيخات الخليج العربي بين عامي (١٨٠٠م و ١٨٨٣م)، واستولت على مصر عام ١٨٨٢م، أما فرنسا فقد احتلت الجزائر عام ١٨٣٠م، وتونس عام ١٨٨١م، ولبنان في عام ١٩١٨م، أثار هذا العجز العثماني الإنسان المسلم، الذي حاول الإجابة عن السؤال الذي كان يؤرقه، وهو: كيف يمكن للبلاد الإسلامية مقاومة الأخطار الخارجية المحدقة بها؟



دعوة الأفغاني

من هنا بدأت بعض الأفكار، التي تتحدث عن أشكال مقاومة الاستعمار الأوربي والنهوض بالمسلمين، وذلك عن طريق الدعوة إلى إقامة حكومات إسلامية مستقلة، يرتبط بعضها ببعض في شبه اتحاد، وأن تعطي هذه الحكومات الشعوب الإسلامية حريتها في الرأي والقول، وإقامة الدساتير التي تحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم. وكانت هذه الفكرة هي إرهاصات فكرة الجامعة الإسلامية، التي ارتبطت في أساسها بشخص واحد هو جمال الدين الأفغاني (١٨٣٩م - ١٨٩٧م)، ذلك المصلح الذي طاف ببعض البلاد الإسلامية، وبعض الدول الأوربية، فرأى مدى الفارق بين التأخر في الشرق والتقدم الأوربي.

عمل الأفغاني على دعوة المسلمين لفهم دينهم فهمًا صحيحًا؛ لأنهم لو عاشوا وفقًا لتعاليمه؛ لغدت بلادهم قوية وقادرة على مكافحة الاستعمار الغربي. فقد رأى الأفغاني أن الاستعمار الغربي ركز في العالم

الإسلامي، وهاجم القيم والمعتقدات. كما شهدت هذه الفترة نشاطًا كبيرًا للمستشرقين والمبشرين الأوربيين. وهذا ما جعل هذه الفترة في شبه صراع بين الإسلام والمسيحية. وحاول بعض المفكرين الأوربيين إلصاق تهم التخلف بالإسلام، وجعله المسؤول عما وصل إليه المسلمون من جمود وضعف.

كانت هذه هي الأرضية التي ظهر فيها الأفغاني، الذي بدأ يعمل للدعوة إلى الجامعة الإسلامية لوحدة المسلمين، وشجعه على ذلك إدراكه التام أن المسلمين قوة ترهب، إذا أحلوا التفاهم محل الخلاف، وبخاصة أن الخلافات في فروع، وليست في أصول، فعليهم أن يتركوا ما يختلفون فيه، إلى ما يتفقون عليه. وكان الأفغاني يقول: «قد خصصت دماغي لتشخيص دائه، فوجدت أقتل أدوائه ما يعترض في سبيل توحيد الكلمة فيه داء انقسام أهله، وتشتت آرائهم، واختلافهم على الاتحاد، واتحادهم على الاختلاف، فقد اتفقوا على ألا يتفقوا»، ومع ذلك كان يقول: إن عناصر القوة والاتحاد أكثر من عناصر الفرقة. ولم تكن دعوة الأفغاني للجامعة الإسلامية تلتمس أن يكون مالك الأمر في الجميع شخصًا واحدًا، فإن هذا ربما كان أمرًا عسيرًا، ولكنه كان يهدف إلى أن يكون سلطان الجميع القرآن، ووجهة وحدتهم الدين، وكل ذي ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع؛ لأن بقاءه مرتبط ببقائه.



عبدالرحمن الكواكبي

وعندما نحاول القراءة فيما كتب الأفغاني حول هذا الموضوع، نجد أن دعوته إلى الجامعة الإسلامية كان أساسها الدين، فهو يقول في العروة الوثقى: «إن الأصول الدينية الحقة المبرأة من محدثات البدع تنشئ للأمم قوة الاتحاد، وائتلاف الشمل، وتفضيل الشرف على لذة الحياة، إن حركتنا الدينية بالدعوة

كان الأفغاني يؤمن بالجامعة الإسلامية بوصفها عملاً فكريًا سياسيًا، واسع المدى، يهدف إلى جمع كلمة العالم الإسلامي، وتحريره من الحكام والأمراء المستبدين، الذين يحولون دون الالتقاء في الوحدة. فهو - هنا - يؤمن بأن الحكم الاوتقراطي في الشخص لا يمكن أن يشكل محورًا للوحدة

إلى القرآن كناية عن الاهتمام بقلع ما رسخ في عقول العوام، ومعظم الخواص، من فهم بعض العقائد الدينية على غير وجهها، مثل حملهم نصوص «القضاء والقدر» على معنى يوجب عليهم الا يتحركوا إلى طلب مجد، أو تخلص من ذل، فلابد إذًا من بعث القرآن، وبعث تعاليمه الصحيحة».

وفى هذا الإطار كان يقول: «كل رابطة سوى رابطة الشريعة الحقة، فهي ممقوتة على لسان الشارع، والمعتمد عليها مذموم، والمتعصب بها ملوم، هذا ما أرشدتنا إليه سير المسلمين من يوم نشأة دينهم إلى الآن، لا يعتدون برابطة الشعوب وعصبيات

السلطان عبدالحميد كان يحتضن الدعوة في إطار احتضانه الأفغاني، ومشروع الجامعة الإسلامية، وكان يهدف من وراء احتضانه هذه الدعوة: استخدامها وسيلة لكبح جماح الدول الأوربية، التي كانت تحكم رعايا مسلمين

الأجناس، وإنما ينظرون إلى رابطة الدين».

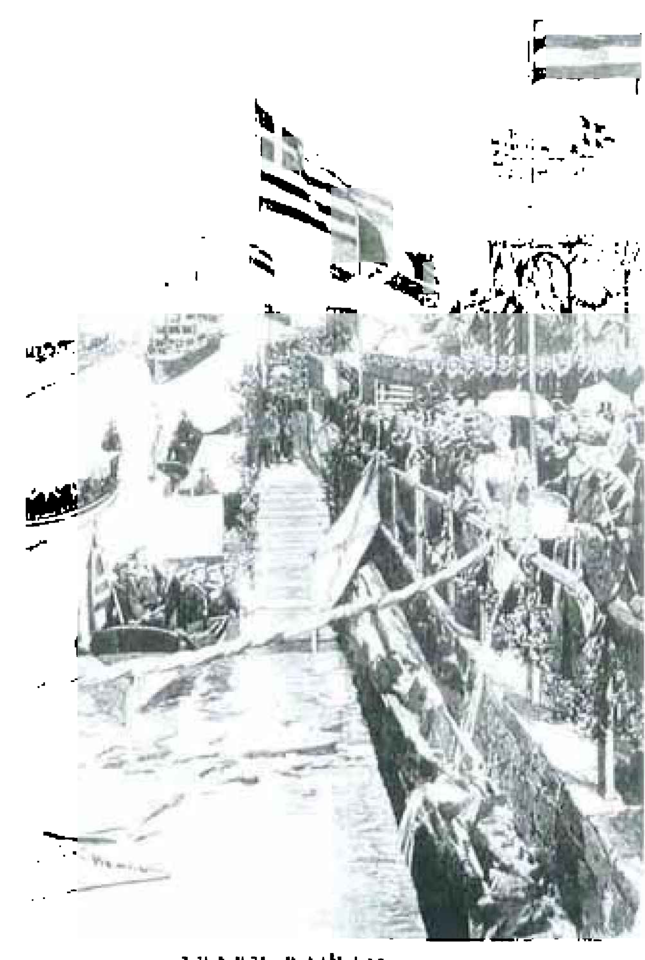
وفى مقال آخر نجد الأفغاني يرمي من يحاولون التعصب، للجنس من المسلمين بالغفلة، وبأنهم أبواق للمستعمر، الذي يعمل على توهين العصبية الدينية؛ ليقطع الرابطة التي تجمع بين شعوبها.

وهنا نجد الأفغاني قد أدرك ان الغاية من أعمال الإنسان، ليست عبادة الله فقط، بل - أيضًا - خلق مدنية إنسانية مزدهرة، وهو ما يمكن أن نقول عنه: مدنية الإسلام. ودفع الأفغاني لذلك ما كان يؤمن به، من أن العالم الغربي على اختلاف أممه وشعوبه متحدة جميعها على ذل الإسلام والمسلمين، كلما أمكن لهم ذلك، وكان دواؤه الناجع هو الوحدة الإسلامية، في صورة جامعة البلاد الإسلامية. واعتمد الأفغاني في دعوته على إثارة الوعي وإيقاظه عن طريق الخطب والمقالات، وإلهاب حماس الناس الديني.

دعم السلطان عبد الحميد

ولقد تلقف السلطان عبدالحميد دعوة الأفغاني إلى الجامعة الإسلامية، وحاول استغلالها لمصلحة الدولة، وذلك بجعل السلطنة والخلافة شيئًا واحدًا، والتمسك بانه الخليفة للعالم الإسلامي كله، وليس سلطانًا للدولة العثمانية وحدها. واستقدم جمال الدين إلى الآستانة؛ وذلك في محاولة خادعة لاستغلال الدعوة الجديدة، واعدًا إياه بتنفيذ آرائه لإصلاح العالم الإسلامي. وكان الأفغاني يرى في عبدالحميد أنه ربما يحقق خيرًا لهذه الدعوة.

وفى إطار دعوة الأفغاني إلى الجامعة الإسلامية، كان يدعو - أيضًا - إلى إزالة الفوارق بين المسلمين - الشيعة والسنة - بحيث تشمل الجامعة الإسلامية العالم الشيعي بجانب السني، ووضع الأفغاني خطة



رسم متخيل لأفول الدولة العثمانية

الأفغاني، ومشروع الجامعة الإسلامية، وكان يهدف من وراء احتضانه هذه الدعوة: استخدامها وسيلة لكبح جماح الدول الأوروبية؛ التي كانت تحكم رعايا مسلمين، سواء من الروس في القوقاز، أو في شمال إفريقية، الخاضعين لفرنسا، ومسلمي الهند، ومصر، الخاضعين للإنجليز، وكان يهدف - أيضًا - إلى تعزيز الشعور بالولاء لدى الشعوب الإسلامية؛ التي كان ولاؤها عرضة للتزعزع نتيجة للتدخل الأوربي السافر في شؤون الدولة العثمانية، وأرسل عبدالحميد دعاته إلى العالم الإسلامي؛ لبث فكرة الجامعة الإسلامية بين المسلمين، وأن يكون السلطان هو خليفة المسلمين الذي تشرئب إليه الأعناق، من جميع بلدان العالم الإسلامي، بوصفه حامي حمى الإسلام والمسلمين، وأطلق السلطان عبدالحميد صيحة: «يا مسلمي العالم اتحدوا» وكان تبني السلطان عبدالحميد هذه الدعوة ناتجًا من ضعف الدولة إزاء مهاجمة الدول الأوربية، فأراد أن يستخدم هذه الدعوة سلاحًا لإرهاب الدول الغربية الطامعة في الدولة العثمانية.

بينما كان الأفغاني يؤمن بالجامعة الإسلامية بوصفها عملاً فكريًا سياسيًا، واسع المدى، يهدف لأن تعترف بلاد الفرس بالسلطان خليفة، على أن يعترف السلطان بالشاه، ويتنازل له عن المدن المقدسة في العراق، وأن ينعقد مؤتمر في الأستانة من الزعماء المسلمين؛ لمناقشة كل القضايا التي تهم الفريقين، ولإعلان العدوان ضد العدو الغربي. مع أن هذه الخطة لم تر النور، إلا أن السلطان عبدالحميد كان يحتضن هذه الدعوة في إطار احتضانه

عبدالرحمن الكواكبي أقوى من عبّر عن فكرة الجامعة الإسلامية، من بين المفكرين المسلمين، بعد وفاة الأفغاني. ففي كتابه "أم القرى" يقنن فكرة الجامعة الإسلامية؛ وذلك بعد أن درس أسباب تخلف المسلمين، وحددها؛ تمهيدًا لوصف الدواء لها

إلى جمع كلمة العالم الإسلامي، وتحريره من الحكام والأمراء المستبدين، الذين يحولون دون الالتقاء في الوحدة. فهو - هنا - يؤمن بأن الحكم الاوتقراطي في الشخص لا يمكن أن يشكل محورًا للوحدة. ومن هنا كان الاختلاف بين الأفغاني والسلطان عبدالحميد، الذي عاد ووصف السلطان بأنه: «سل

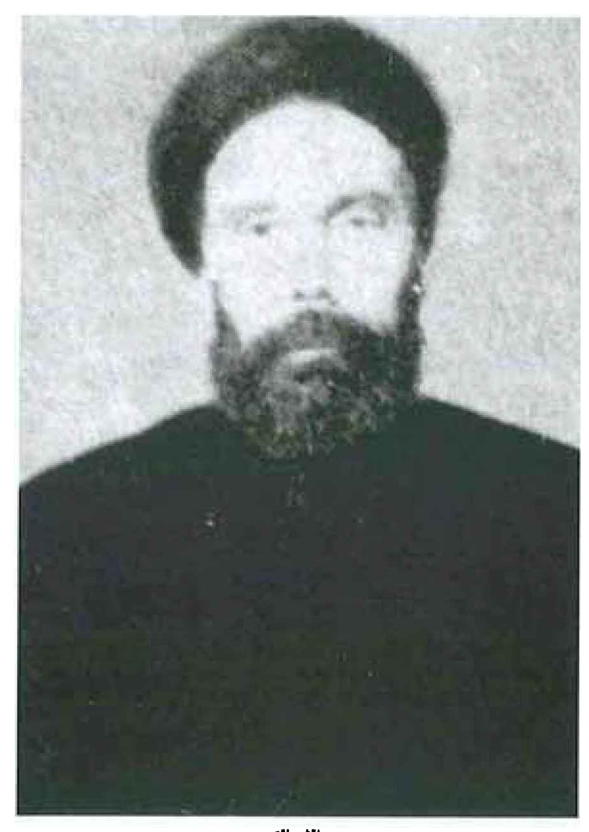
السلطان عبدالحميد الثاني



في رئة الدولة» ولكن الأفغاني كان يأمل في أن يستطيع الأتراك تحقيق الدعوة إلى الجامعة الإسلامية، ولكن بشرط، لو انصف الأتراك انفسهم لاستعربوا، وتراسوا ذلك الملك، وعدلوا في أهله.

كانت هذه هي بذرة الدعوة إلى الجامعة الإسلامية، التي دعا إليها الأفغاني، والتي وجدت أصداء واسعة بين مفكري العالم الإسلامي في ذلك الحين، منهم شكيب أرسلان، وذلك منذ التقى الأفغاني في عام ١٨٩٢م، في إستانبول. ومنهم عبدالله النديم: الذي دعا على صفحات جريدته «الأستاذ» إلى الوحدة للجامعة الإسلامية، ولكن بالالتفاف حول الدولة العثمانية، بوصفها الدولة الإسلامية الوحيدة بين الدول الأوربية؛ التي تسعى إلى القضاء عليها؛ لأن فيه قضاء على الإسلام.

ولم يكن النديم يرى مانعًا من قيام جامعتين: «إسلامية» و«قومية»، الأولى: بين المسلمين، والثانية: بين أبناء الوطن الواحد. وكان رفيق الـ[illegible] ام «١٨٦٧م - ١٩٢٥م» يدعو إلى الجامعة الإسلامية في الإطار العثماني، ويطلق عليها الجامعة العثمانية. كما يبدو ان دعوة السلطان عبدالحميد قد آتت أكلها، حيث يذكر د. محمد حسين في كتابه القيم، عن الاتجاهات الوطنية في الأدب الحديث: أنه ليس بين الشعراء المعاصرين وقتذاك - على اختلافهم، وتباين نزعاتهم - من يخلو ديوانه من شعر في مدح الخليفة العثماني، والإشادة بفضله على المسلمين، وهم يرون أنه الجامع لشمل المسلمين، كما يبدو أن دعوة الأفغاني قد آتت أكلها - ايضًا - فظهرت في إندونسيا في حركة التجديد (المنار)، وظهرت في الهند (جماعة أهل الحديث)، وفي ندوة العلماء بين عامي (١٨٥٤م و ١٩٢٠م).



عبدالله النديم

تقنين الكواكبي

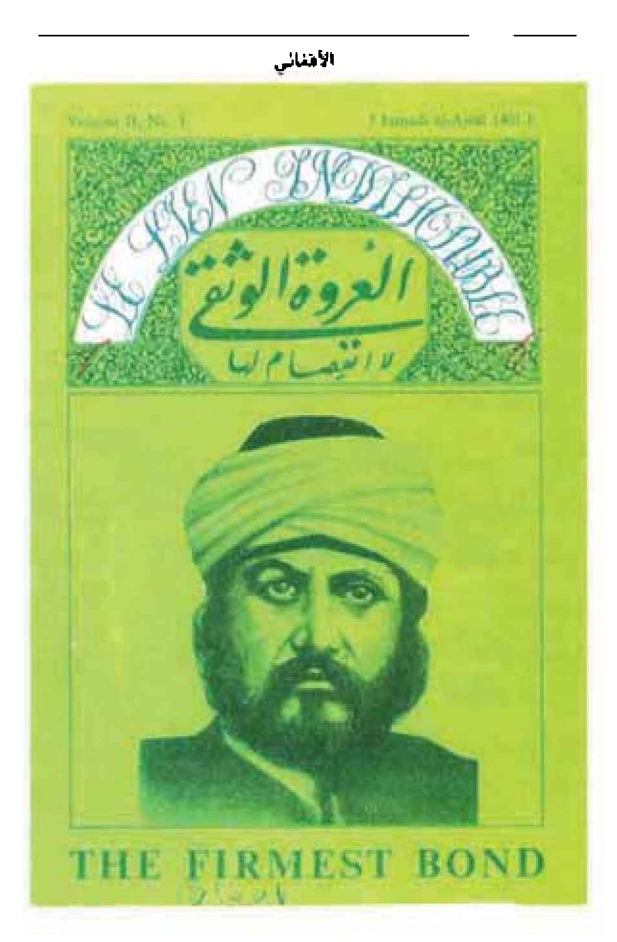
يعد عبدالرحمن الكواكبي أقوى من عبّر عن فكرة الجامعة الإسلامية، من بين المفكرين المسلمين، بعد وفاة الأفغاني. ففي كتابه «أم القرى» يقنن فكرة الجامعة الإسلامية؛ وذلك بعد أن درس أسباب تخلف المسلمين، وحددها؛ تمهيدًا لوصف الدواء لها. فقد كان يوازن بين حال المسلمين -سابقًا- وما وصلوا إليه من انحطاط، فيقول في ذلك: «فيا أيها السادة، ما سبب ملازمة هذا الفتور منذ قرون للمسلمين؟ من أي قوم كانوا، وأينما وجدوا، وكيفما كانت شؤونهم الدينية، أو السياسية، أو الأفرادية، أو المعيشية؟ حتى إننا لا نجد إقليمين متجاورين، أو ناحيتين في إقليمين، أو قريتين، في ناحية، أو بيتين في قرية، أهل أحدهما مسلمون، والآخر غير مسلمين، إلا ونجد المسلمين أقل من جيرانهم نشاطًا وانتظامًا، في جميع شؤونهم الحيوية، الذاتية والعمومية. كذلك نجدهم أقل إتقانًا من نظرائهم في كل صنعة».

فهو - هنا - يحدد أزمة المسلمين في تخلفهم عن غيرهم، ويدعو إلى النهضة الإسلامية المنطلقة من الوحدة الإسلامية، ولكن في إطار خلافة عربية. وفي كتاب «أم القرى»: «تخيل مؤتمرًا في مكة جُمع فيه ممثلون عن البلدان الإسلامية، يبحثون في حالة الإسلام والمسلمين، ويرسمون سبل الإصلاح، ويحاولون في البداية تنقية العقيدة الإسلامية من الشوائب، التي علقت بها لمحاولة استعادة ماضي المسلمين التليد، ومجدهم السابق»، ويرى أن تكون هيئة المؤتمر هذه نواة الجامعة الإسلامية الثقافية، التي تتطور مع الزمن إلى جامعة إسلامية سياسية. ووضع الكواكبي برنامجًا لهذه الهيئة، حتى تعمل على تنفيذ بنود هذا البرنامج كالآتي:

عمل الأفغاني على دعوة المسلمين إلى فهم دينهم فهمًا صحيحًا؛ لأنهم لو عاشوا وفقًا لتعاليمه؛ لغدت بلادهم قوية وقادرة على مكافحة الاستعمار الغربي. فقد رأى الأفغاني أن الاستعمار الغربي ركز في العالم الإسلامي، وهاجم القيم والمعتقدات

- نشر التعليم، ونشر الوعي السياسي في البلاد الإسلامية.
- وضع المؤلفات التي ترمي إلى تقويم الأخلاق والدين بلغة ميسرة.
- معرفة أحوال البلاد الإسلامية، وإرشاد أهلها إلى الخلل الموجود بينهم.
- الدعوة إلى التسامح الديني، وتجنب التعصب أيًا كان.

وكان الكواكبي يرى أن العرب هم الأصلح إلى الخلافة، وأن الأتراك لا يتميزون عن العرب في شيء، فالعرب أصحاب الحق الأصيل، لذا أحصى بعض الألفاظ، والمترادفات التركية؛ التي تقلل من شأن العنصر العربي، مثل قولهم: «العرب الشحاذون» «العرب الأجلاف» «ذوق عربي». ومن هنا رأى تعالي الأتراك على العرب، وكانت دعوة الكواكبي هذه بداية التحول من الجامعة الإسلامية إلى الفكر القومي العربي. أما موقف الإمام محمد عبده من فكرة الجامعة الإسلامية، فمن المعروف - بصفته تلميذًا للأفغاني، وانهما أصدرا معًا «العروة الوثقى»، التي كانت تكتب بأسلوب محمد عبده، وبفكر الأفغاني - أنه كان يرى أن المحافظة على الدولة العثمانية ثالثة العقائد، بعد الإيمان بالله، ورسوله؛ لأنها وحدها المحافظة على سلطان الدين الإسلامي.



الأفغاني

هذه هي المرحلة التاريخية التي نبتت فيها فكره الجامعة الإسلامية، من شخص جمال الدين الأفغاني، وموقف السلطان عبدالحميد منها، وأيضًا موقف المفكرين المسلمين منها - في ذلك الوقت - وربما تطورت هذه الفكرة التي لم يكتب لها الخروج إلى حيز الواقع، إلى المؤتمر الإسلامي، ومع ذلك فمازالت فكرة الدعوة إلى الجامعة الإسلامية، تمثل هاجس المسلمين في الوقت الحاضر، أكثر من أي وقت مضى، ربما لتشابه الظروف بين الوقت الحالي، والوقت الذي ظهرت فيه هذه الدعوة، في القرن قبل الماضي، ولكن المحير - حقًا - أن الفكرة تحول بها بعض قادتها إلى الفكر القومي العربي، وتحول بها بعض تلامذتهم إلى الأفكار القومية الأضيق مجالاً، مثل القومية المصرية، والأغرب ان العلمانية ازدهرت في ذلك الوقت، على أيدي مجموعة من تلامذة الرعيل الأول، مثل سعد زغلول تلميذ محمد عبده، أحد اهم زعماء الرعيل الأول.





الفراسة والخداع، الخوارق والسنن، والخرافات والأساطير

خالد الخميس

الرياض ـ السعودية

هل الفراسة علم أم إلهام؟ هل تفسير الأحلام مقصور على أفراد دون غيرهم؟ كيف يمكن لمن اكتسب حظوة عند الناس، أن يستغلها في مصالحه؟ كيف تتحول الخرافة إلى فكرة مقنعة يمكن تصديقها؟ كيف تكون الخرافة مزرعة لتفريخ الأساطير؟ كيف يحوّل الناس الخرافات إلى خوارق؟ لماذا يلجأ الناس إلى موضوع الخوارق في ترسيخ الإيمان؟ كيف ينشأ جيل تربى على البحث عن الخوارق؟ لماذا لا تسمى القوانين الكونية بالسنن الإلهية؟ منهج القرآن في الأدلة الإيمانية هل يرتكز على الخوارق أم السنن الإلهية؟

في هذه المقالة سنحاول الإجابة عما سبق، وسنبحر في مفهوم الفراسة، والخداع، والشعوذة، وفي تحديد الخرافة والأسطورة، ونخوض في الخوارق والمعجزات. وقبل هذا وذاك، سنحاول أن نحرر تلك المصطلحات، ونوضح العلاقة بينها.

فراسة أم خداع أم شعوذة؟

نسمع كثيرًا أن شخصًا ما قد ألهم موهبة في قص الأثر، او موهبة في تفسير الأحلام، ويقال أيضًا: إن تلك الموهبة لا يماثله فيها أحد، ولا يمكن أن ينازعه فيها أحد. عندما يقال هذا الكلام، فإن معناه لا يعدو واحدًا من أمرين: إما أن الله اختار هذا الشخص لمزية فيه من بين سائر البشر، وخصه من بينهم بعلم خاص، وهذا هو مقام الأنبياء. أو أن هذا الشخص اكتسب العلم اكتسابًا، من دراساته وتأملاته الخاصة، لكن هذا العلم الذي لديه يمكن للآخرين أن يكتسبوه.

الشائع عند الناس أن الفراسة، وتفسير الأحلام؛ من العلوم التي لا يبلغها إلا أفراد محدودون، ولا يمكن

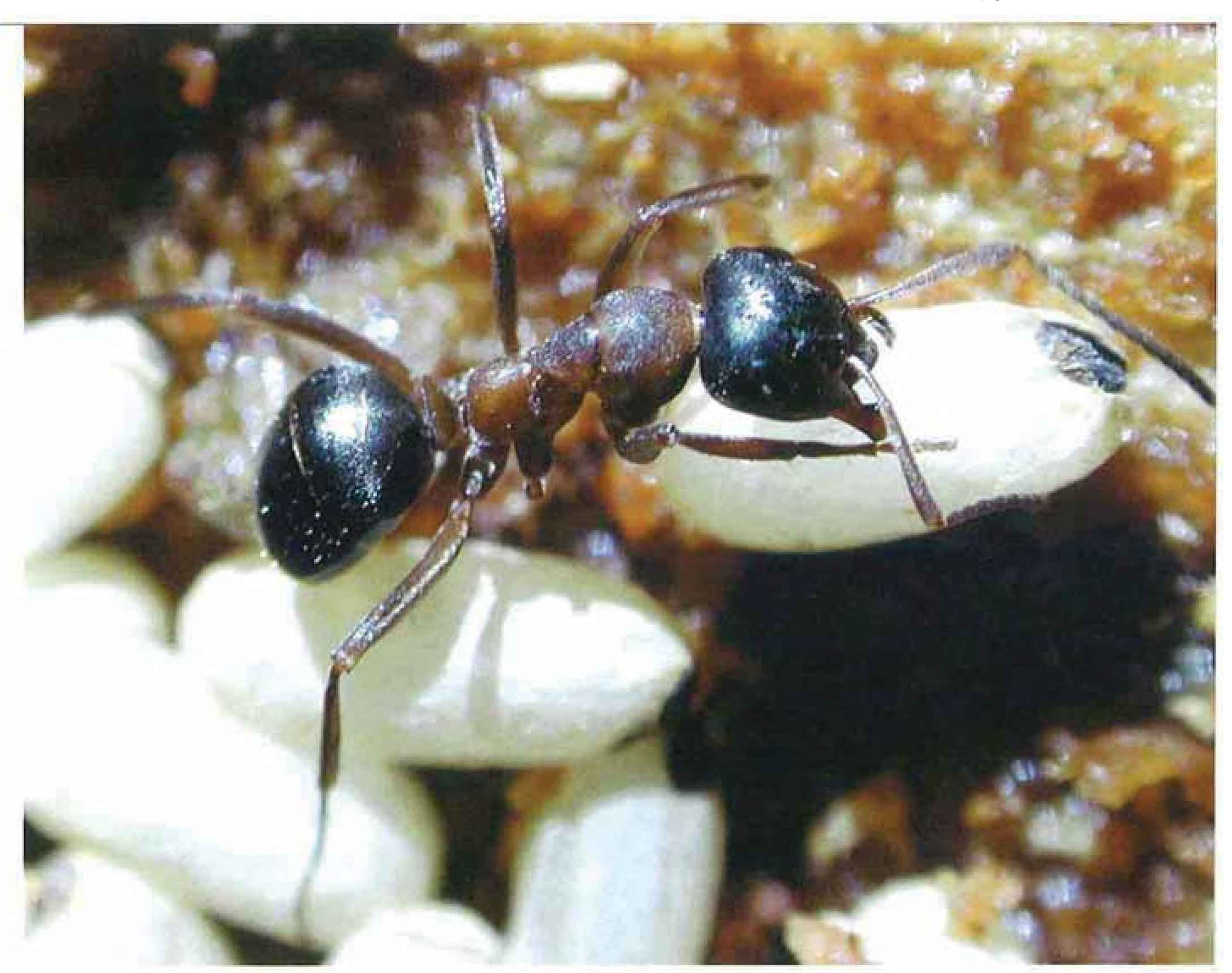


لتلك العلوم ان تكون شائعة عند الناس؛ لعدم إمكانية إخضاعها للتقعيد، ووضع قوانين مفهومة لها.

هب أن شخصًا يستطيع أن يقتفي الأثر، ويستطيع أن يدرك من خلال رؤيته الأثر أن يحدد صاحبه، ذكرًا كان أم أنثى، كبيرًا أم صغيرًا، أعمى أم أعور، سليمًا أم سقيمًا. هل هذا يقودنا إلى استنتاج أن هذا الشخص الموهوب قد نال إلهامًا فوق طاقة البشر؟.

لقد وجد من يقول هذا القول، فظنوا أن المقدرة على قص الأثر هي قدرة لا يصل إليها إلا فئة محددة من البشر، ينتمون إلى القبيلة المشهورة آل مرة. وأصبح مصطلح المريّ كلمة ترادف القدرة على قص الأثر.

ربما كثيرون يستطيعون أن يميزوا العرق الأوربي، من العرق العربي، من العرق الهندي، من العرق الصيني، من العرق الإفريقي. ومن خلال العرق الواحد كالعربي مثلاً: نستطيع أن نميز موطنه، مصريًا كان، أم سوريًا، أم فلسطينيًا، أم يمنيًا، أم سعوديًا. ومن خلال المواطنة. نستطيع أن نميز



لمرفة النمل درويه تفسير علمي

منطقته، أهو من الشمال، أم من الجنوب، أم من الحجاز، أم من نجد. ومن خلال المنطقة الواحدة نستطيع أن نبين موضع المدينة، أو القرية، أوالقبيلة، أو الفخذ الذي ينتمي إليه. وقد يستطيع أحد ان يدعي أن له القدرة على تمييز الناس بصورة أكثر تحديدًا. عندما يقوم بتحديد الأسرة التي ينتمي إليها شخص ما. إن هذه القدرة ممكن أن تكون، لكنها في

في السنتين الماضيتين خرجت نظرية جديدة في الغرب، بعنوان التصميم الذكي Intelligent design، تؤكد أن نظام الكون والحياة مدعاة إلى التأمل، وأن مجموعة القوانين التي تنظمه لم تأت من فراغ، بل من تقرير خالق واحد



الادعاءات بقدرات خارقة ظاهرة تجتاح العالم

الواقع لم تأت من فراغ، أو من إلهام.

والحاصل أن الشخص عندما تكون لديه المقدرة على تمييز الأفراد وتصنيفهم بصورة دقيقة، فإن هذه المقدرة لم تأت من قوى خارقة؛ بل من خلال إمعان النظر في مجموعة من المثيرات والمدللات Cues، التي تسهم في تصنيف الأشياء والأشخاص بشكل دقيق.

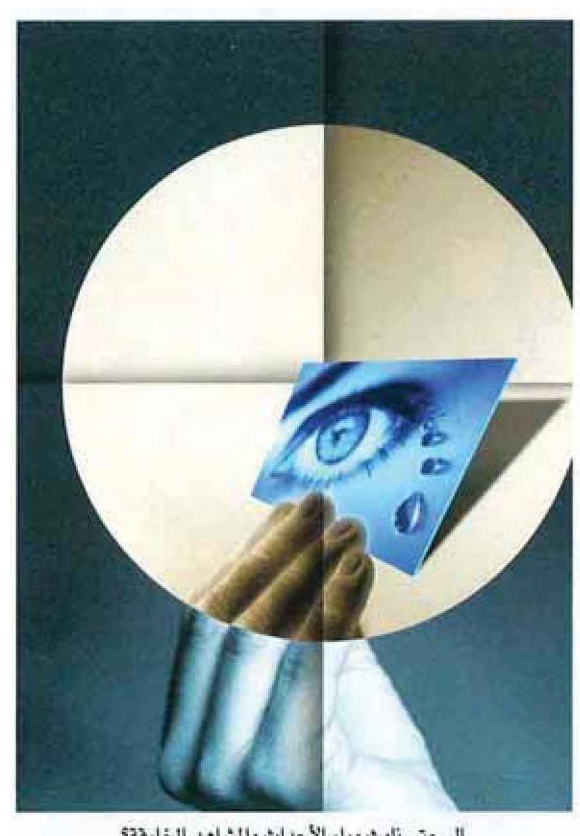
لو حق لأحد أن يدعي خصوصية الفراسة والإلهام؛ لما كان هناك أجدر من الطبيب أن يدعيها لنفسه. فهو يستطيع أن يتصفح وجهك، ويخبرك بما تعانيه من أمراض، ويخبرك بنوع المأكل والمشرب الذي تناولته. ويرشدك إلى أفضل الأدوية التي تعالج حالتك. وبما أن الطب علم مقعد، وله قوانينه، لذا فإن الطب خرج من دائرة الإلهام إلى دائرة التقعيد.

إنّ تعذر استخراج القواعد من الموهبة، هو ما يضفي على الموهبة رداء الإجلال، والتعظيم، والخصوصية. لكن جميع العلوم مهما كانت صعوبتها، فإن لها أصولاً تقعيدية.

ولكي يحافظ الملهم - كما يزعم عن نفسه - على جاهه ووجاهته، فإنه لا يحرص على أن يطلع الناس على مكمون تلك القواعد، التي بنى عليها فراسته، بل إنه ينفي وجود قواعد ضابطة لعلمه، ويعد تلك القدرة من الإلهام الذي وهبه الله إياه دون غيره. وقد يدعي علم الغيب، وقدرة الكشف عن المستور، أو يدعي لنفسه أنه يمتلك قدرات فوق بشرية، وهو كذاب أشر. فيستخدم الخدع والحيل، التي يوهم من حوله بأن له حظوة، ومكانة، وعلمًا لا يبلغها أحد.

وبالمختصر المفيد، إن الفراسة وأساليب الحيل عندما تفقد قوانينها؛ تخرج من كونها مختصة بفئة معينة، إلى

الفراسة وأساليب الحيل عندما تفقد قوانينها: تخرج من كونها مختصة بفئة معينة، إلى كونها معلومات عامة، يمكن لعامة الناس إدراكها وعملها. لكن ما يجعلهم لا يفعلون ذلك، هو خوفهم من سحب البساط منهم، فيصبحون والناس سواء



إلى متى نلهث وراء الأحداث والمشاهد الخارقة؟

كونها معلومات عامة، يمكن لعامة الناس إدراكها وعملها، لكن ما يجعلهم لا يقعدون ذلك، هو خوفهم من سحب البساط منهم، فيصبحون والناس سواء.

الخرافة والأسطورة

يمكن تعريف الخرافة بأنها الاعتقاد بوجود ظاهرة محيرة يستحيل تكونها، أو أن تلك الظاهرة موجودة بالفعل، لكن تفسير الناس لها أعطاها غطاء محيرًا، ووجود خرافة معينة مجال كبير لنسج الأساطير والحكايات الكاذبة، ولذا فإن الخرافة هي منبع الأساطير والأحاديث الخيالية.

كنا - ونحن أطفال - نذهب إلى الجبل ونردد بصوت ملحون «بنت الجبل تبين قريص وإلا جعل». وبما أن الجبل يعكس الصوت فيحدث صدى، وعندما ننتهي من الجملة نسمع الكلمة «جعل»، وهي آخر ما تبقى من الصدى، ولا أخفيكم أنني على الرغم من تأكدي أن هذا الصوت هو صدى صوتي، إلا أن من يحيط بي من الأطفال والكبار - وقت ذاك - يميلون إلى التصديق بأن هذا هو صوت بنت محجوزة في الجبل، فأجدني - أمام هذا التوجه العام - مجبرًا على تصديق هذه الخرافة.

خذ مثلاً آخر لخرافة نسجت بسببها أساطير متعددة: هناك جبل معروف بالقرب من إحدى القرى، وهذا الجبل يصدر - في بعض الأحيان - أصواتًا يسمعها سكان القرية، فيحكون أن فتاة ذهبت إلى هذا الجبل فأخذها الجني الذي يسكنه، وتزوجها، ويحكى أن شخصًا ذهب إلى ذلك الجبل فقتله الجني صاحب الجبل، وقصص كثيرة، وحدّث لا حرج من حكايات وأساطير، فليس هناك من ينقب، أو يسأل، أو يكذّب.

ولقد وجد أن ظاهرة خروج الأصوات من الجبل موجودة بالفعل، وبعد التحري وجد أن في الجبل فتحات يدخل منها الهواء من جهة، ويخرج من جهة أخرى. وعندما تهب الرياح من زاوية معينة يخرج

كثير من الوعّاظ – اليوم – يحولون جوانب من المظاهر الطبيعية إلى خوارق؛ كي يستميلوا قلوب الناس إلى الإيمان. كأنّ الإيمان لا يزيد إلا بحصول الخوارق، وأن الخوارق هي مصدر الإقناع الوحيد، والإعجاز الإلهي

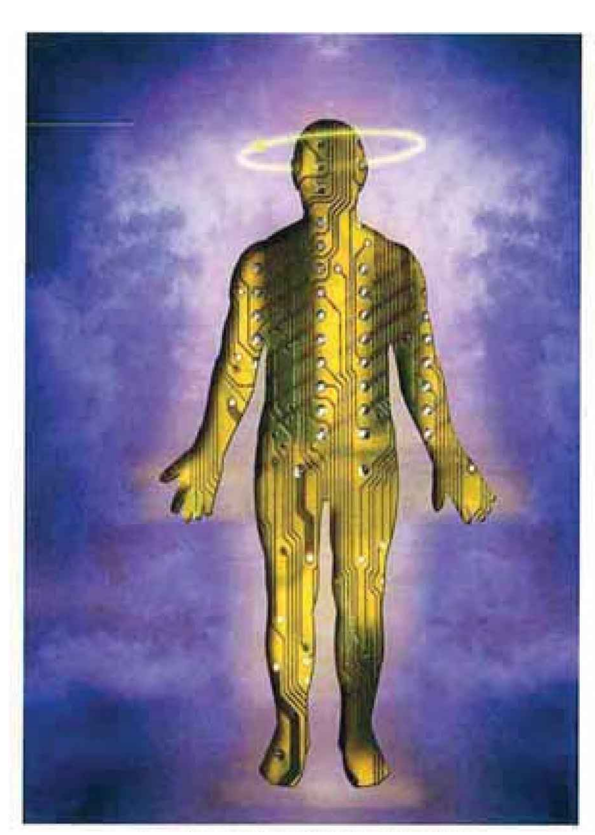
صفير له دوي.. وهكذا يسمع أهل القرية هذا الصوت غير الطبيعي، ويظنونه صوت أحد يتكلم، وهذا الصوت المجهول كان بذرة لنشأة هذه الخرافة.

الإعجاز والخوارق والسنن

كانت معجزات الأنبياء - قبل بعثة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم - ترتكز على الخوارق، ونعلم أن موسى - عليه السلام - كانت معجزته تتمثل في العصا والآيات التسع الأخر، ومعجزة عيسى - عليه السلام - تتمثل في إبرائه الأكمه، والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله، ومعجزة صالح - عليه السلام - تتمثل في الناقة. أما النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فلم تكن معجزته الرئيسة تعتمد على الخوارق، بقدرما كانت تعتمد على إمعان النظر في الظواهر الكونية، التي صاغها لنا القرآن المعجز.

كثير من الوعّاظ - اليوم - يحولون جوانب من المظاهر الطبيعية إلى خوارق، كي يستميلوا قلوب الناس إلى الإيمان. كأنّ الإيمان لا يزيد إلا بحصول الخوارق، وأن الخوارق هي مصدر الإقناع الوحيد، والإعجاز الإلهي. الأمثلة كثيرة، لكنني سأورد مثالاً على ذلك: يقال مثلاً: إن الله ألهم النمل المقدرة على التعرف إلى الطرق التي توصله إلى مخبئه من دون أن يضل. ويصف بعض

> الشائع عند الناس أن الفراسة، وتفسير الأحلام: من العلوم التي لا يبلغها إلا أفراد محدودون. ولا يمكن لتلك العلوم أن تكون شائعة عند الناس: لعدم إمكانية إخضاعها للتقعيد. ووضع قوانين مفهومة لها



جسم الإنسان يحمل أدلة قدرة الله سبحانه وتعالى

الوعاظ أن الكيفية التي يتعرفها النمل إلى دروبه، هي سر من الأسرار الإلهية، التي لا تخضع لعلم الإنسان، وتقع في حوزة المجهول، ويستدل على أن هذه الكيفية، التي نجهلها من الأدلة الواضحة على وجود الله، وإعجازه سبحانه، ويصف هذا الأمر بأنه شيء من الغيب، ومن الأسرار، التي لا يعلمها إلا الله.

لعلنا - هنا - نتوقف قليلاً عند هذه النقطة، ونعاود مناقشتها. أقول: لو أن دراسة علمية تفسر سبب هذه الظاهرة، وتفسر كيفية تعرف النمل إلى مساراته، كما حصل بالفعل أن دراسة أثبتت وجود مواد كيماوية



تسمى الفرمونات، تفرز من قبل النملة؛ لكي تتعرف إلى رائحتها مجموعة النمل؛ فيمشي النمل حسب المسار الذي به الرائحة. إنه عندما يدعي أحد الوعاظ، أن ظاهرة تتابع النمل مجرد إلهام من الله سبحانه وتعالى، وسر من أسراره، فإننا نقع في فخ التناقض، عندما تأتي أبحاث تكشف سر المجهول. وهذا التسرع في حكم الواعظ قد يفضي إلى زعزعة إيمان من حوله، ولأن الأمر الذي كان إعجازًا في فترة زمنية مضت؛ لم يعد صالحًا ومقبولاً لأن يكون إعجازًا بعد معرفة السر؟

والحقيقة أن هذه الأبحاث؛ التي أعطت تفسيرًا ماديًا لسبب تتابع النمل، لا تلغي حقيقة الإعجاز.

إن الاستنتاج الذي يجب أن نخرج به، هو: أنه عندما نتعرف إلى فك السر، الذي كان مجهولاً، فإن هذا لا يتعارض مع إعجاز الله الخلقي. فالإعجاز ليس شرطًا أن يقع في وجود شيء خارق مجهول، بل إن الإعجاز الإلهي يكمن في تأمل القانون الطبيعي.

إن نظام الفرمونات، الذي يُعرِّف الحشرات إلى مساراتها، أحد قوانين الله، التي بموجبها تتعرف النملة إلى مخبئها. وهذا القانون بحد ذاته معجزة، ودلالة على قدرة الله سبحانه.

ويرى بعضهم - خطأً - أنه عند حصول ظاهرة معينة، ليس لها تفسير علمي ظاهر، فإن هذه الظاهرة المجهولة تكون صيدًا ثمينًا للدلالة على موضوع الإعجاز، بينما تعد الظواهر، المعروفة الأسباب المادية، بيانات لا تخدم موضوع الإعجاز.

وعليه فإن الإعجاز لا يتم في غياب القانون، بل إن القانون ذاته، هو دليل على الإعجاز. وهذا أمر واضح عند تأمل كثير من الآيات القرآنية، فتجد في القرآن الكريم آيات كثيرة ترشد إلى التأمل في القوانين الكونية، والتأمل في مخلوقات الله، والتأمل في النظام البديع، الذي يسير عليه الكون وتنتظم الحياة.

تعالوا بنا نقتطف من آيات القرآن الحكيم طريقته المثلى للمحاجة مع النفس البشرية، وكيف أن التأمل في القوانين الطبيعية، هو ما يستدل به على وجود الله ووحدانيته.

﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾. البقرة:١٦٤.

﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات

المنجمون يصابون بخيبة أمل عند اكتشاف تفسير لظاهرة كونية



والأرض وما بينها إلا بالحق وأجل مسمى﴾ الروم:٨.

﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة﴾ الروم:٩.

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ العنكبوت:٢٠.

﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينْعِه﴾ الأنعام:٩٩.

﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون* وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجًا سبلاً لعلهم يهتدون* وجعلنا السماء سقفًا محفوظًا وهم عن آياتها معرضون* وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾ الأنبياء:٣٠ ـ ٣٣.

عندما نتأمل الكلمات الآتية (انظروا، أولم يسيروا، قل سيروا، أولم يتفكروا) فهي دعوة من الله سبحانه وتعالى إلى التأمل في السنن الكونية الظاهرة والواضحة للعيان. فالله سبحانه أمر بالتدبر فيها، والنظر في القوانين التي تنظمها، والتي هي من صنعه تعالى. لم تكن الأدلة على أشياء خافية للعيان، لا يراها إلا أفراد محددون، أو خوارق لطبيعة القوانين الكونية؛ بل كان جذب الانتباه إلى تلك القوانين، وذلك النظام البديع في الكون والحياة، الذي يشهد بعظمة خالقه وموجده. إن الخوارق في أثناء وقوعها لا يراها إلا أفراد محددون، كانوا موجودين وقت نزول تلك الخارقة، أما السنن الكونية فهي متاحة على الدوام.

كثير من المتحمسين ـ اليوم ـ يصاب بخيبة أمل عندما يكتشف تفسير ظاهرة كونية، أو حيوية كانت في الماضي في العالم المجهول، وكانوا يستشهدون بها على أنها من المعجزات. فكأنّ التفاسير الجديدة للظواهر تحدث تشويشًا لقناعات سابقة، وكأنّ هذا الأمر، الذي كان خارقًا، لم يعد يصلح للاستدلال به في موضوع الإعجاز. واللافت للنظر أن الآيات القرآنية تدعو إلى التفكر في السنن الإلهية، والقوانين الكونية، والأنظمة الحيوية، بوصفها بوابات للبراهين الإيمانية.

قال الشاعر السوداني إبراهيم بدوي ـ رحمه الله ـ في قصيدة رائعة المعاني والإيقاع:

قل للطبيب تخطفته يدُ الردى
يا شافي الأمراضِ: من أرداكا؟

قل للمريض نجا وعُوفي بعد ما
عجزت فنونُ الطب: من عافاكا؟

قل للصحيح يموتُ لا من علة
من بالمنايا يا صحيحُ دهاكا؟

قل للبصير وكان يحذرُ حفرة
فهوى بها من ذا الذي أهواكا؟

بل سائل الأعمى خطا بين الزحا
م بلا اصطدام: من يقودُ خطاكا؟

قل للجنين يعيشُ معزولاً بلا
راعٍ ومرعى: ما الذي يرعاكا؟

هذه أبيات من قصيدة رائعة، تسوق كثيرًا من المظاهر الكونية والعمليات الحيوية. ولو أردنا أن نقف وقفة تحليلية لمكونات الاستفهامات المعروضة في جملة من الأبيات، التي أتى عليها الشاعر، لوجدناه قد ذكر بعض

لكي يحافظ الملهم ـ كما يزعم عن نفسه ـ على جاهه ووجاهته، فإنه لا يحرص على أن يطلع الناس على مكمون تلك القواعد، التي بنى عليها فراسته، بل إنه ينفي وجود قواعد ضابطة لعلمه، ويعد تلك القدرة من الإلهام الذي وهبه الله إياه دون غيره

الظواهر على أنها خوارق وأسرار لا يعلمها إلا الله.

والحقيقة، التي يجب أن تقال، أن تلك الظواهر لها تفسيرات علمية مادية. وعلى الرغم من ذلك، فهذا لا يعني أن معرفة التفسيرات التجريبية تقود إلى كسر مسألة الإعجاز: لأن ما تمت معرفته، هو كيفية عمل تلك الأشياء، والقانون المنظم لها، ولكن يبقى هذا القانون المنظم، هو ما يستدل به على الإيمان.

وتأكيداً لما سبق فإن التدبر في نظام تلك المظاهر، هو مكمن الأعجاز، وليس شرطاً أن يتحقق الإعجاز في ظل ظاهرة مخفية الأسباب، ومجهولة المعالم. إن الأسرار ليست هي بذاتها مكمن الإعجاز. بل إن الإعجاز يكمن في وجود القانون الظاهر المشاهد. وهذا القانون المشاهد، هو ما يجب تسميته بالسنن الإلهية. فالسؤال الذي يحول تلك الظاهرة إلى دليل إيماني، هو التساؤل حول من وضع تلك القوانين المنضبطة، والمنسقة فيما بينها؟ فلا يمكن أن تأتي تلك القوانين اعتباطاً. ان هذا التساؤل هو ما يحول الكشف في تلك القوانين، إلى مادة تأملية تدعو إلى الإيمان بأن الله أحسن كل شيء خلقه.

في السنتين الماضيتين خرجت نظرية جديدة في الغرب، بعنوان التصميم الذكي Intelligent design تؤكد أن نظام الكون والحياة مدعاة إلى التأمل، وأن مجموعة القوانين التي تنظمه لم تأت من فراغ، بل من تقرير خالق واحد. هذه النظرية جاءت رداً على من يدعي - باطلاً - أن القوانين الطبيعية جاءت بمحض المصادفة، وليست من تدبير الخالق.

لو حق لأحد أن يدعي خصوصية الفراسة والإلهام: لما كان هناك أجدر من الطبيب أن يدعيها لنفسه. فهو يستطيع أن يتصفح وجهك. ويخبرك بما تعانيه من أمراض. ويخبرك بنوع المأكل والمشرب الذي تناولته. ويرشدك إلى أفضل الأدوية التي تعالج حالتك

الإشاعات والخرافات والخوارق

عندما يريد واعظ - أحياناً - أن يستثير الدوافع الإيمانية لعامة الناس، فإنه يلجأ إلى الحديث عن قصة، أو حدث يحكي خارقة من الخوارق، وكثيراً ما تكون الخارقة خرافة، أو قصة مختلقة.

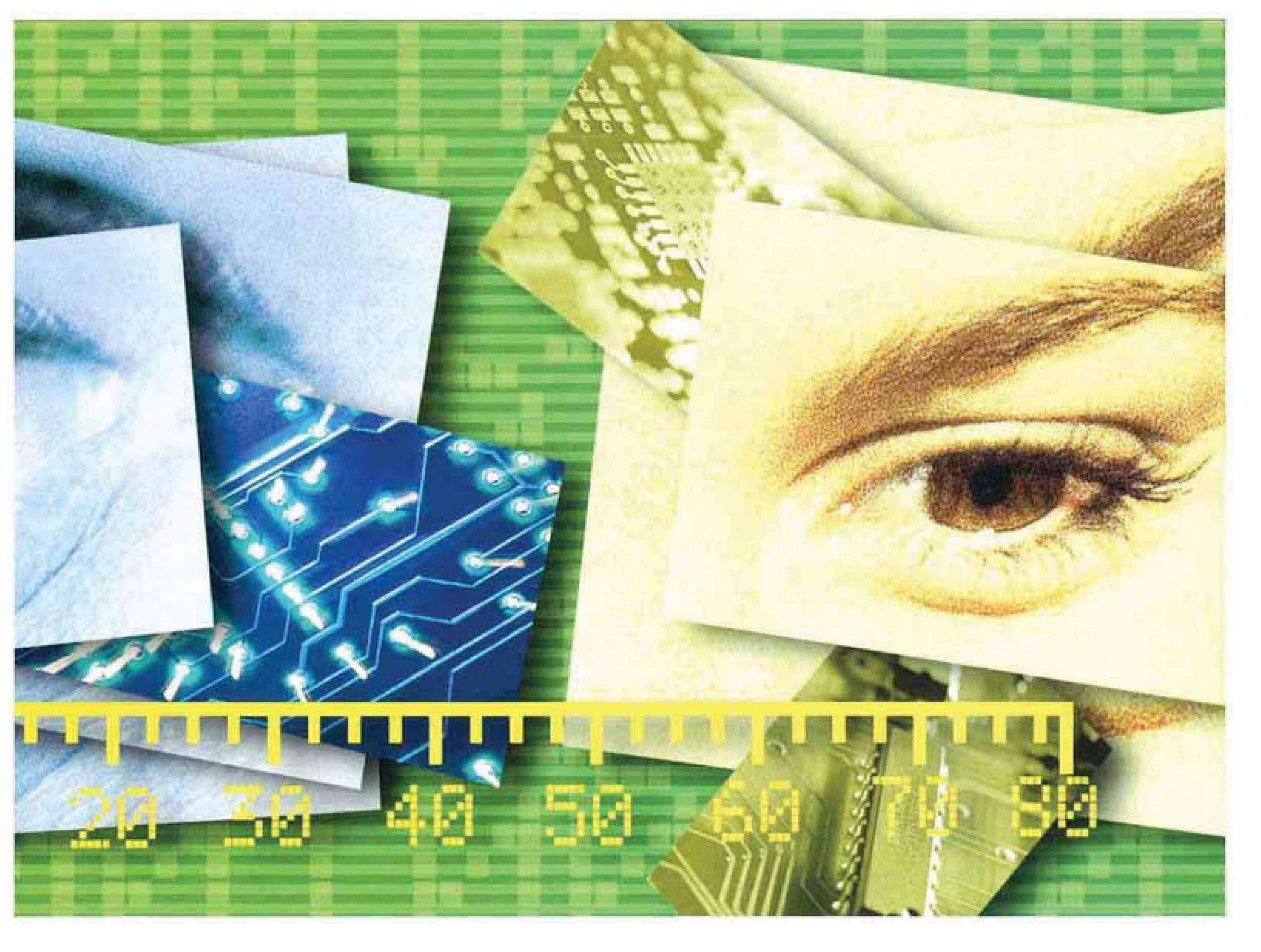
وهنا أسرد خمساً من القصص والأحداث، التي دارت بين الناس على أنها من الخوارق، وهي ليست كذلك.

- سمعت بنفسي قصة مختلقة لرجل يستهزئ بالأذان - نعوذ بالله من ذلك - وعندما مات هذا الشخص، قيل: إن رأسه تحول إلى رأس حمار. وقد قيل لمن لا يصدق هذا الحدث أن يسأل مؤذن المسجد الموجود بالحي الفلاني. وانتشرت تلك القصة بين جموع الناس بشكل سريع، ومع قرب المسجد، إلا أن أحداً لم يكلف نفسه مسألة التأكد، ولكن عند الرجوع إلى مؤذن المسجد الذي قالوا عنه: تبين أن القصة ليست صحيحة.

- سمعت - أيضاً - بقصة مختلقة لامرأة استهزأت برجل صالح، وقيل: إنها قالت كلمات تتحدى الله فيها، فعاقبها الله في الحال، وجاءتها صيحة فماتت في الحال.

- وسمعت قصة أخرى كان تفسيرها أن جنياً لا يتكلم العربية، دخل في امرأة، فأسلم.

ومع أن الحادثة وقعت، إلا أن تفسيرها لم يكن صحيحاً، فقد ذكر أن المرأة لا تحسن إطلاقاً اللغة الفلبينية، وأن الجني الفلبيني - زعموا - قد تكلم على لسانها، وأخذ العهد من الشيخ بأن لا يعود. وأنه



سيسلم، إلا أنه بعد قليل من التحري تبين أن المرأة هذه لديها سابقة إلى الحديث بتلك اللغة، وأنها بعد مماقاتها، ضحكت مما أشيع عنها، بل إنها تباهت بأنها استطاعت تضليل الآخرين.

- بعد حادثة تسونامي، أشيع أن هناك أعدادًا غفيرة من المجانين في مستشفى الأمراض النفسية بشهار في الطائف، قد خرجوا من المستشفى بسبب

الشخص عندما تكون لديه المقدرة على تمييز الأفراد وتصنيفهم بصورة دقيقة، فإن هذه المقدرة لم تأت من قوى خارقة؛ بل من خلال إمعان النظر في مجموعة من المثيرات والمدلات، التي تسهم في تصنيف الأشياء والأشخاص بشكل دقيق

انهم تعافوا. وكان التفسير في هذا الحدث، أن هناك مجاميع من العقد السحرية موجودة في دولة إندونيسيا، وأن تلك العقد قد تفككت بعد حصول الفيضان. وبعد السؤال والتحري خرج تكذيب من إدارة المستشفى نشر في الصحف عما أثير. الغريب في الأمر أنه على الرغم من تكذيب إدارة المستشفى فلا يزال بعض الناس مصدقين تلك الكذبة.

- بعد التعدي على حرمة رسولنا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم في صحافة الدنمارك، ظهرت في بعض منتديات الشبكة العنكبوتية صور لشارع قد انخسف. وكان التعليق على الصورة: «أن هذا خسف من الله بسبب تعديهم على نبينا»، وروجت تلك الصور في منتديات أخرى، بدعوى أنها عقاب من الله لتلك الأمم. لكن عند التحري وُجد أن الصورة - أساسًا - لأحد الشوارع في دولة كندا، وأن هذه الصور سبقت حادثة التعدي على حرمة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم بزمن.

هذه القصص وأمثالها كثير وكثير، إلا أن بعضهم عندما يتحدث بها فإن الحماس يأخذ به إلى التصديق بأحداثها من دون تردد. فتسمعه - مثلاً - يقول: إن من نقل تلك القصة شخص ثقة، أو صادق، أو لا أشك في كذبه، أو أن هذه القصة وقعت لابن جيران، أو قريب لنا. وهكذا تلبس الإشاعة رونقًا جميلاً، لا تدع مجالاً للمستمع أن يشكك في ثبوتها. ويا للأسف الشديد إنك عندما تتحدث عن بطلان تلك القصة، فإن هناك فئة تتهمك بأنك لا تؤمن بقدرة الله، وأنك...، والفئة الأخرى تصاب بخيبة أمل عندما تعرف الحقيقة؛ لأن هذه الأحداث كانت مما يقوي إيمانهم. والحاصل أننا يجب أن نسعى إلى التدقيق في القصص الخارقة، ولا نجري خلف الإشاعات من دون تحرٍ وتثبت.

إن المتأمل في حوار كفار قريش مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم، يستنتج أن الكفار كانت لديهم نزعة عالية إلى طلب نزول مستمر للمعجزات والخوارق المادية، كما قال الله عنهم: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا﴾ ﴿أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرًا رسولا﴾. الإسراء: ٩٠ و٩٣.

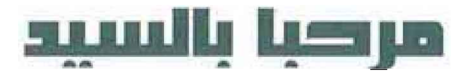
إن النزعة إلى جعل الخوارق هي المصدر الوحيد للإيمان، والاقتناع، هي نزعة ممقوتة بنص القرآن. لقد كان نزول خوارق الأنبياء أمرًا فاصلاً بين العذاب والرحمة، وبين الإيمان والكفر، كما حكى الله عن معجزة ثمود: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا﴾ الإسراء: ٥٩.

إن ما يتميز به الدين الإسلامي من سائر الأديان، أن خطابه كان خطابًا عقليًا يدعو إلى العقل، والنظر، والتفكر، في الآيات الظاهرات.

أخيرًا أود أن أسأل، إلى متى نلهث خلف الأحداث والمشاهد الخارقة؟ وإلى متى نربي أجيالنا على أن مصدر الإيمان هو القصص الخارقة؟، مع أن في المشاهد المعاينة الدليل القاطع على وحدانية الله سبحانه.

الخرافة هي الاعتقاد بوجود ظاهرة محيرة يستحيل تكونها، أو أن تلك الظاهرة موجودة بالفعل. لكن تفسير الناس لها أعطاها غطاء محيرًا. ووجود خرافة معينة مجال كبير لنسج الأساطير والحكايات الكاذبة. ولذا فإن الخرافة هي منبع الأساطير والأحاديث الخيالية





نعمان عبدالرزاق السامرائي

الرياض ـ السعودية

تتفق الديانتان الإسلام والمسيحية على عودة السيد المسيح إلى الدنيا، ثم تختلفان في التفاصيل.

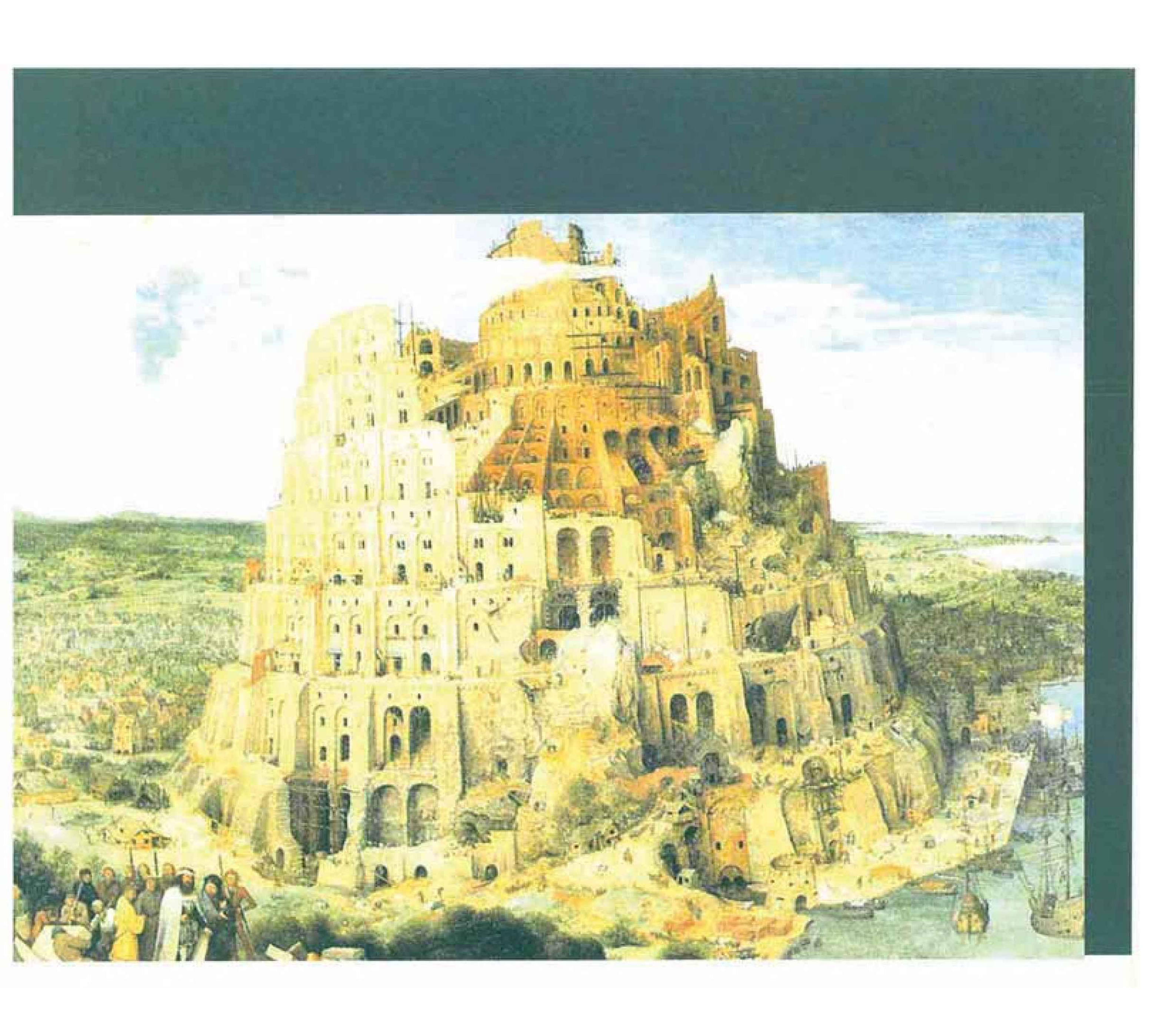
في الإسلام يروي عبدالله بن عمرو بن العاص، من حديث طويل، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: «يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين، لا أدري أربعين يومًا، أو أربعين شهرًا، أو أربعين عامًا، فيبعث الله عيسى ابن مريم ـ كأنه عروة بن مسعود ـ فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين، ليس بين اثنين عداوة».

الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب «الفتن»، باب خروج الدجال ونزول عيسى.. الحديث رقم (٢٩٤٠).

أما المسيحية فهناك صورتان لهذه العودة:

ـ الصورة الأولى للسيد المسيح نصير السلام، والداعي الأكبر له، ومن يكلف العدو بمحبة عدوه، وصاحب القول المشهور: من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر...

ـ الصورة الثانية جديدة ومختلفة كليًا عن الأولى، حتى كأن السيد المسيح شخصية أخرى، لا علاقة لها مطلقًا بالأولى، فرجل مثل الواعظ الإنجيلي جيري



فولويل يصرخ بأعلى صوته: لم يكن المسيح جبانًا ولا مخنثًا، بل هو على صورة جنرال بخمسة نجوم يمتطي جوادًا، ويقود جيوش العالم كلها، متسلحًا برؤوس نووية ليقتل المليارات من البشر.

وتنقل المفكرة غريس هالسل في كتابها «يد الله» عن مهووس اسمه هول ليندسي: هناك ٢٠٠ مليون جندي من المشرق - أي مشرق - على الأقل مع ملايين أخرى من قوات الغرب - أي غرب - سيضربها المسيح، أولئك الذين اجتاحوا مدينة القدس، ثم يضرب الجيوش المتكدسة في وادي (مجيدون) وعندها تصل الدماء إلى (جمة الخيل) على طول مساحة ٢٠٠ ميل من القدس، وستدمر كل مدن العالم: لندن، وباريس، وطوكيو، ونيويورك، ولوس أنجلس، وشيكاغو، كلها ستمحق تمامًا (١).

صورة غريبة، متأثرة إلى حد بما ورد في (رؤيا يوحنا) في أواخر الأناجيل.

والسؤال: معركة حول القدس، لجيوش بمئات الملايين تتقاتل: لتصل الدماء إلى رؤوس الخيل، فما علاقة مدن مثل لندن، وباريس، وطوكيو، ونيويورك.. وكيف يجري

تدميرها، وبأية وسائل؟

والسؤال الثاني الأهم: المعركة في القدس، وفي واد صغير مثل (مجيدون)، كيف يتسع لهذه المئات من الملايين، وكيف يتصور وصول الدماء إلى رؤوس الخيل؟

هذا الشغف، أو العشق لحرب، أو حروب كونية ما أساسه؟ ولماذا هذا العشق حتى صار من يعمل للسلام يعد مهرطقًا؛ أي: كافرًا، وضد إرادة الله؟

وسؤال أخير: لو صدر مثل هذا الحديث عن مسلمين: ماذا سيكون رد فعل الغرب؟

قضية أخيرة يقول الإنجيليون الصهيونيون: «إن المسيح سيحكم ألف عام، لذا سموا بالألفيين، وسيقتل الكفار، وسيرميهم في حفرة، وهم يتصارخون، وفي إشارة منه سيدفنون. أما نسبة القتلى فثلث العالم، ولأن البشر اليوم بحدود السبعة مليارات. فالقتلى (٣ر٢) مليار، فأي أرض تتسع لهذه المجزرة، وأي عشق للقتل هذا من رسول المحبة والسلام؟

حياة الأفكار وموتها

بلايين البشر في تكاثر، والأفكار في تعاظم، بعضها يموت - على جودته - لأنه لم يجد الفرصة للاختبار والتطبيق، وبعضها - على فداحة أخطائه - يعيش وينتشر؛ لأنه يجد في رجال الحكم والسلطة من يتبناه ويعمل لتطبيقه، والماركسية خير شاهد، فلو عاشت - فكرة - لبقيت حبيسة الكتب، ولكن بفضل وصول من يؤمن بها أقامت دولة ذات صولات وجولات، ثم ماتت من دون أن يطلق عليها أحد ولو رصاصة (رحمة). ومن الأمثلة الحية، اليوم، ما يؤمن به المحافظون الجدد، أو الألفيون. كانوا بالأمس يوصفون بالمجانين، فلما احتلوا البيت الأبيض، وحكموا العالم، راحوا يحلمون بأساطير وخرافات، عمرها ألوف السنين، وسيظلون ينفذون ما يعتقدون، حتى يطاح بهم، ويحالون على التقاعد.

د. جعفر هادي، أكاديمي عراقي متخصص في الأديان، وله أكثر من مؤلف حول اليهود وعقائدهم، يحسن اللغة العبرية، ويتابع الأفكار المتصلة بالعقائد القديمة، تحدث عن احتلال العراق من زاوية دينية، فهناك مسيحيون صهيونيون يعتمدون تفسيرًا جديدًا لنصوص قديمة، ونبوءات توراتية وإنجيلية غائمة غامضة، مثل: رؤيا يوحنا - في أواخر الأناجيل - فيفسرونها تفسيرًا جديدًا، ليسقطوه على واقع اليوم، بتعسف واضح لا لبس فيه.

هؤلاء الجماعة تعود نشأتهم إلى القرن التاسع عشر، أما ملخص ما يؤمنون به (٢) فهو:

- أن تاريخ العالم سيمر بسبعة أطوار هي: قيام إسرائيل، هجوم العرب عليها، وقوع معركة هرمجيدون الكبرى، انتشار الخراب في العالم، حدوث كثير من الكوارث، ظهور السيد المسيح، انتصاره بعد أن يقتل ثلث العالم.
- يستمر حكمه العادل ألف عام، لذا سموا بالألفيين.
- يعتقد أن الرئيس بوش ورجاله منهم، أمثال: دون إيفانز، والواعظ المهووس بيلي إغراهام، وأمثالهم من معاوني بوش.
- يعتقد هؤلاء أن احتلال العراق يمهد لظهور السيد

في عالمنا الواسع وسائل: طائرات، بوارج، سفن، شاحنات... إلخ. بعضها في خدمة الإنسان، وبعضها مخصص لقتله، ولدمار الأرض ومن عليها، وبعضها ييسر الحياة، بينما يزرع الموت الأسود والخوف.. الوسائل محايدة، والإنسان يجعلها لهذا الغرض، أو ذاك

المسيح وعودته.

- يعتقدون أن العراق سيقسم إلى ثلاثة أقسام، بناء على ما ورد في (رؤيا يوحنا) - سيأتي الحديث عنها بتفصيل - لاحقًا.

- يعتقدون أن بابل أم الأديان الكاذبة، وأورشليم (القدس) هي أم العقيدة الحقة، وهم يتجاهلون كل ما أورده النبي (إرميا) من ذم مقذع بحقها، بسبب فسادها وفسقها، فنكبها الله بسبب ذلك.

- يعتقدون أن حصول معارك في العراق قرب نهر الفرات - خلال الحرب الأخيرة - يؤكد صحة (رؤيا يوحنا)، لكنهم يتجاهلون عشرات المعارك التي حدثت قرب هذا النهر، قديمًا وحديثًا.

- يعدون الاحتلال الأمريكي للعراق، يمهد، ويعجل بعودة السيد المسيح، لذا قدموا ألوف المبشرين إلى العراق ليخبروا العراقيين بذلك.

- يعدون الاحتلال مجرد تدبير إلهي، على العراقيين أن يقبلوه.

- مهووس اسمه فرانكلين غراهام يصرح: لقد حضرنا إلى العراق: لنعبر لأهله عن حبنا؛ ولأقوم باسم السيد المسيح بذلك.

- مهووس آخر اسمه روبرتسون يقول: إن الأمور في الناس يجب أن تسير نحو الأسوأ، وليس نحو الأحسن، وعلى المسيحيين أن يعملوا على عدم تأخير عودة المسيح، فالحروب ستقود إلى عودته، لذا عليهم ألاّ يحاولوا

عالمنا - اليوم - تضربه المجاعة والزلازل والأعاصير، وتموت جماعات بسبب ذلك. ومثل هذا كان يشغل العالم بالأمس. لكن الإنسان اليوم، استجدت له اهتمامات جديدة، فهو ينتظر هذا الدمار، ويتمناه ليل نهار. فما سر هذا الاهتمام الجديد؟

تشجيع الناس على السلام؛ لأنه لن يتحقق قبل عودة السيد المسيح.. وأن كل دعوة إلى السلام، قبل العودة فهي هرطقة - أي كفر - ومخالفة لكلمة الله، وهي ضد السيد المسيح..

على مدى ألفي عام كان السيد المسيح رسول المحبة والسلام، وقال: «من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر..»، والآن تبين أن السيد المسيح صار جنرال حرب، سيأتي ويقتل ثلث العالم، فكيف حصل هذا التبدل؟ وسؤال آخر: كم من معركة، قديمة وحديثة شهدها نهر الفرات؟ بالأمس القريب كنتم تقولون: إن يأجوج ومأجوج هي روسيا، وإن عومر ألمانيا، فهل سنسمع منكم أن الصين - مثلاً - يأجوج ومأجوج، وأن إيران - مثلاً - هي عومر؟

رؤيا يوحنا اللاهوتي

تختم الأناجيل في (رؤيا يوحنا) اللاهوتي، وهي تحوي من الإصحاحات - ما يقابل السور في القرآن الكريم - وعددها ٢٢ إصحاحًا، وهي نموذج للأساطير والخرافات، وذكر لمخلوقات لا وجود لها، مع ملائكة ينفخون في أبواق فتحدث زلازل وغيرها، وتنشق الأرض، وتقسم بابل العظيمة إلى ثلاثة أقسام، وهذا ما جعل اليمين المتطرف من الإنجيليين الصهاينة، يجدون في هذه الإصحاحات كنزًا ثمينًا، وسوف أستعرض بعض ما ورد؛ لأن المرور عليها كلها - وإن كان يعطى صورة أفضل - لكن البحث هنا سيطول ويطول، لذا سأختصر قدر الإمكان، ومن يرد الاستزادة أحله على كتاب لي - تحت الطبع - عنوانه «نحن وأمريكا عشق دائم، أم طلاق بائن» وقد افتتحت به الكتاب بعد المقدمة.

الإصحاح الأول: يبدأ بالحديث عن إعلان يسوع المسيح، الذي أعطاه الله إياه؛ ليري عبده ما لا بد أن يكون من قريب،


هتلر

(وهذا القريب عمره أكثر من ألفي عام، فتأمل).

ثم يختم الإصحاح بالحديث عن سر الكواكب السبعة.

الإصحاح الثاني: يبدأ هكذا: (أكتب إلى ملاك كنيسة افس...) وينتهي هكذا: (وأعطه كوكب الصبح، من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس...).

الإصحاح الثالث: كسابقه، ولا جديد، النهاية نفسها.

الإصحاح الرابع: يبدأ بباب مفتوح في السماء.. وينتهي بتمجيد الرب.

الإصحاح الخامس: يبدأ «ورأيت على يمين الجالس على العرش سفرًا مكتوبًا، ومن ورائه مختومًا بسبعة ختوم...» لينتهي: (وكانت الحيوانات الأربعة تقول آمين، والشيوخ الأربعة والعشرون خروا، وسجدوا للحي إلى أبد الآبدين).

الإصحاح السادس: يبدأ: (ونظرت لما فتح الخروف واحدًا من الختوم السبعة...) وانتهى: (وهم يقولون للجبال والصخور: اسقطي علينا...).

الإصحاح السابع: (... رأيت أربعة من الملائكة واقفين على اربع زوايا الأرض....) وانتهى: (: لأن الخروف الذي وسط العرش يرعاهم....).

الإصحاح الثامن: يبدأ: (ولما فتح الختم السابع حدث سكوت في السماء، نحو نصف ساعة، ورأيت الملائكة السبعة الذين يقفون أمام الله، وقد أعطوا سبعة أبواق) وينتهي: (ثم نظرت، وسمعت ملاكًا طائرًا في وسط السماء يقول بصوت عظيم: ويل ويل ويل للساكنين على الأرض....).

الإصحاح التاسع: يبدأ: (ثم بوق الملاك الخامس، فرأيت كوكبًا قد سقط من السماء إلى الأرض....).

يلاحظ في هذا الإصحاح وصف لحيوانات أسطورية، لها شكل الجراد، لكنها تشبه الخيل، ومهيأة للحرب، على رؤوسها أكاليل تشبه الذهب، ووجوهها وجوه اناس، أما شعرها فشعر نساء، وأسنانها كأسنان الأسود، ولها دروع، وأذناب تشبه أذناب العقارب.. جاء في الإصحاح: «أن الملاك السادس نفخ في البوق، فسمعت أصوات، أحدها من أربعة قرون يقول الملاك السادس، الذي معه البوق: فك الملائكة الأربعة المقيدين عند النهر العظيم الفرات، فينفك الملائكة.. كي يقتلوا ثلث الناس، وعدد جيوش الفرسان مئتا الف؛ أي: ٢٠٠ مليون. (رؤيا يوحنا ١٢ - ١٦).

الإصحاح العاشر: وفيه رؤية لملاك نازل من السماء، يأمره أن يتنبأ، ولا جديد هنا.

الإصحاح الحادي عشر: يتعلق بالهيكل والذبح،

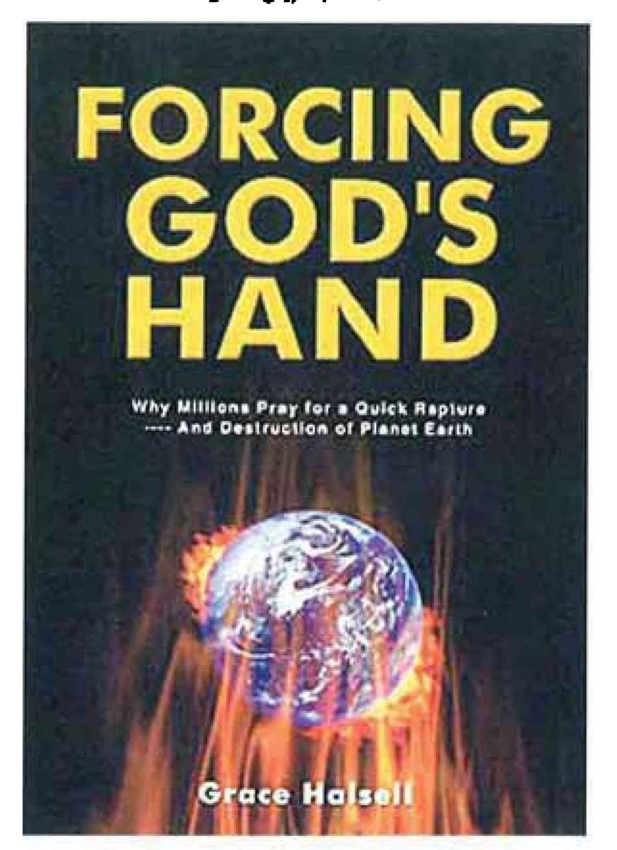
وينتهي بظهور تابوت عهده وهيكله، وتحدث بروق ورعود وزلزلة وبرد عظيم.

الإصحاح الثاني عشر: تظهر امرأة في السماء متسربلة بالشمس والقمر، على رأسها إكليل، وتحت رجليها إكليل مكون من اثني عشر كوكبًا، وهي حابلة تصرخ. وينتهي بصورة أغرب حيث يغضب (التنين) على المرأة، ويذهب ليشعل حربًا مع باقي نسلها، الذين يحفظون وصايا الله، وعندهم شهادة يسوع.

الإصحاح الثالث عشر: يبدأ هكذا: (ثم وقفت على رمل البحر، فرأيت وشاحًا طالعًا من البحر، له سبعة رؤوس وعشرة قرون، وعلى قرونه تيجان.. لينتهي بصورة أغرب (من له فهم فليحسب عدد الوحوش، فإنه عدد إنسان، وعدده ستمئة وستة وستون).

الإصحاح الرابع عشر: يبدأ هكذا: (ثم نظرت فإذا

غلاف كتاب غريس هالسل



خروف واقف على جبل صهيون.. وهنا يبدأ ذكر «بابل» (.... ثم تبعه ملاك آخر قائلاً سقطت، سقطت بابل المدينة العظيمة؛ لأنها سقت جميع الأمم من خمر غضب زناها) الإصحاح (١٤. ٩).

ولينتهي نهاية رمزية يصعب فهمها (وديست المعصرة، خارج المدينة، فخرج دم من المعصرة، حتى وصل إلى جم الخيل، مسافة ألف وستمئة غلوة).

الإصحاح الخامس عشر: فيه ذكر لآيات في السماء عظيمة، وسبعة من الملائكة معهم الضربات السبع الأخيرة، التي بها أكمل غضب الله، وينتهي الإصحاح بعدم تمكن أحد من دخول الهيكل.

الإصحاح السادس عشر: يتحدث عن وجود أصوات عظيمة في الهيكل، ونداء اسكبوا جامات غضب الله على الأرض.

وبعد حدوث زلزلة عظيمة تقسم بابل، وتسقط ـ كما ورد في (١٤) ـ (وصارت المدينة العظيمة ثلاثة أقسام، ومدن الأمم سقطت، وبابل العظيمة ذكرت أمام الله؛ ليعطيها كأس خمر سخط غضبه) الإصحاح (١٦ ـ ١٩).

لينتهي الإصحاح بكذب الناس على الله، فيضربهم ضربة عظيمة.

الإصحاح السابع عشر: يعود إلى الحديث عن الملائكة السبعة، وحديث عن دينونة الزانية العظيمة، الجالسة على مياه كثيرة، التي زنت مع ملوك الأرض حتى سكر سكان الأرض من خمر زناها.. بعد ذلك يجري حديث عن امرأة متسربلة بالزينة، تحمل كأسًا من ذهب، لكنها مملوءة نجاسات، مكتوب على جبهتها سر بابل العظيمة، أم الزواني، ورجاسات الأرض، ورأيت المرأة سكرى من دم القديسين، ومن دماء شهداء يسوع.

الإصحاح الثامن عشر: بعد ذكر لملاك نازل من السماء، يعود الحديث مجددًا عن بابل (... ويل ويل

المدينة العظيمة بابل المدينة القوية؛ لأنه في ساعة واحدة جاءت دنونتك) الإصحاح (١٨. ١١).

يتكرر في الإصحاح ذكر البكاء والنواح على (المدينة العظيمة)، لينتهي الإصحاح نهاية غريبة (لأن تجارك كانوا عظماء الأرض، وبسحرك ضلت جميع الأمم، وفيها وجد دم أنبياء وقديسين، وجميع من قتل على الأرض).

مبالغات غريبة تكشف نوعًا من حقد دفين على بابل وأهلها، حتى حملت دماء الأنبياء والقديسين وجميع من قتل على الأرض.. فلماذا هذا الحقد الأسود؟

الإصحاح التاسع عشر: يبدأ بسماع صوت عظيم، وتعظيم للرب؛ لأنه (فقد دان الزانية العظيمة، التي افسدت الأرض بزناها، وانتقم لدم عبيده من يدها) الإصحاح (١٩. ٢).

ينتهي الإصحاح نهاية غريبة (... والباقون قتلوا بسيف الجالس على العرش، الخارج من فمه، وجميع الطيور شبعت من لحومهم).

والسؤال: هل صحيح ان بابل أفسدت الأرض بزناها، فانتقم الله لدم عبيده؟ أم هذا من أماني إنسان حاقد؟

إن من يقرأ أسفار النبي (إرميا) يجد هذا الكلام كله - وأكثر منه - جاء بحق أورشليم (القدس)... فكيف تحولت النقمة إلى بابل؟ ولماذا؟

الإصحاح العشرون: فيه كلام غامض عن ملاك نازل من السماء، ومعه مفتاح الهاوية، والنهاية أغرب إذ كل من يوجد مكتوبًا في سفر الحياة طرح في بحيرة النار.

الإصحاح الحادي والعشرون: فيه حديث عن مدينة جديدة، وأرض جديدة، وملاك يحمل (قصبة) من ذهب يقيس المدينة وأبوابها وسورها، مدينة أحجارها ياقوت أزرق، وعقيق أبيض، وزمرد، سورها من ذهب نقي كزجاج شفاف، وهي لا تحتاج إلى شمس ولا قمر؛ لأنها تنار بمجد الله، والخروف سراجها، فتمشي شعوب المخلصين بنورها، ولا يدخلها دنس، ولا من يصنع رجسًا وكذبًا.

اللافت للنظر أن الحديث عن بابل يسميها باسمها، وينسب إليها جرائم كبرى، لكن مدينة الرب مجهولة، وتشبه - إلى حد كبير - ما جاء في التوراة بالنسبة إلى الهيكل يلاحظ إسفار الملوك الأول الإصحاحات (٦، ٥).

الإصحاح الثاني والعشرون: وبه تختم رؤيا يوحنا، ويبتدئ الحديث: أنا يسوع أرسلت ملاكي لأشهد لكم بهذه الأمور، عن الكنائس..

ويطلب عدم الزيادة، أو الحذف من اقوال هذه النبوة، مع الوعيد لمن يفعل ذلك..

لقد أطلت ليصبح القارئ على علم بهذه الرؤية، لأن (الألفيين) نفخوا فيها الحياة، ويحاولون إسقاط ما فيها من حرب يقتل فيها ٢٠٠ مليون من البشر، وأما تقسيم بابل فيرون أن المقصود تقسيم العراق - اليوم - إلى ثلاث دول، كردية في الشمال، وسنية في الوسط والغرب، وشيعية في الجنوب، وقد أعدوا الخرائط قبل سقوط بغداد، وهم - كما سيأتي - يعملون لتحقيق هذه (الرؤيا)، ويصرحون بذلك.

كتاب يد الله

الكاتبة غريس هالسل لها كتاب عنوانه «يد الله»

لا يصدق عاقل أن أمريكا مهددة من قبل السودان، أو أفغانستان، أو العراق، أو كوبا، وبالمثل لا أحد يعتقد أن إسرائيل في خطر، ولديها الأسلحة الأمريكية كافة، والقنابل النووية، وكل ما تنتجه من سلاح، وتبيع بعضه إلى العالم

ترجمه من الإنجليزية محمد السماك، وفيه كثير من التفاصيل التي يؤمن بها (الألفيون) . المحافظون الجدد . الذين يؤمنون أكبر إيمان بما ورد في التوراة و(رؤيا يوحنا) في الأناجيل.

درس المحافظون الجدد (رؤيا يوحنا) واستنتجوا أنه حان موعد عودة السيد المسيح، لكنهم ربطوا العودة بمقدمات من كوارث طبيعية وحروب ونزاعات، بحيث يذهب ثلث العالم: أي: ملياران وثلث، وهذه المعتقدات لو كان يؤمن بها عوام الناس لما كانت لها قيمة، ولكن هؤلاء . اليوم . يسيطرون على الحكم في امريكا، وهنا تكمن الخطورة، هناك مثل يقول: مجنون يرمي حجرًا في بئر، فيحتاج إلى عشرات العاقلين ليستخرجوه، الحرب يمكن أن يشعلها مجنون عظمة، أو معتوه، لكن السلام يحتاج إلى ألف عاقل.

بضعة مهووسين يدرسون أساطير غامضة، ثم يفسرونها تفسيرات خطيرة، قد تجر العالم إلى حرب كونية، وهنا مربط الفرس...

يقف على رأس الهرم في الدولة رجل يقول: الله أمرني، الله قال لي، الله كلفني، واقسم بالله سأفعل... إلخ.

بالأمس وقف إسرائيلي في محكمة متهمًا بتفجير سيارات، وقتل مسؤولين عرب في فلسطين، وهو يتباهى بأن الله امره بذلك، ويسألني قاضي المحكمة: هل عينك الله قاضيًا؟؟

لنتصور ان عشرة من حكام العالم مثل: الصين، والهند، وروسيا، قالوا، أو اعتقدوا أن الله تعالى استعمل الجوال، وأمرهم بإشعال حرب، واستعمال كل ما لديهم من سلاح، فماذا سيكون حال العالم؟

لا يكفي أن يقال: هذا جنون، والجنون فنون. فالمجانين لهم مستشفيات خاصة تحويهم، لا أن يديروا أمر الدولة، وتكون مفاتيح الحرب والسلم بأيديهم، القضية خطيرة، بل خطيرة جدًا.

وارجو ان الاّ يتهمني أحد بكره هؤلاء، واختراعاتهم لهم ولبلدهم، لذا سأذكر كل قول وصاحبه، وعلماؤنا يقولون: ناقل الكفر ليس بكافر.

سأكثر النقل عن غريس هالسل، فهي غير متهمة، وقد كتبت كتابين بالإنجليزية وجرت ترجمتهما، فأنا لا أنقل عن وثائق سرية، ولا عن إنسان متهم، ومن نقلنا أقوالهم ليسوا نكرات، ولا من موظفي الدرجة الثانية، أو الثالثة، فهم بين وزير في الحكم، أو واعظ تحت تصرفه محطات وإذاعات، وبعضهم ضباط في الجيش، وفي الخدمة الفعلية، وكلهم من الأحياء، لا أطال الله حياتهم، ولا متع البشرية بهلوستهم وجنونهم.

لقد علمتنا التجارب ان الحرب أولها كلام، يشعلها مجنون عظمة، مثل هتلر، أو ستالين، ومتى اشتعلت فهيهات أن تخمد.

وقديمًا قال الشاعر:

خلق الله للحروب رجالاً
ورجالاً لقصعة وثريد

وما الحيلة إذا كان بعضهم كما قال الشاعر:

كلما أنبت الزمان قناة
ركب الناس في القناة سنانا

اليمين المسيحي راغب ـ بكل قوة ـ في إشعال حرب نووية تحقيقًا لنبوءة مقدسة، حيث تعمل ٢٥٠ منظمة أصولية في أمريكا، تعمل كلها ممالئة لإسرائيل، ولها عدة أنشطة، كلها تصب في مصلحة أمريكا، وعلى رأسها القيام برحلات سياحية لإسرائيل

في عـالمنا الواسع وسـائل: طائرات، بوارج، سـفن، شاحنات... إلخ، بعضها في خدمة الإنسان، وبعضها مخصص لقتله، ولدمار الأرض ومن عليها، وبعضها ييسر الحياة، بينما يزرع الموت الأسود والخوف.. الوسائل محايدة، والإنسان يجعلها لهذا الغرض، أو ذاك.

وعودة للسادة (المهووسين) لأنقل ما يعتقدون وما يقولون:

- القس كين بورغ، يحذر من انفجار حروب - قبل سيعيشون كامل حياتهم.. وأن الله سيتخلص من العالم والكون، وسيدمر الأرض والسماء، وأخيرًا المليارات من البشر ستموت في محرقة هرمجيدون (٣). إن كل ما تقدم مأخوذ من رؤيا يوحنا السابقة.

- تقول غريس هالسل: إن شهرة عقيدة هرمجيدون قد تجاوزت (المعتوهين) ووصلت إلى أرفع مستوى في السلطة الحكومية (٤) الأمريكية.



طبول الحرب .. من يدقها؟



الدمار جزء من حياة الفلسطينيين

معركة هرمجيدون الكبرى - ويقرر بثقة أنه سيُقْتَلُ واحد من كل اثنين، خبر مفزع أليس كذلك؟

الواعظ الإنجيلي فولويل، والنجم التلفزيوني المشهور، يرى أن معركة هرمجيدون حقيقة مرعبة، ونحن جزء من جيل النهاية، وأعتقد أن أولادي

- تقول غريس: إن العميد جون فالوورد ناداني، حيث كنت أتسلق مدرج كلية اللاهوت في دالس، وطلب أن أقابله، رأيته يحمل كتابًا مقدسًا كبيرًا، قال لي: الله لا ينظر إلى جميع أبنائه بالطريقة نفسها، سألته: ماذا عن مليار مسلم في العالم؟

أجاب د. جون: أخبرني الرب (كذا) أن له مخططاته، لليهود وللنصارى، وليس لغيرهم، حتى يصبحوا نصرانيين، لقد أعد الله خططاً سماوية للنصارى، وخططاً أرضية لليهود..

قالت غريس: سألته أي خطط أرضية لليهود؟ فأجاب: إعادة إقامة إسرائيل عام ١٩٤٨م، فقد كانت تحقيقاً لنبوءة توراتية، وهي إشارة مؤكدة أن ساعة النبوءات التوراتية تدق، وإننا نقترب بسرعة من الأحداث الأخيرة التي تقود إلى عودة السيد المسيح(٥).

معلومة جديدة يقدمها (عميد كلية): إن الله تعالى فتح مكتب خدمات (خاصة) لليهود والنصارى، وأين كان هذا المكتب قبل عشرات السنين، يوم كان يكتب على واجهات المطاعم لا نقبل الكلاب واليهود؟ أليس ذلك الوقت هو الأنسب (للخدمة)؟!! وما مصير شعوب الله التعيسة رغم عدالة قضاياها؟؟!!!!

هذا ما يقوله (عميد كلية)، فماذا يقول (حمال) في نيويورك؟

- تقول غريس في مطلع عام ١٩٩٩م اعتقلت الشرطة الإسرائيلية مجموعة من (القدريين الأمريكيين) قدموا من دنفر في أمريكا، يطلقون على أنفسهم (المسيحيين المهتمين) - مهتمين بماذا؟! - اعتقلتهم الشرطة، وأبعدتهم إلى أمريكا، واتهمتهم بالتخطيط لـ (نهاية دموية) هدفها (تسريع عودة المسيح).

وقيل: إنهم خططوا لتدمير الصرح الإسلامي الأكثر قداسة في القدس (المسجد الأقصى).

تقول غريس: إن هذه المجموعة في اندفاعهم إلى استبدال الأقصى ليستبدل به معهد يهودي، لا يختلفون عن غيرهم من (القدريين)، الذين يؤمنون بأن الله يريد ذلك(٦).

أما الأغنياء - في أمريكا - فيقدمون المال من أجل تنفيذ هذا المخطط(٧).

مستوطنون أمريكيون: لتكن الحرب الكبرى

تذكر غريس هالسل أن المستوطنين الأمريكيين، يشكلون ثلث المستوطنين في إسرائيل، ومعظمهم جاء من نيويورك، قابلت غريس أحد المغاوير الأشاوس، واسمه بوبي براون من بروكلن، فكان مما سمعته منه: إذا كان تدمير المسجد الأقصى من أجل بناء (الهيكل) سيتسبب في قيام حرب كبرى فلتكن!!

وتعلق غريس: إنه مثل آخرين يحمل رشاشاً للجيش الإسرائيلي، وينادي: «إن وجود مسجد قابع في وسطنا يشعرنا بوجود وصمة عار في جبيننا(٨)» ونحن نعتقد أن شخصاً مثل براون يشكل وصمة عار في جبين البشرية!!»

مطالب عظيمة

تسجل غريس مطالب عظيمة جداً لأمريكيين أكثر صهيونية من الصهاينة، فتقول: لقد أقمت في منزل (ليندا، وبوبي براون) وذات مساء قلت لهما: إن بناء الهيكل عن طريق تدمير المسجد الأقصى يمكن أن يشعل حرباً كارثية. فرد براون: تماماً نحن نريد هذا النوع من

درس المحافظون الجدد (رؤيا يوحنا). واستنتجوا أنه حان موعد عودة السيد المسيح. لكنهم ربطوا العودة بمقدمات من كوارث طبيعية وحروب ونزاعات. بحيث يذهب ثلث العالم: أي: مليارات وثلث. وهذه المعتقدات لو كان يؤمن بها عوام الناس لما كان لها قيمة. ولكن هؤلاء - اليوم - يسيطرون على الحكم في أمريكا

الحرب، وسنربحها، وعندئذٍ سنطرد كل العرب من أرض إسرائيل، ثم نعيد بناء الهيكل (٩)..

من حقنا أن نتساءل: لو صدر مثل هذا الحديث عنا، فما رد الفعل في الغرب؟

لنمجد الرب ونرسل السلاح لإسرائيل

لا أحد اليوم يهدد إسرائيل، لكنها تهدد كل الجيران، وتصل تهديداتها إلى باكستان وغيرها.. الأصوليون الإنجيليون يتلاعبون بالنصوص الدينية، ويتعسفون في تفسيرها، فلا يجرؤ أحد أن يقول لهم كلمة.

غريس تحاور شخصًا اسمه بيرلموتر حول معركة هرمجيدون، وموقف النصارى من اليهود، ووجوب إيمانهم وإلا قتلوا، يتهرب البطل مثل غيره، في حركة نفاق واضحة، ويردون: علينا دعم إسرائيل حاليًا، فإذا جاء المسيح عندها نفكر، أما الآن فلنمجد الرب، ولنرسل السلاح إلى إسرائيل (١٠).

ونسأل: ما العلاقة بين تمجيد الرب وإرسال السلاح، إلى من ليس بحاجة إلى السلاح؟

لماذا العسكرة؟

لا يصدق عاقل أن أمريكا مهددة من قبل السودان، أو أفغانستان، أو العراق، أو كوبا، وبالمثل لا أحد يعتقد أن إسرائيل في خطر، ولديها الأسلحة الأمريكية كافة، والقنابل النووية، وكل ما تنتجه من سلاح، وتبيع بعضه إلى العالم، وإذًا فلماذا هذه الحماسة الكبيرة جدًا لعسكرة إسرائيل؟

بعض الإنجيليين، مثل دوجلاس كريكر، يرى أن اليمين الديني يستطيع أن يسوق للأمريكيين فكرة أن الله يريد أن تكون إسرائيل عسكرية ومعسكرة، وكلما كانت كذلك، كان اليمين الأمريكي أكثر دعمًا لها، بل أشد انجذابًا إليها (١١).

طبول الحرب تضرب بقوة في أمريكا، ويأتي الصدى من إسرائيل. تناغم غريب، وغرام أغرب وأعجب. فالمطلوب حرب لا تبقي ولا تذر، بحجة أن هذه الكارثة تمهد لعودة السيد المسيح.. المفكرة غريس متابعة، ومهتمة بهذه الظاهرة، وقد كتبت كتابين: الأول (النبوءة والسياسة)، والثاني (يد الله)

ونسأل: كيف علم اليمين أن الله تعالى يريد عسكرة إسرائيل، وما الطريقة لمعرفة ذلك؟

والسؤال الأخير: هل الغرام مبعثه الخوف على إسرائيل، أم الحقد على العرب والمسلمين، أم هي طموحات تطلى بطلاء ديني، أم هذا وذاك معًا؟

الفشل في حماية إسرائيل

اليمين الإنجيلي الجديد صار إسرائيليًا أكثر من اليهود، جيري فولويل من أكبر رموز النفاق في العالم يعلن: على المسيحيين أن يدعموا إسرائيل، وإذا فشلنا في حماية إسرائيل؛ فلن نبقى مهمين في نظر الله (١٢).

غريس تعتقد أن القدريين الأمريكيين يحبون إسرائيل، أكثر من الإسرائيليين... عشق جديد لم يعرفه العالم من قبل، وربما من بعد!!

إسرائيل وعودة المسيح

عمر إسرائيل نصف قرن، وعمر المسيحية جاوز ألفي عام، فكيف ظهر هذا العشق فجاة، وأين كان قبل قيام إسرائيل؟

غريس استوقفها هذا العشق، فدرست الموضوع،

وتوصلت إلى (١٣):

- أن شهرة القدريين اتسعت أخيرًا، وصار نشاطهم في كل مكان من أمريكا.
- يبشرون بعقيدة هرمجيدون، مع كونهم (غير ساميين) وهم يزاودون على الإسرائيليين.
- يعتقدون أن قيام إسرائيل يجعل منها محطة لنزول السيد المسيح وعودته، ومع ذلك يتحدثون باحتقار عن اليهود إنه عشق غريب.
- لهم نظرة ضيقة جدًا إلى الله تعالى وإلى البشر، فهم يعبدون إلهًا (قبليًا) لا يهتم من البشر إلا باليهود والمسيحيين، وكل ما عندهم يدور حول إسرائيل.
- يعتقدون أن الله وضع اليهود وعددهم (١٤) مليونًا، على مسار أرضي، بينما وضع مليارًا من المسيحيين على مسار سماوي، أما باقي البشر فلم تسجل شاشات الرادار لهم وجودًا، إلى أن يدعوهم الله إلى التقدم لمحرقة (هرمجيدون).
- من أعاجيبهم أنهم يزعمون أنهم يفهمون (عقل الله).
- يعتقدون أن العالم يزداد سوءًا، لكنهم لا يبذلون أي جهد للتغيير، وكهنتهم يؤمنون (بإله الغضب والانتقام والحرب)، ويعلنون أن الله لا يريدنا أن نعمل من أجل السلام، بل يريد أن نشن حربًا (نووية) تدمر الأرض.
- تقول غريس: سمعت الواعظ فولويل يصرخ: لم يكن المسيح جبانًا ولا مخنثًا، بل هو على صورة جنرال بخمسة نجوم، يمتطي جوادًا، ويقود جيوش العالم كلها، متسلحًا برؤوس نووية؛ ليقتل المليارات من الناس.

صورة السيد المسيح على مدى ألفي عام كانت: المسالمة ومحبة حتى الأعداء، عاش يكرر: «من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر».

فكيف تغيرت هذه الصورة فجأة؟ ومتى نجد طبعة جديدة للأناجيل كلها تدعو إلى الحرب والقتل والدمار؟ وربما عليها ختم وزارة الدفاع الأمريكية!!

إن عدالة الله مطلقة لا تعرف العنصرية ولا المحاباة، والمسارات الأرضية لليهود، والسماوية للنصارى، والقتل والدمار لغيرهم، هذه من أحلام (القطط) التي تدور كلها حول (الفئران).. وصدق رسولنا صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «الخلق عيال الله أقربهم إليه أنفعهم لعياله».

تذكر غريس هالسل أن المستوطنين الأمريكيين يشكلون ثلث المستوطنين في إسرائيل. ومعظمهم جاء من نيويورك. قابلت غريس أحد المغاوير الأشاوس، واسمه بوبي براون من بروكلن. فكان ما سمعته منه: إذا كان تدمير المسجد الأقصى من أجل بناء (الهيكل) سيتسبب في قيام حرب كبرى فلتكن!!

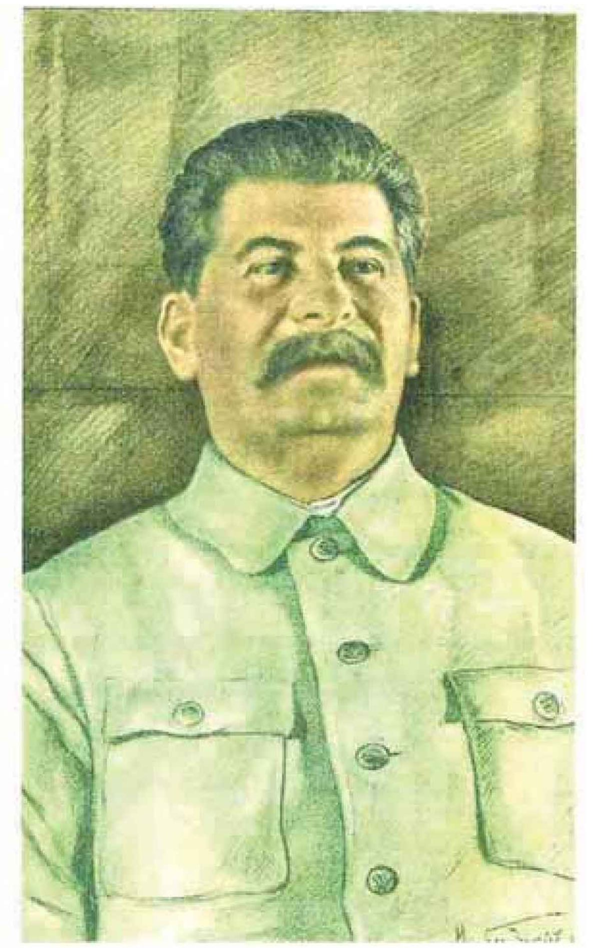
الحمار بوريدان وقيادة العالم

من الأساطير اليونانية الجميلة، أن حمارًا اسمه (بوريدان) تعلم الفلسفة، لكنه لم يشتغل بالسياسة، جاع يومًا وعطش، وجاء من يقدم له الطعام والماء، لكن الفيلسوف طيب الذكر بوريدان أدركته (حرفة الفلسفة) فراح يفكر: هل يأكل أولاً ثم يشرب، أم يشرب أولاً ثم يأكل؟، طال تفكيره وطال، ثم مات جائعًا عطشًا، قبل أن يحسم الأمر.

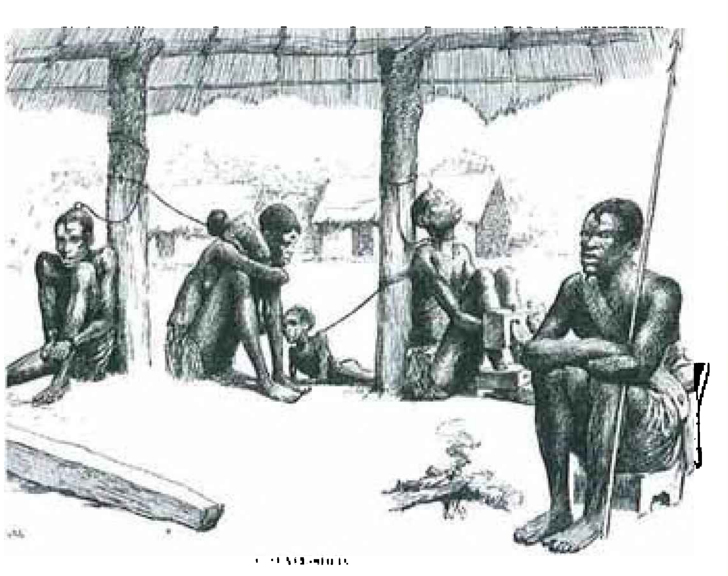
ذكرت (الواقعة) لصديق فتحسر على الحمار الفيلسوف، وقال: لو عاش حتى اليوم ربما صار زعيمًا عظيمًا لدولة كبرى، فهو صاحب مواهب فلسفية، ربما أكبر من بعض الزعماء، ولم يزد!!

جنون الحرب تجتاح أمريكا، بحيث تدمر العالم كله، وتنقل عن مهووس اسمه (هول ليندسي):

- ربما من يحفظ رؤيا يوحنا، يقل: فكروا في الأمر، هناك ٢٠٠ مليون جندي من المشرق - أي مشرق؟ - على الأقل، مع ملايين أخرى، من قوات الغرب، سيضربها المسيح، أولئك الذين اجتاحوا مدينة القدس، ثم يضرب



ستالين



استعباد السود بتسويغ توراتي

جنون الحرب والدمار

عالمنا - اليوم - تضربه المجاعة، والزلازل، والأعاصير، وتموت جماعات بسبب ذلك، ومثل هذا كان يشغل العالم بالأمس، لكن الإنسان اليوم، استجدت له اهتمامات جديدة، فهو ينتظر هذا الدمار، ويتمناه ليل نهار، فما سر هذا الاهتمام الجديد؟

المفكرة والكاتبة غريس هالسل تتحدث عن موجة من

الجيوش المتكدسة في وادي (مجيدون)، وعندها تصل الدماء إلى (جمة الخيل)، على مساحة ٢٠٠ ميل من القدس (١٤).

هول لا يقف عند حدود ما ورد في (رؤيا يوحنا) بل يزيد من عنده: إن كل مدينة من مدن العالم ستدمر: لندن، وباريس، وطوكيو، ونيويورك، ولوس أنجلس، وشيكاغو كلها ستمحق تمامًا (١٥).

ولدي جملة أسئلة:

- كيف يقبل عقل حشد ٢٠٠ مليون من جنود المشرق مع ملايين من المغرب يجتاحون مدينة صغيرة مثل (القدس)؟
- هذه الملايين ستتكدس في واد صغير (وادي مجيدون) فكيف يحصل ذلك؟
- سيضرب السيد المسيح هذه الجيوش فتسيل الدماء، حتى تصل رؤوس الخيل؟ فكيف ذلك؟
- معركة تدور حول القدس، ملايين تتقاتل حتى تفنى، فما علاقة ذلك بلندن، وطوكيو، ونيويورك، وكيف تخرَّب، وبماذا؟

طبول الحرب تُضرب

طبول الحرب تُضرب بقوة في أمريكا، ويأتي الصدى من إسرائيل، تناغم غريب، وغرام أغرب وأعجب، فالمطلوب حرب لا تبقي ولا تذر، بحجة أن هذه الكارثة تمهد لعودة السيد المسيح.. المفكرة غريس متابعة، ومهتمة بهذه الظاهرة، وقد كتبت كتابين: الأول (النبوءة والسياسة)، والثاني (يد الله).

في الأول تقول(١٦): إن اليمين المسيحي راغب - بكل قوة - في إشعال حرب نووية تحقيقًا لنبوءة مقدسة، حيث تعمل ٢٥٠ منظمة أصولية في أمريكا، تعمل كلها مماثلة لإسرائيل، ولها عدة أنشطة، كلها تصب في مصلحة أمريكا، وعلى رأسها القيام برحلات سياحية إلى إسرائيل.

والسؤال: نصوص (رؤيا يوحنا) عمرها ألوف السنين، فلماذا يعاد استثمارها من جديد، وما الهدف من ذلك؟

فتاوى دينية، أم منشورات سياسية؟

ملايين من الناس شغلهم الشاغل دعم إسرائيل، الجديد في الأمر أن هذا الدعم صار السبيل لبقاء أمريكا السياسي والروحي وهذا التزام ديني مبني على نبوءات، مع الإيمان بأن اليهود شعب الله المختار.

الواعظ الأصولي جيري فالويل - مؤسس منظمة الأغلبية الأخلاقية - يرى: أن الرب يعامل الشعوب حسب تعاملها مع إسرائيل، وأنه بارك ويبارك أمريكا؛ لأن إبراهيم باركها، واليهود باركوها، فإذا انقلبت أمريكا على إسرائيل، فالرب لن يقيم لأمريكا وزنًا، وأن أهمية الأمريكيين مرتبطة - في نظر الرب - بتنفيذ إرادته في دعم إسرائيل (١٧).

والسؤال: هذه فتوى دينية، أم منشور سياسي؟

وللعلم حين اكتشفت أمريكا قال الحاخامات اليهود: لا يوجد شيء اسمه أمريكا؛ لأن التوراة ذكرت كثيرًا من مدن العالم ولم تذكر أمريكا.

وإذا سألنا الواعظ العظيم على أي نص يعتمد فماذا يقول؟

نحو المزيد من الهلوسة

في أمريكا مصانع من كل لون، والجديد هو الهلوسة، كتب تطبع تبشر بعودة السيد المسيح تباع منها ٦٠ مليون نسخة.

شخصية السيد المسيح المحبة للفقراء، المتسامحة، صارت - من دون مقدمات - شخصية دموية تقتل الملايين، بل تحفر حفرًا كبيرة، يلقى بها الأحياء، ويهال عليهم التراب وهم يتصارخون، هذا هو الجديد.

كاتب أمريكي اسمه نيكولا كريستوفر يصور هذا الطاعون الجديد، فقد كتب في (نيويورك تايمز) قائلاً(١٨): إذا صدقت آخر القصص (الإثارة الإنجيلية) - من سلسلة الذين تخلفوا عن الركب - فإن يسوع المسيح سيعود إلى الأرض، ثم يجمع غير المسيحيين ويضعهم إلى يساره، ثم يلقي بهم في النار الأبدية.. والسيد لن يتكلف كثيرًا، فما إن يرفع يده قليلاً حتى

يحدث (شق عظيم) في الأرض، يمتد بطول وعمق يكفيان لابتلاع هؤلاء جميعًا، إذ يهوون - في هذه الحفرة - وهم يتصارخون، وسرعان ما تختفي أصواتهم، حيث ينغلق الشق والحفرة.

هذه الرواية بيع منها ٦٠ مليون نسخة، وهي تتحدث عن عودة السيد المسيح، للقضاء على غير المسيحيين وإبادتهم.. وهكذا يحتفل بتطهير عرقي، وكأنه قمة الإيمان.. لو كتب مسلمون نموذجًا مشابهًا، ونشروه في السعودية مثلاً، وجرى وصف لذبح ملايين البشر وقتلهم (بفعل إلهي)، لعلا صراخنا وعويلنا، ومع ذلك فقد اتبعنا خطا أكثر الناس تطرفًا، والذين يوصفون - عادة - بعدم التسامح، لقد حان الوقت لنزيل الغشاوة عن أعيننا.

رواية (الظهور المجيد) ترسم: كيف سنطلق المسيح، وكيف تتمزق أجساد الأعداء، لدرجة يتوجب على المسيحيين أن يسيروا بحذر ليتجنبوا الاصطدام بأشلاء الناس والخيل معًا.

أما الخيالة، الذين لم يسقطوا، فهم يقفزون عن خيلهم، بينما هم يحاولون ذلك، تتساقط لحومهم، وتذوب أعينهم، وتسقط ألسنتهم، ثم تسقط خيلهم هياكل عظمية.

هذه الصورة الدامية لمصلحة من يجري نشرها؟

هذه الصورة تعكس تغيرًا لصورة السيد المسيح، فمن شخصية رقيقة محببة، إلى مسيح محارب، يحكم فوق (بحر من دماء)، فهل ظهر التعصب المسيحي لمواجهة التشدد الإسلامي؟

في الماضي كان الأمريكيون يقرؤون (الكتاب المقدس)؛ ليفهموا أن السود منهم ملعونون، من نسل (حام)، والله خلقهم هكذا، كي يتم استعبادهم. وفي القرن التاسع عشر قبل ملايين الأمريكيين بصدق هذا

ملايين من الناس شغلهم الشاغل دعم إسرائيل. الجديد في الأمر أن هذا الدعم صار السبيل لبقاء أمريكا السياسي والروحي وهذا النزام ديني مبني على نبوءات. مع الإيمان بأن اليهود شعب الله المختار

التسويغ التوراتي للعبودية، على أنه كلمة الله، لكن من المؤكد أن من الخطأ التذرع بهذه السخافات العنصرية، لمجرد أن الاعتراض عليها قد يبدو - وبصور مختلفة - على أنه تشويه للإيمان الديني. إن من حق الناس أن يؤمنوا برب عنصري، أو رب يلقي الملايين - من غير الإنجيليين - في النار.. لكن يجب أن تنتابنا الدهشة حين نجد أكثر الكتب مبيعًا عندنا، حين تجد عدم التسامح، والعنف ضد الكفار، فكل هذا مما لا يدافع عنه، وأشك أن هذا ما يريده الله.

فهل هذه الهلوسة مطلوبة لتسويغ الحروب المشتعلة هنا، أو هناك، وتسويقها إلى مبشرات السيد المسيح، وحكمه الذي سيستمر ألف عام، وليقضي على الكفار الأشقياء وحيواناتهم.

من يصدق - والبشر اليوم في حدود سبعة مليارات - أنه سيقتل ستة من كل سبعة من البشر، ويوضعون في حفرة، بحيث تتسع لهم جميعًا. والقضية الثانية ما مصير اليهود؟ الكل يخاف من ذكر ذلك!!

البعد الديني في السياسة الأمريكية

هذا عنوان كتاب للدكتور يوسف حسن، أصله رسالة دكتوراه قدمت إلى جامعة القاهرة عنوانها: «البعد الديني في السياسة الأمريكية، تجاه الصراع

العربي الإسرائيلي، وقد نشر مركز دراسات الوحدة العربية الرسالة، وأعيد طبعها خمس مرات، آخرها عام ٢٠٠٥م.

الكتاب يدرس بعمق الأمور الدينية في السياسة الأمريكية، وتأثيرها في كل من المجتمع والدولة، مع الانحياز المتزايد إلى إسرائيل، وجعل السياسة الأمريكية متطابقة تمامًا، ومتماهية مع سياسة إسرائيل، وأحيانًا أكثر تشددًا منها.

ويلاحظ أن اليهود يتذكرون العلمانية حين تكون لمصلحتهم، ويتناسونها حين لا تكون كذلك، فهم يحتجون على مسألة شكلية حين تقوم حكومة واشنطن بتزيين الحدائق بمناسبة عيد الميلاد، فيحتج اليهود، ويتذكرون العلمانية، ولكن حين تتحدث واشنطن عن قيام إسرائيل، والوعود التوراتية، وحقها الديني والتاريخي، هنا يلتزم اليهود الصمت؛ لأن موت العلمانية هنا نافع ومفيد.

وبينما تمنع إسرائيل دعوة اليهود في إسرائيل إلى تغيير دينهم، وكل من يفعل ذلك، ولأسباب مادية صرف، تسكت إسرائيل واليهود عن نشاط البروتستانت في إسرائيل؛ لأنهم يتبرعون لإسرائيل بالمال، ويؤيدونها سياسيًا.

في الكتاب خاتمة رائعة جاوزت ٢٠ صفحة، لخصت أفضل ما في الكتاب...

الكتاب يكشف ويجلي الأصولية المسيحية الصهيونية ونشاطها في كل حقل، سواء في السياسة، أو الكونجرس، أو الإعلام، وكلها اليوم في خدمة إسرائيل، ولذا فثمة سكوت بل تأييد لكل ما تفعله إسرائيل، ولو عاد بأكبر الضرر على سمعة الولايات المتحدة، وأفقدها آخر الأصدقاء في العالم...

وهنا آتي على التفسير الأسطوري للتاريخ، وهو قائم على قراءة متعسفة لنصوص قديمة غامضة مبهمة، ومحاولة إنزالها على واقع اليوم، البعيد كل البعد عن تلك النصوص.

في أمريكا مصانع من كل لون، والجديد هو الهلوسة. كتب تطبع تبشر بعودة السيد المسيح تباع منها ٦٠ مليون نسخة. شخصية السيد المسيح المحبة للفقراء، المتسامحة. صارت ـ من دون مقدمات ـ شخصية دموية تقتل الملايين، بل تحفر حفرًا كبيرة، يلقى بها الأحياء، ويهال عليهم التراب وهم يتصارخون

الهوامش والمراجع

١. يد الله، ص٢٣.
٢. صحيفة الحياة، ٢٤/١٠/٢٠٠٣م، ٢٨/٨/١٤٢٤هـ.
٣. يد الله، ص١٤، طبعة ثانية ٢٠٠٢م.
٤. المرجع نفسه، ص١٨.
٥. المرجع نفسه، ص٥٠.
٦. المرجع نفسه، ص٦٤.
٧. المرجع نفسه، ص ٦٥، ٦٧.
٨. المرجع نفسه، ص٧٢.
٩. المرجع نفسه، ص٧٢.
١٠. المرجع نفسه، ص٨٢، ونشرت صحيفة الحياة على الصفحة ١٣ في ١٨/٧/٢٠٠٦م، أن أمريكا سلمت إسرائيل ٥٠٠٠ من القذائف بين قنبلة وصاروخ قبل حرب لبنان الأخيرة.
١١. المرجع نفسه، ص٨٤.
١٢. المرجع نفسه، ص٩٢.
١٣. المرجع نفسه، ص١٠٩.
١٤. هذه التفاصيل مأخوذة من (رؤيا يوحنا).
١٥. يد الله، ص٢٣.
١٦. الإمبراطورية الأمريكية، ٢/٢٠٧. (مجموعة من الكتّاب).
١٧. المرجع السابق.
١٨. صحيفة الدستور الأردنية، في ٢١/٤/٢٠٠٤م.



في عــرس ابن زيدون
انطباعات وتداعيات

محمد الجلواح
الأحساء ـ السعودية

الدخول بالدمع، والتلويح باليد العاشقة.

الزمان: شهر أكتوبر عام ٢٠٠٤م.

المكان: مدينة قرطبة بمملكة إسبانيا.

المناسبة: انعقاد الدورة التاسعة لـ (مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري)، التي تحمل اسم عاشق ولادة بنت المستكفي، الشاعر القرطبي الأندلسي: (أحمد بن عبدالله بن زيدون)، صاحب النونية الخالدة:

اضحى التنائي بديلاً من تدانينا
وناب عن طيب لُقيانا تَجافينا

قلت لي قرطبة؟

ـ نعم..

ـ مرحى قرطبة، الأندلس:

ـ لا أعرف كيف أبدأ الحديث معك عن قرطبة، أو منها، فالحديث ذو شجون، ولا أعتقد أن هناك عربيًا مسكونًا بالحرف، إلا وتغنى بهذا البيت السالف الذكر، أو بشيء من تلك النونية العجيبة..

تسافر الروح قبل الجسد إلى بقعة من بقاع الأجداد، حيث ضجيج المكان الصامت، وضجيج الذكرى، وطغيان



الحضور إلى الموقع، والحالة..

يقف الشاعر اللبناني الكبير جورج شكور صادحًا، وهو يطل في الأمسية الشعرية الأولى، إذ كان أول المشاركين فيها وهو يقول:

لابن زيدون رفــعنا العلمــا

ومــشى الشــرق إلى الأندلس

في استحضار ذكي لـ (سينية) لسان الدين بن الخطيب المعروفة..

. هكذا يحط قطار مؤسسة البابطين في أرض الأندلس العربية.

حينما حطت الطائرة في أرض مدريد عاصمة إسبانيا أول مرة.. انثال القلم يكتب بشكل هستيري تلقائي: هل أنادي الجرح، أم أتغنى المجد التالد، أم أبكي الحاضر، أم أفرش الأمل، وأعيش الواقع؟ فهذه الأندلس. أيها القادم من الشرق العربي.. من الأحساء. كلمة ما إن تقال برنينها وحنينها.. إلا وتشعر أنها جرح غائر في وجدانك.. تنثال عليك بكل مدنها، وحواضرها وممالكها، ودويلاتها، فتغص حين تنطقها، ويهفو فؤادك حين يرنو إليها، وتترقرق



نافورة سباع تعكس روعة الإبداع الفني

دموعك من أجلها، فهي نقطة واقعة في جسد عربي (سابق)، وهي مساحة، وحرف، وجرح، ولمحة بعيدة..

الأندلس.. تتزاحم فيها رائحة الغدو والرواح، والتلويح بالأيدي التي تحاكي الوداع، عبثًا في محاولة مناداة الزمن الأندلسي، الذي ترك مسافة تدوي في غضون التقاويم أكثر من سبعة قرون..

يا الله.. ما أصعب هذا الوجع المزمن - التاريخ، وما أسرعه، وآلمه وأغربه!..

تتلاحق هذه السنوات بين فكي الحدثين (الليل والنهار)، كأنها مطبوعة تلفظها أسنان المطابع بسرعة بسرعة، ولم تستطع كل حروف الرصد أن تلحق بها..

هذه الأرض المسكونة - أبدًا بالحزن - والألم، والحلم، والجمال، والحياة، كانت قد وجدت ضالتها ذات حقبة من الزمن؛ حينما جاء إليها المجد العربي؛ لتعود إليها الروح، التي كانت قد فارقتها منذ قرون، ولم تشأ أن تفارق فارسها العربي الحبيب، حتى بعد القمع، والطمس، والتشريد..

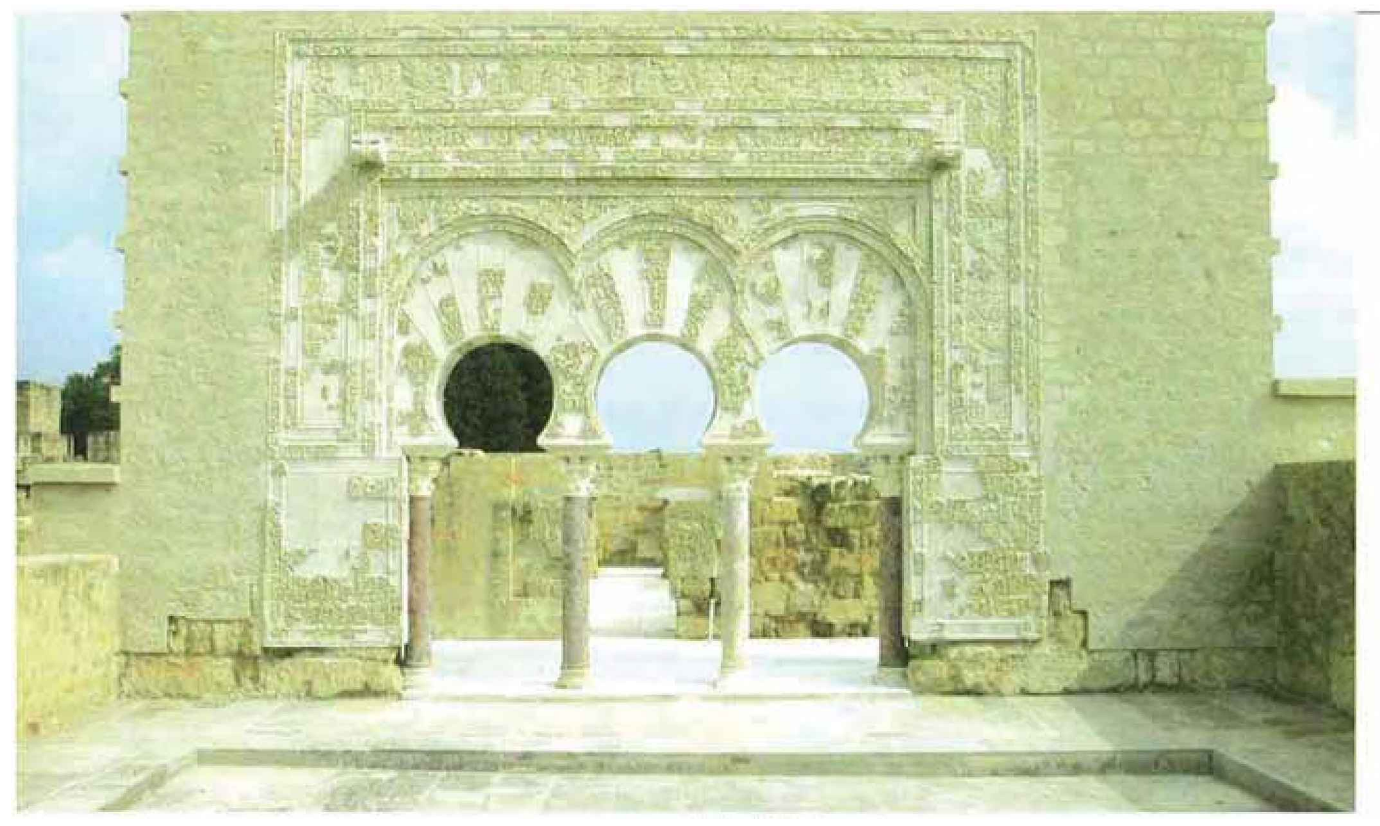
لكننا من جهتنا وبعد أن سافرنا عنها، أو قل: هي سافرت عنا.. طفقنا نتلوى على جراحنا نغني:

جادك الغيث.. إذا الغيث همى

يا زمان الوصل في الأندلس!!

الأندلس.. كانت فردوسًا عربيًا بكل ما تحمل كلمة (فردوس) من أبعاد، ومعان، وأعماق..

فقط تذكرت الآن الفنان العربي (دريد لحام)، في مسرحيته «كاسك يا وطن»، وهو يجر الحسرة في إثر



فن معماري رائع في الزهراء

الحسرة، على ضياع الفردوس!...

إذن تعال معي؛ لنغني مع الشاعر نزار قباني . رحمه الله . بل نبكي لوعة؛ فالبكاء هو البقية الباقية من أعيننا المسافرة إلى هذه الأرض:

قالت: هنا الحمراء.. زهو جدودنا

فاقرأ على جدرانها.. أمجادي!..

أمجادها؟! ومسحتُ جرحًا نازفًا

ومسحتُ جرحًا ثانيًا.. بفؤادي!..

يا ليت وارثتي الجميلة أدركت

أن الذين عَنَتْهُم.. أجدادي..!

عانقت فيها.. عندما ودّعتُها

رجلاً. يسمى طارق بن زيادِ

ومع ذلك فلن نستمر في هذه البكائية، فابن زيدون يعيش بيننا عريسًا سعيدًا، محفوفًا بكل الأحبة والأصدقاء، في مسرحه، وعرينه، وجنة مولده مدينة قرطبة، مكمن التاريخ والجمال، ولدينا من دواعي الفرح كثير، على الرغم من الحزن الكثير..

لن أرسم أحلامًا، أو أفرش أمنيات، أو أعرض وهمًا؛ بل سأذكر في السطور الآتية.. حقيقة.. رأيناها جلية في مدينة قرطبة..

تراب قرطبة

المسافة بين مدريد العاصمة، التي اسمها تحريف من كلمة (مجريط)، وأصلها . مع اختلاف الروايات

والتفسيرات الممتدة، إلى عدد من اللغات الأوربية - (مجرى يلط)، ومعناها: مجرى النهر إلى وادي (يلط)، وهو واد صغير كانت تقوم على سفح - نهره الذي جف الآن - قرية صغيرة جدًا، قليلة الشأن، اسمها قرية (وادي يلط)، ولأنها تقع على مجرى نهر يلط - سميت بمجرى يلط - فتحرفت بالتخفيف، والتصحيف، والزمن، إلى مجريط؛ ولأنها لم تكن مزدحمة، فقد نمت مع مرور الوقت، وأصبحت مدينة كبيرة، حتى آل الأمر إلى أن تكون العاصمة.. هذا ما عرفناه من المختصين بالشؤون الأندلسية، ومنهم العلامة المعاصر الأستاذ الدكتور المصري محمود مكي، حفظه الله، وبعض المستشرقين الإسبان، الذين كانوا معنا في المهرجان.

أقول: المسافة بين مدريد وقرطبة، تأخذ نحو ساعتين بالقطار إلى الجنوب الغربي. وربما لن أضيف شيئًا إلى ما يعرفه القراء الذين تذوقوا متعة السفر في قطارات أوربا والغرب؛ فقد عرفناها في ألمانيا، وهولندا، وبريطانيا، وأمريكا، وغيرنا عرفها في بلدان أوربية وغربية أخرى..

ويمكنني أن أقول مطمئنًا: أن السائح لن يشعر بندم: لو كانت هجرته فقط ليسافر في إحدى قطارات أوربا، أو أمريكا.. فالحديث عنها طويل، وذو شجون جميلة.

في القطار كانت المشاعر تشتعل، وتضطرب، وتتموج؛ كأنها الطوفان..

قبيل الوصول تفتقت الفكرة المجنونة، والساذجة، والطريفة، والمؤثرة، والجميلة، والحزينة، والمؤلمة، والشاعرة، والحالمة، ولم أتردد في تنفيذها على الرغم من اضطراب المشاعر وعدم سكونها..

وصلنا مدينة قرطبة.. وازداد خفقان القلب، تمامًا كأنني أقابل حبيبة مُتَمَنِّعَة، أول مرة، أو أنتظرها تأتي في موعد جميل، أخذ من الصبر، والأعصاب، وتطويع الوقت للظروف، شيئًا كثيرًا!!

نزلنا في محطة قطارات قرطبة، وكانت الحافلات التي أعدتها مؤسسة البابطين - مشكورة - لنا، والتي ستقلنا إلى الفنادق المقررة لنا، تنتظرنا في المحطة.

بدأ الأحبة الضيوف يأخذون أمتعتهم الخفيفة معهم إلى الحافلات، حسب الترتيبات القائمة من المؤسسة، أما الأمتعة الثقيلة فقد سبقتنا إلى غرفنا في الفنادق، كل باسمه وبغرفته.

أخذ الإخوة في الدخول إلى الحافلات، ولكني لم أدخل.

لاحت أمامي قرب الحافلة مساحة رملية، وقفت على الرصيف فنزعت حذائي (الجوتي)، والجوارب (الشرابات)، ومشيت في المكان الرملي حافيًا؛ وذلك حتى أقنع نفسي أنني وطأت بقدمي - مباشرة - تراب قرطبة..!، والغريب أنني لم أصدق قدمي، بل رجعت القهقري قليلاً؛ لأرى بعيني أثر القدمين في الرمل.

حينها شعرت بارتياح، وفرح، وحزن، وحب، وضيق، وقلق، وكراهية، وحنان، وغضب، ومشاعر نفسية وروحية أخرى، غير قابلة للتفسير الدقيق.

لبست الحذاء، والجوارب، وهرعت إلى الحافلة التي اكتمل ركابها المقررون لها سواي، وزميلنا في المؤسسة، الأستاذ عادل عزت، الذي لديه قائمة الأسماء.. يصيح: الأستاذ محمد الجلواح.. الأستاذ محمد الجلواح.. (هو فين؟)، فكان وجهه يقابل الركاب، ويداه تحملان أوراقًا، وبطاقات، وغيرها للتأكد من وجودي في الحافلة، وفجأة

كلمة (زيدون) فهي أصلها: زيد، والحرفان الأخيران (الواو والنون) حرفا إضافة وملكية، في إحدى اللهجات البربرية المنتشرة آنذاك في الأندلس. ولهذا نجد: ابن زيدون، وابن خلدون، وابن عبدون، وابن حمدون، وغير ذلك

لم يكن الطقس في مدينة قرطبة في أثناء انعقاد الندوة باردًا، كما توقع كثير من الضيوف، الذين استعدوا بملابس شتوية؛ ولم يعتدل إلا في اليوم الأخير من الدورة. لكن الذي أزعج الضيوف هو غلاء الأسعار الشديد. لا الطقس

دخلت الحافلة بحركة سريعة وخاطفة، وربتُّ على ظهره قائلاً: (إيه الدوشة ده يا أستاذ؟)!!

فيفزع مني وهو يقول:

كنت فين يا أستاذ؟

فقلت له: كنت على التراب!!.

بعضهم. ممن رآني في الموقف الرملي المذكور، بدأ يتندر، وينقل الصورة إلى بقية الأصدقاء والضيوف، وتحركت التعليقات، و(القفشات والإفيهات)، والتف حولي في أيام المهرجان عدد من الضيوف من الغربيين المدعوين، وكثير من النساء العربيات والإسبانيات يسألونني عن الرمل!!، وسماني أحد الإخوة المصريين الظرفاء (آدم قرطبة) لكون أبينا آدم - عليه السلام - قد خلق من تراب!!.

كان الفندق الذي من نصيبي اسمه AC، ووجدنا الإسبان ينطقون: السي.. ثي، فظننت - أول مرة - أن من نطقها أمامي لا يستطيع نطق السين، واعتذرت إليه، وأشعرته بعدم الإحراج، لكني وجدت أن حرف (الثي) يزداد، و(السي) معدوم، وسمعت المترجم يقول لنا: عبارة الأمر ضروري هكذا: «ذث اذ فري نثثري This Is Very Necessary».

فسألت «شالسالفة يا جماعة؟ .. عفوا: ثثالفة؟» فقالوا لي: «احنا نثثوي فيهم؟.. هم عندهم السين.. ثين!!!!»، فتذكرت نكتة معلم (السين) مع المفتش والطلبة.

ودع الصبر.. محب ودعك

كان الضيوف يرددون - في كل مرة - وهم في داخل (الباص)، الذي يأخذهم من الفنادق الخمسة الراقية، التي استأجرها عبدالعزيز سعود البابطين لمدعويه، وهم في طريقهم إلى جامعة قرطبة، حيث مهوى العرس - كانوا يرددون أحد المقاطع الراقصة المطبوعة في الوجدان العربي، سوى نونية ابن زيدون الشهيرة:

ودَّعَ الصبر محب ودعك ... ذائع من سره ما استودعك

يقرع السن على أن لم يكن ... زاد في تلك الخطى إذ شيعكْ

يا أخا البدر سناء وسنًا ... حفظ الله زمانًا أطلعكْ

إن يطل بعدك ليلي فَلَكَمْ ... بتُّ أشكو قِصَرَ الليل معكْ

وهذه الأبيات الجميلة، ينسبها بعض الرواة إلى الآنسة الأموية ولادة أيضًا.. وأنا أميل إلى ذلك؛ أي: أنني استريح لأن تكون لولادة، لا لابن زيدون؛ لأن جو الأبيات، ومناسبة قولها ينحوان إلى ذلك، وقصتها كما تذكرها كتب التاريخ، أن ابن زيدون كان قد خرج ذات ليلة من قصر ولادة بعد قضاء سهرة جميلة معها.. فخرجت ولادة تودعه إلى باب القصر.. فقيلت هذه الأبيات..

في جوها، وبالأخص في البيت الثاني: (يقرع السن...)، الذي سألني عن معناه أحد أصدقائنا اليمنيين، الذين كانوا معنا: أن الذي يودعك وأنت تغادر.. قد اصطك أسنانه غيظًا، وحزنًا، وندمًا، وحسرة، أنه لم يستطع أن يزيد من خطواته في السير، وهو يصاحبك ويشيعك؛ أي: يسايرك وأنت تغادر المكان فوق المسافة الممكنة له، التي يبدو أنها طويلة - نسبيًا - من داخل مكان السهرة في قلب القصر حتى بوابته الخارجية، كما نشاهدها اليوم.



أثر الفن الفن الإسلامي يبدو واضحًا في العمارة الإسبانية

بل إنني رأيت هذا في أحد الممرات المؤدية إلى إحدى البوابات في مدينة الزهراء الأندلسية التي سيأتي الحديث عنها في هذا الموضوع.

وهنا، لا يمكن أن يكون ابن زيدون هو قائل الأبيات؛ لأنه هو الذي يغادر، وولادة هي التي تسايره في التوديع، وتتمنى أن تزيد خطواتها لمتابعته. فالأبيات من الأنسب أن تكون لها، في هذا المقام، وليس العكس، وينسبها بعض رواة الشعر الأندلسي إلى ولادة بالفعل، كما ذكرتُ آنفًا، والله أعلم.

وبالمناسبة فإن الأبيات هذه قد شدت بها الفنانة العظيمة جارة القمر (فيروز)، ضمن أندلسياتها الخالدة، لكن شدو تلك الأبيات الآنقة كان في جو (الحافلات) فقط، أما الأبيات المدهشة التي لم يبق ضيف من ضيوف مؤسسة البابطين - البالغ عددهم ٦٣٠ ضيفًا، من كل أنحاء الدنيا، ومن معتنقي

الديانات السماوية الثلاث، أو كما يصر الأستاذ الدكتور ميلاد حنا من مصر، على أن يطلق عليها الديانات الإبراهيمية، لا السماوية، لأسباب عاطفية، واجتماعية، حسبما يراها، لم يبق واحد إلا وقف مشدوهًا، يقرأ بعمق ما كتب على ذلك النصب التذكاري، الواقف بشموخ خلف مسجد قرطبة.

بل إن كثيرًا من الضيوف - الذين قد لا يملكون امتدادًا تاريخيًا، أو فكريًا مع الأندلس كما هو للعرب والمسلمين - رأيناهم يقرؤون أبيات ولادة بنت المستكفي، ورد ابن زيدون عليها، والمكتوبة باللغتين العربية، والإسبانية، وهم متأثرون، وطالب أكثر من واحد بترجمة ذلك إلى أقرب لغة يفهمها كالإنجليزية، والفرنسية، والفارسية.

النصب عبارة عن يدين نحاسيتين متقاربتين وغير متماسكتين، إحداهما يد امرأة بشكلها الأنثوي وبروز شيء من أظافرها ودقتها، والأخرى يد رجل تشكلان في تقابلهما صورة تقترب من المصافحة، وقد وضعتا على نصب صخري مستطيل قائم، وكتب على الجهة التي تقابل الجامع، والتي يفصل بينهما طريق عامر لم يتغير عن شكله العربي القديم - أي: الطريق ومعالمه - هذه الأبيات:

اغار عليك من عيني ومني

ومنك، ومن زمانك، والمكان

ولو اني خبأتك في عيوني

إلى يوم القيامة.. ما كفاني

(ولادة)

وتحتها مباشرة:

يا من غدوت به في الناس مشتهرًا

قلبي يقاسي عليك الهم والفكرا

إن غبت لم ألق إنسانًا يؤانسني

وإن حضرت فكل الناس قد حضرا

(ابن زيدون)

وبالمناسبة فقد كُتبت ابياتُ ابن زيدون خطأ في النصب الأسمنتي، بالرفع المضموم في آخر الأبيات، وهي في ديوانه، وفي صحيح سياق اللغة، بالنصب المفتوح.

وابن زيدون هذا الذي ملأ الدنيا والأندلس، وشغل الناس، هو باختصار شديد: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي، أبو الوليد، ينتهي نسبه إلى قبيلة مخزوم، التي منها الصحابي خالد بن الوليد، ولد في مدينة قرطبة سنة ٣٩٤هـ، من أسرة لها جاه، ومكانة، وشأن كبير، في قرطبة، أو كما نقول بلغة الإعلام اليوم: من أسرة أرستقراطية، تولى المسؤولية في قرطبة وإشبيلية وزيرًا ثانيًا لعدد من ملوك الطوائف في الأندلس، تولع في صباه بولادة بنت المستكفي بالله؛ وهو آخر الخلفاء الأمويين في الأندلس، وهي قد أحبته أيضًا، ولكنه احترق من أجلها أكثر، وهي قد صدقت فيه ما قيل لها عنه، ولم تجد منه شيئًا من ذلك في قابل الأيام، وسجن ابن زيدون في قرطبة، وكتب في السجن رائعته النونية المعروفة التي مازالت تدوي في وجدان الناس حتى عند الإسبان اليوم:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا

وناب عن طيب لقيانا تجافينا

ولعل من المناسب أن نذكر أن من بين الكتب التي اقتنيناها من المؤسسة في هذا المهرجان، هو كتاب:

استطاعت المؤسسة، وهي تحمل شعارها لهذه الدورة وهو: (من أجل تفاهم أعمق بين الشعوب)، أن تؤكد إمكانية لقاء الحضارات على أرض عربية (سابقة) تحظى بحب الجميع، وفي مدينة كانت في يوم من الأيام عاصمة كبرى من عواصم الدنيا لدى العرب والمسلمين

«معارضات قصائد ابن زيدون»، وفيه استطاع معد الكتاب أن يجمع أكبر قدر ممكن من القصائد، التي قيلت معارضة ومحاكاة لقصائد ابن زيدون، وبخاصة نونيته هذه، ومن بين من عارضها من الشعراء العرب الكبار: أحمد شوقي، والجواهري، ومن الأحساء الشاعر صلاح بن هندي.

وترجمة ابن زيدون، وحياته بكل تفاصيلها المثيرة والمؤثرة، معروفتان في أمات الموسوعات والدواوين المختصة، ومذكورتان بشكل تفصيلي في ديوان ابن زيدون، وكتاب «عصر ابن زيدون»، وهما كتابان ضمن مجموعة من الكتب والمؤلفات والمخطوطات بلغ عددها ١٤ كتابًا، تم توزيعها على ضيوف الدورة في حقائب خاصة لكل ضيف مع تسلم مفتاح غرفة الفندق، وقد توفي ابن زيدون في مدينة إشبيلية سنة ٤٦٣هـ، وما دمنا في محيط مسجد قرطبة، فالمسجد، أولاً: هو من معالم الدنيا، وهو من أشهر المساجد الأندلسية الباقية، وأكبر المساجد الإسلامية القائمة الحالية في العالم، وقد بناه عدد من خلفاء الحقبة الأندلسية وأمرائها بصورة متتالية، يصعب على المؤرخين أن ينسبوه إلى شخص بعينه، فالجامع كلما جاء خليفة وضع له فيه زيادة وبصمة، وقد أضيفت إليه إضافات مسيحية كبيرة وأدخلت على عمارته الإسلامية، وكان به قبل سقوط الأندلس ١١١٤ عمودًا، لم يبق منها سوى ٨٤٣ عمودًا.

وأنت تدخل في قلب هذا الجامع تشاهد العجب العجاب، من دقة الفن، والألوان، والزخارف، والهندسة المعمارية، والنكهة الإسلامية القديمة، وتتفاقم عندك الحسرة والألم بصورة جلية، وتسأل بسرعة، ودهشة، وبداهة: كيف أضاع المسلمون مثل هذا؟، وخصوصًا وأنت ترى أن في قلب الجامع وبجانب المحراب الكبير، مكانًا خاصًا للكاتدرائية المسيحية لقرطبة بتماثيلها، وأقانيمها، وهيئة للسيد المسيح مصلوبًا على أحد أعمدة المسجد.. فالإسبان حينما استرجعوا إسبانيا، كان ذلك ضمن هدف مسيحي مقدس بالنسبة إليهم، ولهذا كان جامع قرطبة، بما يتضمن من بناء إسلامي رحب، وإضافات مسيحية جميلة.. هو البناء الديني الوحيد في العالم، الذي يحمل اسمًا إسلاميًا / مسيحيًا في آن، فهو اسمه الرسمي: (جامع كاتدرائية قرطبة..!!) وتقرأ في النشرة المصاحبة للجامع، أن إمام المسجد كان لم يكن بحاجة إلى من يقوم بتبليغ المأمومين في الركوع والسجود في أثناء الصلاة، فقد كان الصوت مسموعًا بوضوح على الرغم من مساحة المسجد الكبيرة جدًا، ووجود مئات الأعمدة، التي قد تساعد على حجب شيء من الصوت، وهذا من العجائب.

وبالطبع لم يكن قد تم اختراع مكبرات الصوت بعد آنئذ.

وقبل أن ننتقل إلى محور آخر في الدورة، أود أن أشير إلى معلومة قد تكون غير معروفة، لدى كثير من القراء، وهي كلمة (زيدون) فهي أصلها: زيد، والحرفان الأخيران (الواو والنون) حرفا إضافة وملكية، في إحدى اللهجات البربرية المنتشرة آنذاك في الأندلس، ولهذا نجد: ابن زيدون، وابن خلدون، وابن عبدون، وابن حمدون، وغير ذلك. كما نقول في المشرق العربي: الشرقاوي، أو الشرقي، أو الأحسائي، وغير ذلك، ولدى هذه اللهجة البربرية حرفا (الواو والسين) أيضًا مثل: ابن عبدوس، أو عمروس، أو بكروس، وهذا يذكرنا بالأسماء في اللغة الروسية أيضًا التي تنتهي بـ (الواو والفاء) للمذكر مثل: عليوف، ومحمدوف، و (الواو والفاء

حينما حطت الطائرة في أرض مدريد عاصمة إسبانيا أول مرة.. انثال القلم يكتب بشكل هستيري تلقائي: هل أنادي الجرح، أم أتغنى بالمجد التالد، أم أبكي الحاضر، أم أفرش الأمل، وأعيش الواقع؟

> بكيت فعلاً والله العظيم أمام هذه الأطلال التي كانت ترن وتجن وتحن وتضج وتعج بكل وجوه الحياة، وبكيت حين رأيت الحشرات تتخذ من بقايا عمود جميل في المدينة مسرحًا لها ولمثيلاتها

والألف) للمؤنث مثل: (فاطموفا، رينيوفا)... إلخ.

وعودة إلى الندوة، فقبيل الشروع في افتتاح القسم الأدبي منها، والخاص بابن زيدون في اليومين الأخيرين من أيام الملتقى الخمسة، وفي أثناء الندوة الفكرية الخاصة بحوار الحضارات، وقف (حاخام) يهودي بزيه المميز أمام منصة الإلقاء، وتحدث عن (القهر الفلسطيني) ووصف إسرائيل بـ (العدو البعيد)، وتحدث عن الحلم الصهيوني، وأنه خرافة العصر، وكان كلما قال مقطعًا في هذا السياق ضجت القائمة الكبرى بالتصفيق، حتى ممن لا شأن لهم بالحقوق الفلسطينية، وقد تمت دعوته وعدد من اليهود المناهضين لإسرائيل، أو لنقل المعتدلين من النمسا، والمجر، وأمريكا، وبريطانيا، وروسيا، وذلك بصورة مدروسة جيدًا، من مؤسسة البابطين، التي افتتحت دورتها التاسعة الأميرة إلينا ابنة ملك إسبانيا؛ نيابة عن أبيها الذي كان المهرجان برعايته، وبعد أن ألقت كلمتها، أصرت أن تكون هي التي تقدم فقرات حفل الافتتاح، ودعوة المشاركين والترحيب بهم إلى المنصة، والتصفيق الحار لهم بعد نزولهم منها، وكان كل ذلك محل تقدير وإعجاب كبيرين من كل الحضور، الذين فاق عددهم في ذلك اليوم - يوم الافتتاح فقط - ألف شخص، ومع وجود برنامج مخصص للتقديم، إلا أنها استأذنت بلطف ولباقة مقدم الحفل، وطلبت منه أن يستريح؛ لتقوم هي بالتقديم وسط دهشة الجميع.

وهنا يأتي الحديث عما وعدت به القارئ الكريم آنفا، مما لمسناه من حقيقة في قرطبة، وهو أن الإسبان بدؤوا يشعرون - باعتزاز وفخر - بفترة التاريخ العربي لبلادهم وتاريخ بلادهم، ولم يعد لديهم ذلك الخجل، أو التواري عن الحديث عنه، كما كان حاصلاً معهم حتى بداية الثمانينيات الميلادية من القرن العشرين، بل إن هناك عددًا منهم، ربما بدأ يفخر باحتمال وجود نسب عربي في دمائه وأصوله، وبخاصة ممن يحملون سمرة في أجسامهم من الرجال، أو ممن يكون شعرها أسود من النساء، وهؤلاء كثيرات، وجميلات، ولطيفات. بل رأينا أكثر من ذلك، وهو تدريس عدد من أساتذة الجامعات الإسبانية والأكاديميين تاريخ الأندلس العربي ودراسته، وتحضير رسائل الماجستير والدكتوراه عنه، والكرسي الجامعي في ذلك، وكان من بين المشاركين في الندوات عدد من الإسبان الذين يجيدون اللغة العربية بدقة.

الزهراء فاتنة ومدينة

لم يكن الطقس في مدينة قرطبة في أثناء انعقاد الندوة باردًا، كما توقع كثير من الضيوف، الذين استعدوا بملابس شتوية؛ بل كان حارًا متوسطيًا مألوفًا لدى أغلبهم، ولم يعتدل إلا في اليوم الأخير من الدورة، لكن الذي أزعج الضيوف هو غلاء الأسعار الشديد، لا الطقس، وقد لا تكفي هذه السطور الحديث عن الدورة، وفعالياتها، وكتبها، والمشاركين فيها، من محاضرين ومعقبين، ومداخلين، وهناك فرق بين المعقب، والمُداخل، كما لا تكفي هذه السطور - أيضًا - للحديث عن نوع الضيوف المدعوين فيها، من مسؤولين كبار، وعلماء، ومفكرين، ورجال دين، وغيرهم.

لكن الذي لا بد من الإشارة إليه، هو هذا التناغم التلقائي بين كل الضيوف، على مختلف ثقافتهم، خصوصًا وأنهم يؤكدون فيما بينهم ضرورة الدعوة: لفهم الآخر

وقبوله، ومد الجسور معه، والتمسك بنقاط الاتفاق مع أي شخص تختلف معه، وأن تضخّم هذه النقاط وتفعّلها، مقابل نبذ نقاط الخلاف وتهوينها.

لقد استطاعت المؤسسة، وهي تحمل شعارها لهذه الدورة وهو: (من أجل تفاهم أعمق بين الشعوب)، أن تؤكد إمكانية لقاء الحضارات على أرض عربية (سابقة) تحظى بحب الجميع، وفي مدينة كانت في يوم من الأيام عاصمة كبرى من عواصم الدنيا لدى العرب والمسلمين.

وهنا أود أن أستعرض مع القراء ابرز العناوين التي طلعت بها علينا مجلة «الجائزة»، المواكبة لأيام الملتقى:

- الدورة جسر للحوار بين الشرق والغرب، وتحمل طابعًا خاصًا ومختلفًا.
- قرطبة تزف ابن زيدون في مطلع القرن الحادي والعشرين عريسًا.
- عقد الدورة في مدينة أندلسية، وبحضور حشد من مختلف مفكري العالم؛ يؤكد للعالم المعاصر أن العرب أصحاب حضارة وتراث أصيل.
- مع ارتفاع الأسعار كما قلنا، في إسبانيا، وشيء من سوء التنظيم - أحيانًا - وحرارة الطقس في قرطبة إلا أن ذلك لم يمنعنا من زيارة مدينة الزهراء الواقعة على سفح جبل سييرا مورينا، وهي المدينة التي بناها الخليفة الأموي عبدالرحمن الثالث سنة ٣٢٥هـ تقريبًا، وهذا الجبل يقع على أطراف قرطبة ويبعد عنها بنحو ٢٢ كلم غربًا.

وقد كانت مدينة الزهراء مركزًا للخلافة الأموية في عهده، وعهد ثلاثة من بعده من الخلفاء الأمويين. وورد ذكرها - بالاسم - في واحدة من أشهر قصائد ابن زيدون العاطفية والوصفية، وذلك في قصيدته (القافية)؛ أي: التي تنتهي بحرف القاف الممدودة ومطلعها:

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا
والأفق طلق، ومرأى الأرض قد راقا

وتذكر المصادر التاريخية الأندلسية أن عبدالرحمن الثالث كان قد بنى هذه المدينة بأكملها، وبما تحويه من شوارع، وميان، وقصور، وأسواق، ومساجد، وغيرها، وبما تمتاز به من جمال خلاب في كل نواحيها في أثناء ازدهارها. كل ذلك من أجل إحدى جواريه الأندلسيات الفاتنات التي طلبها للزواج فاشترطت أن يكون مهرها قصرًا خاصًا باسمها، وكان اسمها الزهراء فما كان من الخليفة، إلا أن قال لها: القصر.. قصير لكن لك المدينة العامرة.. فبناها لها، وتزوجها، ثم نقل العاصمة من قرطبة إلى الزهراء.

وما إن وطأت قدماي البهو الضخم جدًا، الخاص بالخليفة الأموي في زهرائه، التي بدت للناس الآن شاحبة كئيبة، حتى طفقت أردد مع إيليا أبي ماضي من طلاسمه:

كم قصور خالها الباني ستبقى وتدوم
ثابتات كالرواسي خالدات كالنجوم
سحب الدهر عليها ذيله فهي رسوم
ما لنا نبني، وما نبني لهدم؟
لست أدري..

بكيت فعلاً، والله العظيم، أمام هذه الأطلال التي كانت ترن، وتجن، وتحن، وتضج، وتعج، بكل وجوه الحياة، وبكيت حين رأيت الحشرات تتخذ من بقايا عمود جميل في المدينة مسرحًا لها ولمثيلاتها.. الله.. ما أعظم الألم الناجم هنا!

توقفنا أمام مجموعة رائعة من الفن المعماري، تتمثل

الإسبان بدؤوا يشعرون - باعتزاز وفخر - بفترة التاريخ العربي لبلادهم، ولم يعد لديهم ذلك الخجل، أو التواري عن الحديث عنه. كما كان حاصلاً معهم حتى بداية الثمانينيات الميلادية من القرن العشرين



اعمدة جامع قرطبة

في الأقواس الملونة في الواجهة الشرقية لأحد قصور المدينة المطلة - أو الواجهة - على ساحة كبيرة وعميقة، ومحاطة بسور من الجدران المزدوجة، وحينما سألنا عن هذه الساحة قيل لنا: إنها كانت ساحة الأسلحة، والخطط العسكرية، وعروض الجند وتدريباتهم.

المؤسسة جسر التواصل:

لقد نجحت مؤسسة البابطين في تأسيس التفاهم وتوطيده وترسيخه بين الشعوب، ومناداة الحس العربي، واستذكار الحس الإسباني بعقد هذه الدورة بهذا المستوى الفخم كمًا وكيفًا. هذه العبارة كان قد فاجأنا بها البروفسور أوكينبو دو فيلتشيس وهو يشرح لبعض ضيوف الدورة عن قرطبة عامة، ومدينة الزهراء خاصة.

وعن الأندلس وقرطبة، وابن زيدون، وضيوف عرسه التاريخي يطول الحديث، ويكون ذا شجون. وليس أجمل من الشعر أن يكون مسك الختام، ونحن في عرس شاعر رمز من شعراء الدنيا..

يقول الأستاذ الشاعر السوري رياض عبدالله حلاق في قصيدته التي شارك بها في الأمسية الشعرية الثانية بقرطبة:

المجد للحرف لا للسيف والرُّتب
والخلد للفكر لا للتاج والذهب
يا أهل قرطبة قد جئتكم وأنا
أرى عيونكم طيفًا على هدبي

الله الله..



أكاديمية المأمون - مجلس العلماء بخوارزم

مرتضى غازي سيدعمر

الرياض - السعودية

عمل مجلس العلماء - الذي جمع العلماء البارزين في عصره - في الفترة بين عامي ١٠٠٤م و١٠١٧م، في وسط دولة ملوك خوارزم (خوارزم شاه -كما كانوا يسمونهم) في مدينة كوركنج (مدينة كوهنة أوركانج في تركمانستان حاليًا)، واشتهر في التاريخ باسم أكاديمية المأمون الثانية.

ففي سنة ٩٩٥هـ انتصر أمير كوركنج مأمون الأول بن محمد، على سلالة الأفرغيين ونقل عاصمة الدولة من مدينة كات إلى كوركنج، وأعلن نفسه ملكًا لخوارزم (خوارزم شاه).

زعزع تغيير الحكم أمن البلاد واستقرارها، وترك العلماء خوارزم ومن ضمنهم البيروني، وبعد وفاة مأمون ابن محمد تولى ابنه علي بن مأمون السلطة، وعزز قدرة الدولة المأمونية، ووسع حدودها.

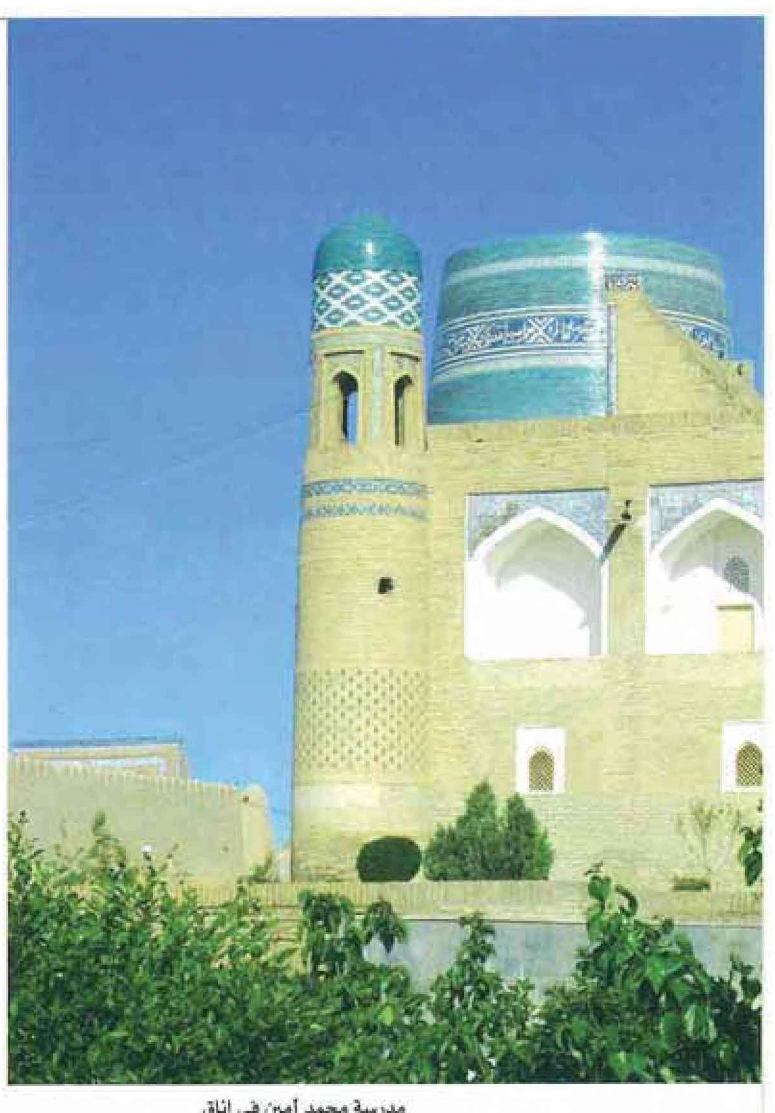
ساعد أبو نصر بن عراق الملك علي بن مأمون في جلب العلماء المستشارين للديوان الملكي، وكان ابن عراق عالمًا مشهورًا في عصره، واشتهر باسم «بطليموس عصره»، وترعرع البيروني في دار ابن عراق، ونُظمت ظروف ملائمة في الديوان الملكي لهذين العالمين، وكانت لهما علاقات علمية مع العلماء في الشرق الأدنى والشرق الأوسط، وجاء كثير منهم إلى كوركنج تلبية للدعوة من ابن عراق والبيروني. وهكذا شكلت المؤسسة العلمية المسماة بـ «دار الحكمة والمعارف» أو «مجلس العلماء» كما ذُكر في بعض المصادر الأخرى في كوركنج عام ١٠٠٤م.

مدرسة إسلام خوجا في خيوة

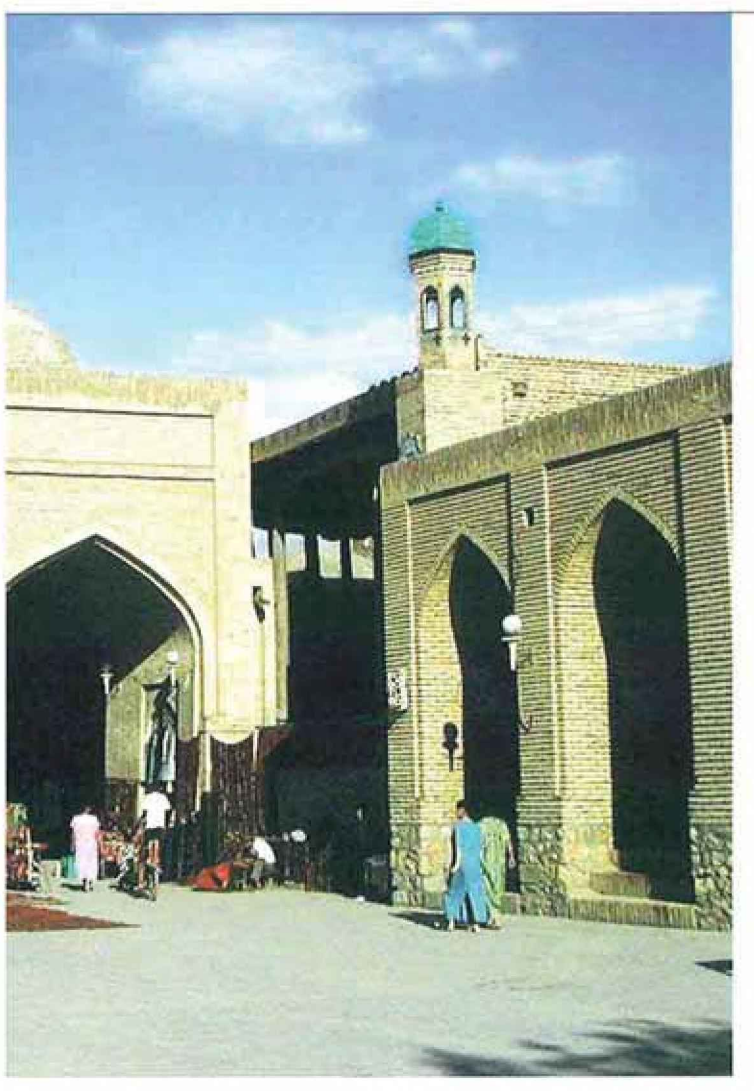
وقام العلماء في هذه المؤسسة العلمية بالبحوث والدراسات، كما كان الأمر في «بيت الحكمة» في بغداد.

وفي عام ١٠٠٩م تولى أبو العباس مأمون بن المأمون الحكم في خوارزم، بعد وفاة أخيه علي بن مأمون، وعيّن البيروني مستشارًا لنفسه، وأعطى اهتمامًا بالغًا لنشاط «مجلس العلماء».

وعمل في مجلس العلماء للأسرة المأمونية علماء كثيرون؛ منهم أبو ريحان البيروني، وأبو علي بن سيناء، وأبو سهل المسيحي، وأبو نصر بن عراق، وأبو سعيد بن محمد بن مسكويه، وأبو الخير حمار، وأبو منصور الثعالبي، وأحمد محمد السحري، والخوجندي، وزين الدين جورجاني، وأبو الكريم ضرغامي، وأبو عبدالله الوزير، وأبو الحسن مأمون، وأبو محمد الخوارزمي، وعبدالوالي عبدالصمدي، وعبدالرزاق بن بهرام، وأبو عبدالله عبدالإلهي، وأبو سيد الشبيبي، والنيسابوري، والخاراجي، والحمدكي، وأحمد معصوري، وأبو محمد ركاشي، وحامد خوارزمي، وأبو بكر محمد الخوارزمي، وكمري، والسهيلي، وغيرهم من العلماء. وقد أبدعوا في



مدرسة محمد أمين في إناق

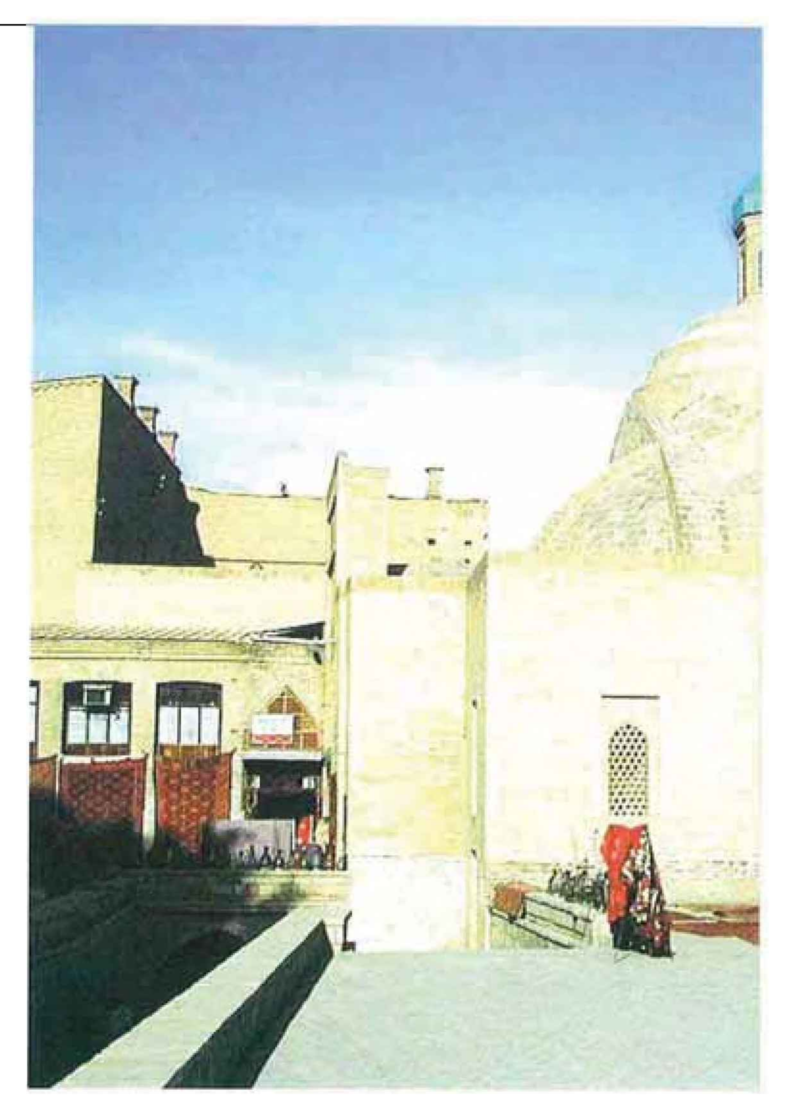


سوق شعبي قرب إحدى المدارس

المجالات المختلفة من العلوم مثل الرياضيات، وعلم الفلك، والكيمياء، والطب، والفلسفة، والتاريخ، والعلوم الدينية، والمنطق، واللغويات، والتربية والتعليم، والآداب، والموسيقا، والجغرافية، وعلم هندسة الأرض، والميكانيكا وغيرها من العلوم، وساهموا في التطور العلمي العالمي. ولأكاديمية المأمون بخوارزم أهمية تاريخية على النحو الآتي:

أولاً: اشتهر فيها البيروني وابن سيناء، وهما من العلماء

عمل في مجلس العلماء للأسرة المأمونية علماء كثيرون: منهم أبو ريحان البيروني، وأبو علي بن سينا، وأبو سهل المسيحي، وأبو نصر بن عراق، وأبو سعيد بن محمد بن مسكويه، وأبو الخير حمار، وأبو منصور الثعالبي، وأحمد محمد السحري، وآخرون



البارزين بنشاطهما العلمي.

ثانيًا: تطورت فيها العلوم مثل الرياضيات، والكيمياء، وعلم هندسة الأرض، والطب، والصيدلة، والتاريخ، والسياسة، واللغة والأدب، والفلسفة، والمنطق، والحقوق، وغيرها من العلوم.

ثالثًا: ساهمت في تطوير العلوم في المنطقة، وربط العلاقات العلمية والودية بين شعوب العالم.

رابعاً: اصبحت الأفكار التي تقدمت بها هذه الجماعة العلمية بعد أن كانت افكارًا تخمينية أصبحت عاملاً مهمًا في التطور العلمي.

مع توقف نشاط أكاديمية المأمون بخوارزم، بعد احتلال محمود غزنوي خوارزم، استمرت البحوث والدراسات حول الأفكار والقضايا، التي طرحتها أكاديمية المأمون بخوارزم، وتطورت. والعلماء الذين نشؤوا وترعرعوا في أرض خوارزم مثل: الزمخشري، وسليمان بقرغاني، وشاغميني، ونجم الدين كبرى، وبهلوان محمود، وغيرهم من الأساتذة العظماء، هم الذين واصلوا نشاط هذه الأكاديمية.

كان أمر رئيس جمهورية أوزبكستان عام ١٩٩٧م حول «إعادة إنشاء أكاديمية المأمون بخوارزم» خطوة مهمة في رفع القدرات العلمية لأوزبكستان، وتعزيز مكانتها في المجتمع العلمي في العالم، وتطوير العلوم والبحوث في المناطق، ودعم العلماء الشباب، والكوادر العلمية، وتطوير التقاليد الوطنية في تكوين الظروف العلمية في البلاد.

في هذا الأمر تم تحديد المهام العلمية والتنظيمية الرئيسة للأكاديمية المذكورة كما يأتي.

اولاً: إعادة إنشاء التقاليد الغنية، في تكوين الظروف العلمية وتطويرها على أسس التراث الوطني العظيم والقديم، في مجالات العلوم والبحوث، والبحث عن العلماء الشباب وجلبهم لنشاط الأكاديمية، ورفع

ضمن مشروع "تاريخ الدولة الأوزبكية في العصور الوسطى والقديمة في خوارزم" تمت دراسة المصادر العلمية منها الأثرية والخطية، وتم اكتشاف الحقائق التي تثبت أن دولة خوارزم: التي تشكل أساس الدولة الأوزبكية لها تاريخ ٣٠٠٠ عام

إنتاجيتهم في مجال الإبداع العلمي.

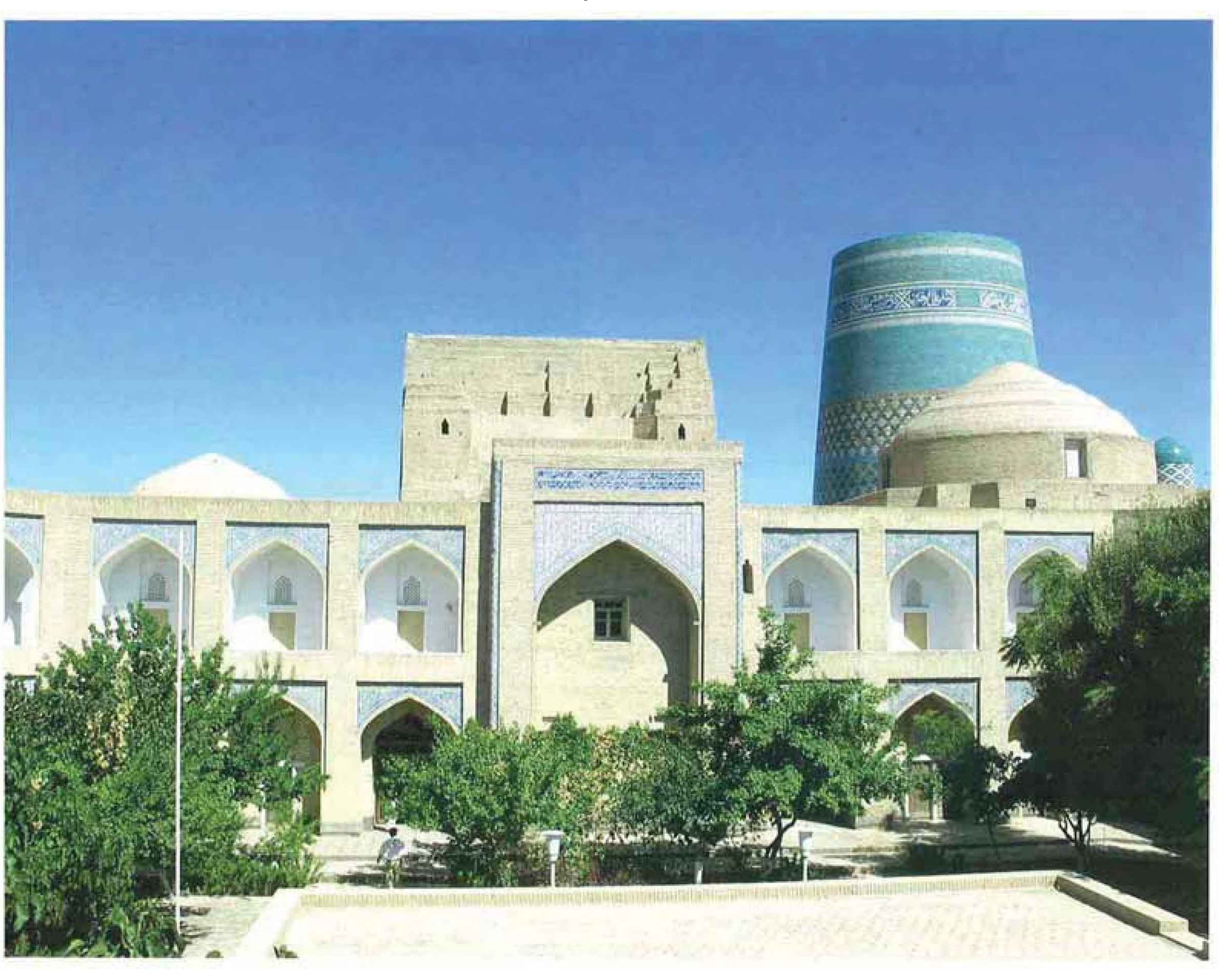
ثانيًا: دراسة التراث الوطني الفني القديم، في مجال العلوم، وتحليله في مختلف الجوانب، ومنها: في مجالات التاريخ وعلم الآثار، والفلسفة، واللغات، والآداب، وعلم الأحياء، والتكنولوجيا الحيوية، وغيرها من العلوم، وإجراء البحوث والدراسات في هذه المجالات، وتكوين المدارس العلمية، وتطبيق الإنجازات العلمية على الأرض.

ثالثًا: تنسيق جميع الأعمال المرتبطة بالعلوم والدراسات في المنطقة، بالتوافق مع متطلبات الزمن.

رابعًا: إعداد الكوادر العلمية والتربوية العالية المؤهلة.

خامسًا: المشاركة الفعالة في تحقيق البرنامج الوطني الخاص بإعداد الكوادر، وإقامة العلاقات بين نظام التعليم المستمر، والعلوم والدراسات، ورفع مستوى النشاط التربوي في مدارس الأكاديمية.

مدرسة محمد أمين خان

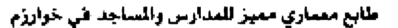


سادسًا: تطوير التعاون العلمي الدولي.

في نوفمبر عام ١٩٩٧م تم تنظيم ثلاثة أقسام، وهي: قسم «الآثار والتاريخ والفلسفة»، و«قسم اللغة والآداب»، وقسم «قضايا علم الأحياء»، وعمل في هذه الأقسام -في ٩ مشروعات علمية- ٢٦ باحثًا علميًا منهم ٥ برتبة أستاذ دكتور، و ٩ دكاترة.

وفي قسم «الآثار والتاريخ والفلسفة» تمت دراسة مشروعات علمية مختلفة؛ منها «تاريخ الدولة الأوزبكية في العصور الوسطى والقديمة في خوارزم»، و«دور وادي خوارزم في تاريخ الشعب الأوزبكي الإثنوغرافي»، و«دراسة الآثار التاريخية في خوارزم».

وفي إطار مشروع «دور وادي خوارزم في تاريخ الشعب الأوزبكي الإثنوغرافي»، تمت دراسة الموقع التاريخي لبعض الشعوب والقبائل في خوارزم، وجمعت المعلومات حول عاداتهم، وتقاليدهم، وثقافتهم، وأنماط حياتهم.



طابع معماري مميز للمدارس والمساجد في خوارزم



وضمن مشروع «تاريخ الدولة الأوزبكية في العصور الوسطى والقديمة في خوارزم» تمت دراسة المصادر العلمية منها الأثرية والخطية، التي تسلط الأضواء على تاريخ الدولة القديمة، وتم اكتشاف الحقائق التي تثبت أن دولة خوارزم؛ التي تشكل أساس الدولة الأوزبكية لها تاريخ ٣٠٠٠ عام.

وتمت دراسة نشوء الثقافة العمرانية وتطويرها في مدن خوارزم، ونشرت خريطة الآثار في خوارزم.

وفي قسم اللغة والآداب، أجريت الدراسة المقارنة للأساطير الشفوية والأدبيات المكتوبة في خوارزم، والأساطير في «الأفيسطو» وذلك ضمن مشروع «الأدب المكتوب والفولكلور في خوارزم، بين القرنين ٩و١٣ الميلاديين، ولغة المذكرات في خوارزم»، وأجريت الدراسة حول خصائص اللغة الفصحى والعامية، من خلال تحليل النماذج المكتوبة والشفهية، وتأثيريهما المتبادلين.

وخلال السنوات من عام ١٩٩٧ إلى عام ٢٠٠٢م تم إنجاز ٧ مشروعات في قسم «قضايا علم الأحياء»: منها دراسة النباتات المثمرة والقابلة (المانعة) للحشرات المضرة والأمراض في الظروف الترابية والإقليمية وزراعتها وتربيتها في وادي خوارزم، وتمت دراسة تناوب غرس النباتات، ومن ضمنها أجريت الدراسة لـ ١٢ نوعًا من القطن، ونوعين من القمح، و١٠ أنواع من الأرز.

وتمت دراسة تكنولوجيا زراعة النباتات المختلفة، ومنها تناوب غرس الذرة، وتكرارية الزراعة لهذه النباتات، وإنتاج البذور وغيرها.

كما أجريت الدراسة: لإنتاج المحاصيل الغنية بالفيتامينات اللازمة لتربية المواشي، وتم إعداد الإرشادات في هذا المجال.

وكذلك دراسة خصوصية التراب، ومنها نسبة الملح فيه، وتم إعداد الإرشادات في رفع إنتاجية

المحاصيل الزراعية في المنطقة.

تمت دراسة تنقية الأراضي من الملح، في ظروف المنطقة التي تتميز بنقص المياه، ورفع إنتاجية زراعة القطن فيها، وبلغت الفائدة الاقتصادية في خوارزم عام ٢٠٠١م مليار و٩,٧٥٥ مليون سوم.

ابتداء من عام ٢٠٠٣م عمل ٥٢ باحثًا، منهم أكاديميان (أو عضوان في مجمع العلوم)، و١١ أستاذًا دكتورًا و٢٦ دكتورًا في ١٠ مشروعات نظرية وعملية.

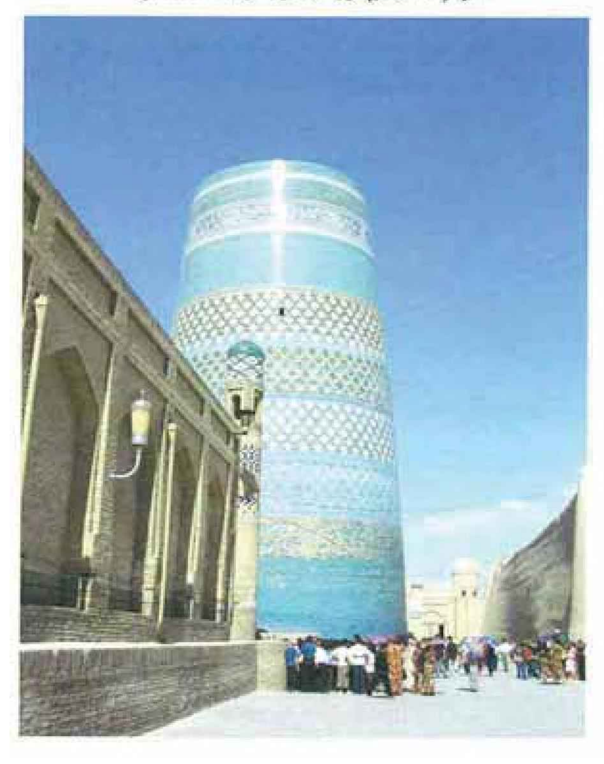
وفي قسم الرياضيات وفي موضوع "نظرية الإمكانات ومعادلات لا خطية" يتم البحث في إجمالي الإمكانات لمجموعات الرياضيات الحدودية، ونظرية بوغوليوبوف، والمسائل العكسية للمؤشرات السريعة النقص، والمؤشرات السلمية، والدورية، وشبه الدورية، ويتم استخدام النتائج المنجزة في حل معادلات لا خطية متزايدة في فيزياء الرياضيات.

وفي قسم الآثار تمت دراسة منطقة "شرافة،" التي تعود إلى عصر البرونز، وتلال "أوج أوجاق"، ومضيق "ميشيك"، والقلعة الحجرية الثانية، التي تعود إلى بداية القرون الوسطى، وهي تقع في حي "توبراق قلعة"، في منطقة خزاراسب، وفي هذه المنطقة تم أول مرة اكتشاف السقف الخشبي في تاريخ آسيا الوسطى الذي احتفظ بكامله.

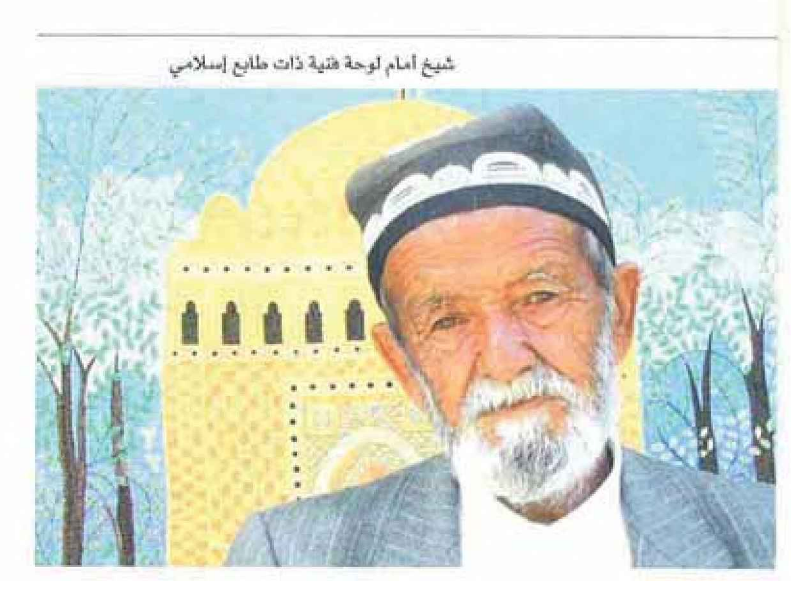
وفي قسم التاريخ تمت الدراسات والبحوث في الاتجاهات الأربعة الآتية:

- تمت الدراسة الشاملة للأدبيات العلمية الأصلية الخاصة بسكان إمارة (أو خاقانات) خيوا، وتمت دراسة الخطوط الحقلية، وأجريت استبانة لجماعات الأوزبك،

منارة (كالتامينار)، وجانب من مدرسة محمد أمين



شيخ أمام لوحة فنية ذات طابع إسلامي



في عام ١٠٠٩م تولى أبو العباس مأمون بن المأمون الحكم في خوارزم. بعد وفاة أخيه علي بن مأمون. وعيّن البيروني مستشارًا لنفسه. وأعطى اهتمامًا بالغًا لنشاط "مجلس العلماء"

والتركمان، والكازاخ، والقراقلباق، الذين يقطنون في وادي خوارزم.

- اكتشفت المصادر المكتوبة الخاصة بتاريخ أكاديمية المأمون - أي: مجلس العلماء - بخوارزم، وترجم شرح أبي نصر بن العراق لكتاب «منالاوس»، من العربية إلى الأوزبكية، وتمت دراسته علمياً، وكذلك ترجم كتاب «التفهيم» لأبي ريحان البيروني من العربية إلى الأوزبكية.
- تمت الدراسة المقارنة لترجمة الكتاب السادس من «ظهيراي خوارزم شاهي» لكاتبه إسماعيل جورجاني الخاص بالأمراض العصبية والروحية، مع قسم الأمراض العصبية والروحية في «قانون الطب» لابن سينا.
- وتمت دراسة نشوء إمارة خيوا وأسبابه، والظروف الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، في وقتها، في هذه المنطقة، وتمت دراسة نظام إدارة الدولة في إمارة خوارزم مقارنة مع الوثائق الموجودة في الأرشيف.

وفي قسم الآثار تمت دراسة أسس الآثار المعمارية، ومبانيها، والعناصر الخشبية، وحالاتها الفنية، وكذلك تمت دراسة الآثار المعمارية في ساحة إجان؛ قلعة في مدينة خوارزم.

وفي مجال الزراعة، تمت دراسة زراعة المحاصيل الغذائية في الظروف المحدودة الري في منطقة خوارزم، وأهمية رفع إنتاجية الأراضي.

في مجال حماية البيئة، تمت دراسة خصائص الأوضاع الإقليمية، وتأثير البيئة في صحة الإنسان. وتمت مقارنة هذه المعطيات مع المؤشرات في منطقتي طشقند وفرغانة.

وفي مجال علم الأحياء تمت دراسة عينات من ٥٠ نباتًا، ومن ضمنها: نموها وخصائص تطورها، ومستوى مناعتها ضد الحشرات المضرة، والأمراض الزراعية، والظروف غير الملائمة، وتوافقها مع الظروف في المنطقة.

وابتداء من عام ٢٠٠٦م، عمل ٥٧ باحثًا، منهم ١١ أستاذًا دكتورًا و٢٨ دكتورًا في ٣ مشروعات علمية، و٦ مشروعات علمية عملية، ومشروع المنحة.

للأكاديمية مزرعة تجريبية عبارة عن ١٠ هكتارات، ومتحف تخصصي، و٦ مختبرات، ومكتبة.

تسعى جماعة أكاديمية المأمون بخوارزم، إلى إجراء البحوث العلمية على أساس متطلبات الاقتصاد الوطني، وموجّها لها إلى حل القضايا والمشكلات الموجودة، ورفع مردودية مصروفات الميزانية.

ويُعطى اهتمام كبير لجلب إمكانات القطاع الخاص، والاستفادة من البرامج والمنح العلمية العالمية، والاستفادة من نشاط المراكز العلمية الأجنبية.

أما لوائح مشروعات البحوث العلمية من عام ٢٠٠٦ إلى ٢٠٠٨م فهي:

- دراسة أسس العادات والتقاليد في وادي خوارزم، وتحليلها التاريخي.
- الدراسة المقارنة للكتاب الموسوعي للمسيحي المسمى «الكتب المئة في الصناعة الطبية».
- دراسة أوضاع الآثار المعمارية في خوارزم، وإعداد الإرشادات حول أساليب حمايتها من تأثير البيئة فيها.
- إعداد المعايير الجديدة لتقويم صحة الأولاد والمراهقين،

الذين يعيشون في الظروف السيئة بيئياً، وإعداد مجموعة التدابير لحماية صحتهم في مثال خوارزم.

إعداد الإرشادات في رفع إنتاجية الأراضي الزراعية في ظروف منطقة خوارزم. تصنيف المحاصيل الزراعية في الأراضي المالحة، في منطقة أرال الجنوبية.

هناك تعاون مثمر مع المؤسسات التعليمية الثانوية والعليا، في إعداد الكوادر، والمناهج، والكتب المدرسية، في إطار مشاركة العلماء في إنجاز البرنامج الوطني للتعليم.

في منطقة خيوا تم إنشاء الأكاديمية الصغيرة في مركز الأصدقاء الصغار للطبيعة، وتشرف عليها أكاديمية المأمون بخوارزم.

يشارك العلماء والباحثون الأعضاء في الأكاديمية، في تعزيز استقلال أوزبكستان اقتصادياً، وفي نشر الأيدولوجيا الوطنية بين الجماهير الشعبية والدعاية لها، وتعمل حاليًا ندوة البيروني العلمية لدى الأكاديمية.

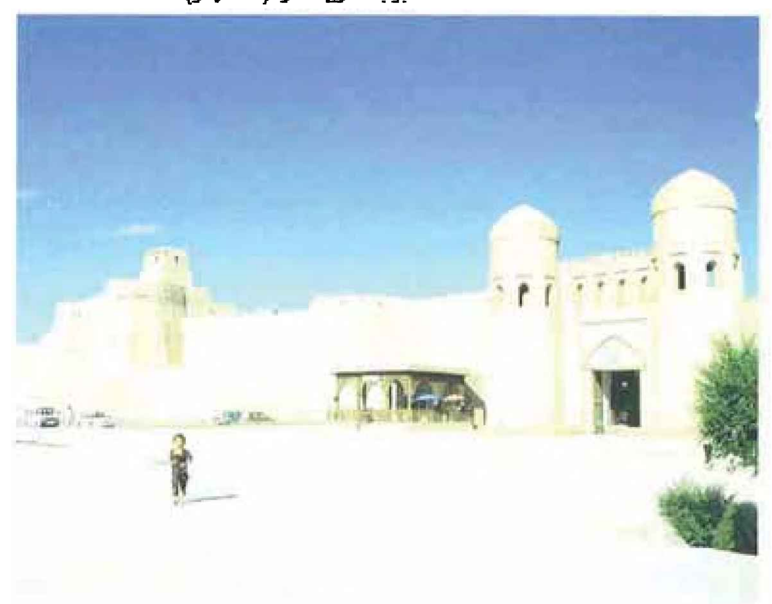
وفي هذه الفترة القصيرة – تاريخيًا – أقيم أكثر من ١٠٠ مؤتمر وندوة وملتقى، علمية وعملية في المستويات المحلية والعالمية، وشارك فيها العلماء البارزون من الجمهورية، والدول الأجنبية.

وفي الوقت الحاضر في الأكاديمية، أنشئت حديقة النباتات الطبية، وكذلك تعمل دار النشر لدى أكاديمية المأمون بخوارزم على دراسة تاريخ الدولة القديمة لخوارزم، وحضارتها، وثقافتها غير المتكررة، وتسليط الأضواء على القدرات العلمية الغنية، التي تطورت في هذه الأرض القديمة وأثرها في تطور الحضارة.

تسعى جماعة أكاديمية المأمون بخوارزم، إلى إجراء البحوث العلمية على أساس متطلبات الاقتصاد الوطني، وموجّها لها إلى حل القضايا والمشكلات الموجودة، ورفع مردودية مصروفات الميزانية

مع توقف نشاط أكاديمية المأمون بخوارزم، بعد احتلال محمود غزنوي خوارزم، استمرت البحوث والدراسات حول الأفكار والقضايا، التي طرحتها أكاديمية المأمون بخوارزم، وتطورت، والعلماء الذين نشؤوا وترعرعوا في أرض خوارزم هم الذين واصلوا نشاط هذه الأكاديمية.

البوابة الغربية لمنارة (كالتامينار)





لقطة مقربة لمنارة (كالتامينار)

والثقافة، والعلوم العالمية، وإعداد الأسس العلمية لحماية الآثار التاريخية من تأثير الظروف البيئية الفيزيائية، وغيرها، وإجراء المراقبة الدائمة لوضع البيئة في الوادي، والاستفادة العقلانية من موارد المياه والأرض الموجودة في المنطقة، ورفع إنتاجية الأراضي الزراعية، ودراسة العوامل المانعة لتمليح الأراضي وتصحرها، من خلال إيجاد المحاصيل الزراعية الملائمة لظروف وادي خوارزم.

- هذه هي القضايا الملحة في نشاط أكاديمية المأمون (مجلس العلماء) بخوارزم.

❖ تم إعداد هذا المقال على أساس تقرير هيئة رئاسة الأكاديمية.



دمياط: مدينة بين النهر والبحر

عبدالغني محمد عبدالله

القاهرة ـ مصر

عند قدومك من بحر الروم الأبيض المتوسط بتسميتنا اليوم)، تكون هي البداية، ومنها تنساح إلى داخل أرض الكنانة، وهي عند ذهابك عنها، تكون آخر ما تراه عيناك في مصر.. هي البدء، وهي المنتهى.

بسبب دورها، لا يمكنك مخاصمتها، أو تجاهلها، أو حتى محايدتها. ودائمًا لك منها كلمة، ومنك لها - أيضًا - كلمة.

أرضها مصرية، لسانها عربي، لها في تاريخ مصر قصص وحكايات، وفي التاريخ العربي أسرار وبطولات. كانت هدفًا للغزاة والطامعين على مر الزمن. ولكنها دافعت عن نفسها، وفي الوقت ذاته عن مصر والشام، وطهَّرت أرضها من دنس الغزاة ونفضتهم عنها. ثم استمرت تؤدي دورها في تؤدة ورتابة. من التاريخ وبالتاريخ، لها رائحة عبقة، تشمها وأنت تسير في شوارعها، وحاراتها، وأزقتها، وبين دورها، ودكاكينها، وورشها، ومزارعها، وحدائقها، تشمها وأنت ترى تربتها السوداء المعممة بالخضرة، أو أرضها الرملية المفروشة بالذهب.

دمياط - المدينة، وحولها الإقليم، البشر والبيوت، الهدوء والصخب والضجيج، الكلمة الحلوة المميزة، الجهد والجهاد من أجل لقمة العيش، واستمرار الحياة - تكاد تكون المدينة العربية الوحيدة - بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة - التي لا تحس فيها بغربة، بل تحس أنك أحد



ابنائهـا، لك مـا لهم، وعليك ـ وأنت غـريب عنهـا ـ القليل، فـأهلها لن يطلبوا منك إلا حسن المعشر ـ قـال عنهم علي مبـارك: «إن طبـاعهم تميل إلى الرقة والرفـاهيـة وحسن المعاشرة، لا سيما للأجانب».

يومـان وليلة، إذا صـاحب شـراع السـفينة ريح طيب من عكا وتجـد نفسك على شـواطئ دميـاط ـ والعذر لنـا ـ فهي مدينة قديمة ـ والحـديث عنهـا بالقـديم أمتع ـ أمـا حديثًا فثلاث سـاعات من القـاهرة بالسيارة خـلال طرق ممهـدة ومـعبّدة ومـزدوجـة عبـر خـضـرة دائمـة على الجانبين، وتجـد نفسك في دمياط ـ فهي تقع عند المصب الشـرقي للنيل، عند نهـاية فـرع دمـيـاط (وهو مـعـروف باسـمها)، ويمكن الوصول إليهـا أيضًا بالقطار، والسفن، حيث مـجـرى نهـر النيل، هذا من مصـر ـ أمـا من خـارج الحـدود، فـالسفن تتولى ذلك ـ إضافـة إلى الطرق البـرية الدولية، حيث تودي ـ أيضًا ـ إلى هناك.

مدينة قديمة

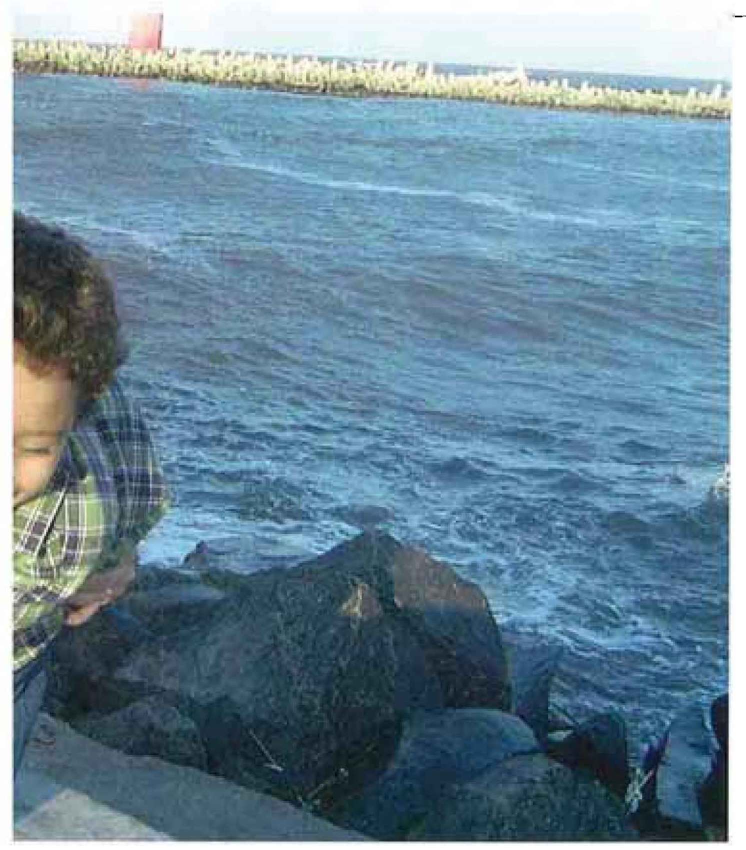
دمياط، مدينة قديمة، قال عنها «صبح الأعشى» في

كتاب القبط: «تولى الملك يلاطس خمسًا وعشرين سنة، ثم ملكت بعده بنت من بنات إنريب خمسًا وثلاثين سنة أخرى، وإنريب مدينة خراب قريبة من بنها العسل، من أعمال محافظة الشرقية، بناها إنريب بن قبطيم بن مصر بن تبصير بن حام بن نوح عليه السلام في سنة ٣٨٥ بعد الطوفان، ثم ملك بعدها أخوه فليمون تسعين سنة، وفي أيامه بنيت دمياط على اسم غلام له، كانت أمه إحدى ساحراته» ولاحظ هنا أن لفظة قبط أطلقت على أهل مصر منذ القدم، فيقال: إن الأهرام هي قبور كبار القبط وملوكهم؛ أي: قبل ظهور المسيحية.

دمياط كانت هي المقاطعة رقم ١٧ في الوجه البحري ـ مصر السفلى ـ خلال العصر الفرعوني، وأطلق عليها اسم سامحيت الذي لم يلبث أن تحول إلى دي آت، ومعناها مدينة الأرز، ثم أطلق عليها اسم تامياتس خلال فترة الحكم اليوناني الذي استمر ثلاثة قرون. ولكن في العصرين الروماني، ثم البيزنطي تحول الاسم إلى تاميات، وكان ذلك أقرب الأسماء قديمًا إلى اسمها الحالي دمياط، وكلمة «تاميات» تعني في اللغة المصرية القديمة: الأرض الشمالية التي تنبت الكتان. أما في التوراة فقد عرفت هذه المدينة باسم كفتور.

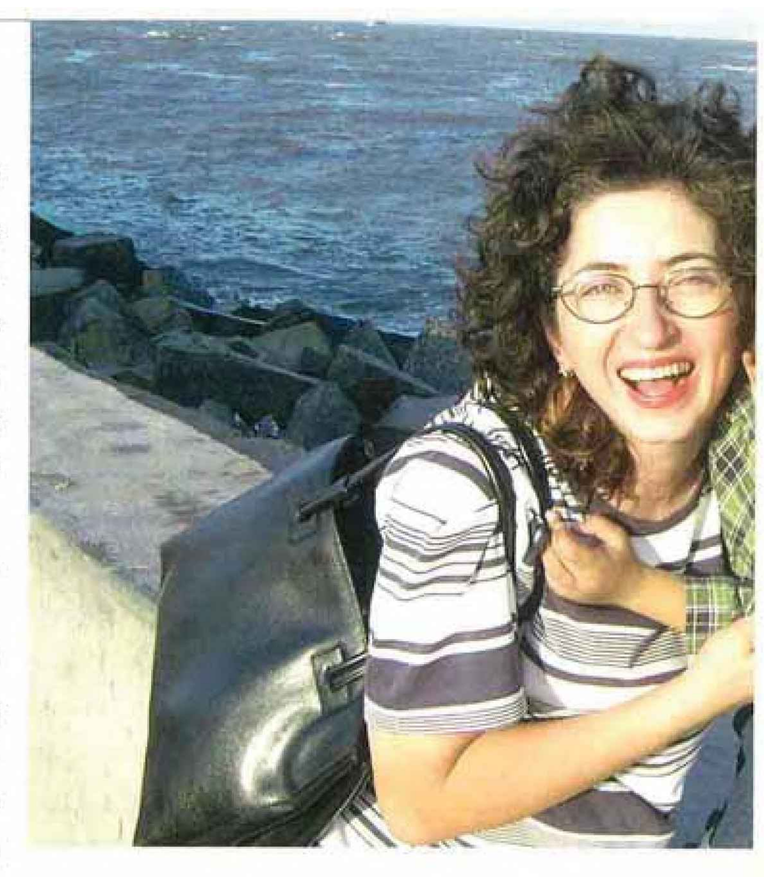
عربيًا فتحها المقداد بن الأسود من قبل جيوش عمرو ابن العاص في القرن السابع الميلادي؛ وبفتحها سيطر العرب على منافذ نهر النيل التي تصب في البحر الأبيض المتوسط عام ٦٤٢م. وحاول الرومان استرجاع المدينة إلا أنهم أخفقوا، وهذا ما دفع المسلمين إلى بناء سور حول المدينة ـ زيادة في تحصينها ـ إضافة إلى إنشاء بعض العمائر البحرية في العصور التالية. وبخاصة في العصر الأيوبي؛ بسبب الخطر الصليبي. غير أن أهل المدينة استمروا على دينهم المسيحي مدة طويلة.

هناك كثير من الروايات حول تاريخ دمياط، وإن كانت تلتقي في النهاية في تفاصيل واحدة، قد تختلف في منطوقها، ولا مانع أن نقرأ ما كتبه لنا العالم الأثري، المصري الدمياطي الدكتور زاهي حواس يقول:



شاطئ رأس البر من أجمل شواطئ مصر

دمياط كانت هي المقاطعة رقم ١٧ في الوجه البحري ـ مصر السفلى ـ خلال العصر الفرعوني، وأطلق عليها اسم سامحيت ـ الذي لم يلبث أن تحول إلى دي آت، ومعناها مدينة الأرز، ثم أطلق عليها اسم تامياتس خلال فترة الحكم اليوناني الذي استمر ثلاثة قرون



«هي جزء من إقليم سما بحدت. أحد أقاليم الوجه البحري. وكان معبوده الرئيس الإله آمون. إله طيبة. وقد كانت مدينة واست محيت عاصمة لهذا الإقليم؛ أي: واست الشمالية، وذلك الاسم يميزها من إقليم واست الجنوبي؛ أي: طيبة، وهو الإقليم الرابع من أقاليم مصر العليا؛ أي الصعيد. عرفت مدينة دمياط في النصوص المصرية القديمة باسم دومى، أو دميت، وفي اللغة القبطية باسم تاماتي، وفي اليونانية باسم تاماتيس، ثم أصبحت في اللغات الأوربية Damiette. أما في اللغة العربية فعرفت باسم دمياط».

طبيعة الأرض

طبيعة أرض مصر رشحت مدينة دمياط بموقعها الجغرافي؛ لتصبح ميناءً نهريًا وبحريًا في الوقت نفسه، وقد ازدادت أهميته بعد تأخر ميناء الإسكندرية، وزوال الموانئ الشرقية القرما ودنيس؛ فمدينة القرما هي نفسها المدينة الفرعونية التي تحول اسمها إلى بيلوز في العصر الروماني، وقد هدمها الوزير شاور في نهاية العصر الفاطمي لأسباب عسكرية.

أما مدينة تنيس فقد هدمها الملك الكامل الأيوبي؛ لأسباب عسكرية أيضًا. وحاول المماليك تدمير مدينة دمياط للأسباب نفسها، وسيروا لها الحجارين والفعلة، فخربوها، ودمروا بوغازها، ولكن المدينة لم تستجب لعوامل الفناء.

عاشت المدينة في حركة دائمة، وحياة واضحة، واتصال مع باقي إقليمها ومدن مصر الأخرى. تأخذ وتعطي، وتبدع كما وكأنه لا شيء حدث على الإطلاق. ولما جاء وقت الفيضان، دفعت مياه النيل العوائق الموجودة بالبوغاز (وهي العوائق التي كان المماليك قد وضعوها لتسد مدخل البوغاز في وجه السفن الحربية الصليبية) وطهرته.

موقع دمياط الجغرافي يعطيها فلسفة فريدة. فهي تقع عند نهاية نهر النيل؛ ولذلك فهي تتلقى فقط ما بقي من خيرات الإنسان وجهده وإنتاجه، وكل خبراته، سواء في الزراعة، أو الصناعة، أو الأفكار، وفي الوقت نفسه تتلقى كل نفايات هذا الإنسان

محمد علي الكبير.. وتتابع أفراد أسرته على حكم مصر

فتحت قناة السويس في عهد إسماعيل، وظهرت

مدينة بور سعيد للوجود. بدأت دمياط تتعرض للإهمال، ثم أكمل طمي النيل (الطين) القادم مع الفيضان صيف كل عام ردم البوغاز، ومع تطور ميناء الإسكندرية انتفت الحاجة إلى ميناء دمياط.

في الوقت الحاضر عاد البحث مرة أخرى، وتوالت النداءات من أجل إعادة فتح ميناء دمياط. وهو الأمر الذي تم بإعادة افتتاح هذا الميناء ليصبح واحدًا من أهم الموانئ المصرية على البحر الأبيض المتوسط، وفي جواره تم إنشاء مدينة دمياط الجديدة. وعاد الميناء لينال شهرته ودوره من جديد.

فلسفة الموقع

موقع دمياط الجغرافي يعطيها فلسفة فريدة. فهي تقع عند نهاية نهر النيل؛ ولذلك فهي تتلقى فقط ما بقي من خبرات الإنسان وجهده وإنتاجه، وكل خبراته، سواء في الزراعة، أو الصناعة، أو الأفكار. وفي الوقت نفسه تتلقى كل نفايات هذا الإنسان، وتحصل على بقايا ما يجود به النهر، أو ما يتبقى من خلال رحلة مياهه من المنبع حتى يصل إليها ليصب بعد ذلك في البحر الأبيض المتوسط، وفوق ذلك تتلقى المدينة الرواسب التي تتسرب إلى نهاية المنحدرات الجغرافية، بتأثيراتها السلبية في كل سكان نهايات الأنهر. هذا فضلاً عن تسلمها بواقي الكهرباء الراكبة على الخطوط القادمة من الجنوب، من عند السد العالي في جنوب مصر؛ أي: أنها في النهاية تتلقى البواقي.. وعلى سكانها - وهذا هو الأهم - الاستزادة والتجويد، وقد كان. فدمياط وأهلها يجوّدون هذا الباقي، ويكثرون منها - رأسيًا وافقيًا - بجهد مبدع وخلاق على مر العصور، ويستغل الدمايطة موقع مدينتهم افضل استغلال.. ولذا فدمياط هي بلد فريد احتفظ بشخصية مميزة. هذا هو ما يفعله النهر بدمياط، وذلك هو رد فعل سكانها.

البحر.. هو المجال الآخر، فالنهر آت من الداخل، والبحر مفتوح من الخارج بلا عوائق، والمدينة تقع في جنوبه. ملوحة مياهه تؤثر على تربتها، ووجوده - البحر - يجعلها على اتصال بما وراءه مما يجلب إليها مشكلات تجارة التهريب، وبخاصة تهريب المخدرات.

ومع خير البحر الوافر، فهو مصدر شر أيضًا، ويكون رد فعل المدينة هو اليقظة الدائمة، وحتى الهواء المفتوح على البحر الأبيض المتوسط والحدود الشمالية والشرقية، جلب لها عبر الموجات الأثيرية والتلفازية، مشكلات جمة، منها العادات والتقاليد الغريبة عن المدينة، وهي المسلمة في أغلبيتها العظمى.

فأعلنت المدينة الجهاد العام ضد هذا الذي يحمله الهواء، وشنت حربًا ضارية على أطباق الاستقبال التلفازية (الستلايت - الدش) للوقوف ضد هذه البرامج عبر الحدود، والمحملة بعادات وتقاليد وفلسفات غريبة عنها، وهذا ما يؤثر في الأخلاق وعادات الناس، ويدفع الشباب - وهم الذين يمثلون قوة الإنتاج في المدينة - إلى السهر، وبذلك يتأخرون عن أعمالهم، ويؤثر في الإنتاج.

وكانت يقظة المدينة لهذا الخطر مبكرة. ولا نغالي إذا قلنا: إنها أول مدينة عربية، أو في العالم كله تقف ضد هذا الخطر القادم من البعيد المجهول، أو المعلوم،

على الضفة الغربية للنهر، وفي مقابل عزبة البرج - تقريبًا - توجد الجربى أفضل مناطق العلاج الطبيعي في العالم العربي، ومصر بصفة خاصة. فهي تشتهر بعلاج الروماتيزم والنقرس؛ وذلك بالدفن في الرمال ذات الخاصية المتميزة، ويتم العلاج تحت إشراف طبي متخصص

والمحمول على أجنحة الأثير. صحيح أنه في الوقت الحاضر، ومع تصاغر أجهزة الاستقبال، تبدل حال المواجهة ليتناسب مع الواقع الجديد.. وعلى كل الأحوال فالمواجهة مستمرة، وأهل المدينة متماسكون رافضون هذا القادم من وراء الحدود من دون إذن، ومن دون رقابة.. ومتمسكون بعاداتهم وتقاليدهم الأصلية.

الضواحي

على ضفة النهر الشرقية، شمال دمياط، توجد عزبة البرج، وهي مدينة قامت حياتها على صيد الأسماك، وتعد، حتى وقت قريب، من أعظم البلاد التي تصطاد سمك السردين في العالم. إلا أن السد العالي، وضبط حركة المياه، وتوقف ورود الطمي «الطين» مع مياه الفيضان، كانت لها أثرها في تقليل كمية السردين، الذي كان يزداد عند مصب النهر في وقت الفيضان، ومع ذلك فأسطول صيد عزبة البرج (أكثر من ٨٠٠ سفينة) يجعلها من أشهر قرى الصيادين في العالم. حديثًا. نحو ٣٠ ألف صياد يملكون نحو ٧٠٪ من سفن الصيد المصرية، ويعد أهلها من أعظم صناع سفن الصيد في العالم.

على الضفة الغربية للنهر، وفي مقابل عزبة البرج. تقريبًا. توجد الجربى أفضل مناطق العلاج الطبيعي في العالم العربي، ومصر بصفة خاصة، فهي تشتهر بعلاج الروماتيزم والنقرس؛ وذلك بالدفن في الرمال ذات الخاصية المتميزة، ويتم العلاج تحت إشراف طبي متخصص. كما أن الجربى هي صاحبة أقدم مدارس تعليم السباحة للمحترفين والهواة وأشهرها، وتخرج فيها عدد من تماسيح النيل، ومنهم عبدالمنعم عبده، قاهر المانش الشهير في الخمسينيات. والنيل بين الجربى ورأس البر من جهة وعزبة البرج من الناحية الأخرى، يشهد حدثًا تتجلى فيه قدرة الخالق عز وجل، حيث تلتقي مياه النيل العذبة بمياه البحر المالحة. وسبحان الله العظيم، هذا عذب فرات سائغ شرابه، وذاك ملح أجاج. جربنا مرة. وكان ذلك قبل بناء السد العالي. أن ركبنا قاربًا ووصلنا إلى حد المياه العذبة وكانت واضحة مخلوطة بالطمي «الطين» أو اللون الأحمر، وتلتصق بها مباشرة مياه البحر الشفافة، وتذوقنا هذا وذاك، فكان هذا عذبًا، وذاك مالحًا على الرغم من التصاقهما.. ﴿مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان﴾ الرحمن: ١٩ . ٢٠. وتبرز هذه الظاهرة عند منطقة اللسان برأس البر.

رأس البر

على الضفة الغربية، وشمال الجربى، يقع مصيف رأس البر. أحد أشهر المصايف المصرية وأقدمها. أنشئ عام ١٨٢٣م، ومازال يؤدي دوره وإلى الآن، وله رواده ومحبوه. وقد استخدمه الخديوي إسماعيل للترفيه عن ضيوفه، في حفل افتتاح قناة السويس، ويعدّ. بحق. مصيف الخاصة في بداية القرن العشرين، وكانت مساكنه عبارة عن عُشش (مفردها عشة من العش بضم العين) مصنوعة من نبات البردي، أو نبات الغاب، أو البوص، بشكل فريد يجعل المنزل مكيفًا بهواء طبيعي ونقي. وما زالت بعض العشش حتى الآن تحمل أسماء أشهر النجوم في الفن والأدب والسياسة. فقد

الجانب الثقافي له أثر كبير في المدينة والإقليم، لما يتمتع به من تركيز وانتشار، فهناك كثير من المدارس والكليات. وقديمًا انتشرت الكتاتيب في المدينة والأرياف، علاوة على المدارس، وتضم المدينة الآن عددًا من المكتبات، ودور السينما، والمسرح، وقصور الثقافة

كان المصيف المفضل لكوكب الشرق أم كلثوم، وموسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب، وقطب حزب الوفد مصطفى النحاس باشا، وغيرهم. وأطلق العرب على هذا الموقع جيزة دمياط، والجيزة هي الناحية، أو ما يجاز إليه.

أما الصليبيون فقد أطلقوا عليه اسم جزيرة دمياط. ويرتبط رأس البر بدمياط بالسيارات والبواخر النيلية، وبعزبة البرج بالقوارب والبواخر الصغيرة. ونلاحظ الصراع بين رأس البر والبحر، الذي يطلق عليه السكان اسم المالح، تمييزًا له من نهر النيل. هذا الصراع يتمثل في تآكل الشاطئ، فصنعوا له حاجزًا للأمواج ليكسر حدتها، وهو عمل يدل على يقظة أهل دمياط، وتحفزهم المستمر.. فدمياط وإقليمها يقعان بين البحر والنهر، ومنها تخرج من أرض مصر كلها، وإليها تدخل إلى أرض مصر كلها.

كانت مدينة رأس البر في الخمسينيات من القرن العشرين، وما قبلها من أهدأ المدن المصرية. ولم يكن دخول التقنيات مسموحًا - قليلة الأثر وقتذاك - إلى المصيف، حيث لا بناء بالآجر، أو الأحجار، لا كهرباء ولا مكنات، الأفران بالحطب والخشب، لا سيارات، ولا إزعاج، بل هدوء كامل، وبُعد تام عن التلوث ومصادره. ومع أن المصيف مازال - إلى اليوم - رائعًا، إلا أنه تم السماح بدخول هذه الآلات فانتفت نعمة الهدوء. وتحول المصيف من فصلي إلى مدينة دائمة، تزهو بعمائرها، ومحلاتها، ومساجدها، التي من أبرزها مسجد الرحمة.

> توالت النداءات من أجل إعادة فتح ميناء دمياط. وهو الأمر الذي تم بإعادة افتتاح هذا الميناء؛ ليصبح واحدًا من أهم الموانئ المصرية على البحر الأبيض المتوسط. وفي جواره تم إنشاء مدينة دمياط الجديدة



الصيد مهنة رئيسة في دمياط

الزراعة والصناعة

تمتلك دمياط رقعة زراعية ضيقة تقدر بنحو ١٠٨ آلاف فدان، وهذا ما دفع أهلها إلى احتراف صناعات خاصة بهم، يتوارثونها أبًا عن جد. وإذا كان دخلهم من الزراعة يقترب من ٣٦٠ مليون جنيه تقريبًا، إلا أن الصناعة أثّرت في السكان بشكل واضح، ورفعت مستوى دخولهم، إذ كانت - حتى وقت قريب - نحو ٤٢٩٠٣ ورشات صناعية تخدم ٧٤١٢٦٤ نسمة تقريبًا. ويعمل أغلب السكان في الصناعة فيحولون الخامة البسيطة إلى سلعة مميزة تحمل اسم الدمياطي، وذات سمعة كبيرة اعتمادًا على المهارة الفنية الراقية. ويقال: إن الدمياطي هو إنسان القيمة المضافة، من خلال إنتاجه الصناعي في مجالات كثيرة.

والدمايطة يقدمون نمطًا راقيًا للصناعة. فهم أهم



الرزق على الله: لسان حال صيادي دمياط

صيادي الأسماك في مصر، وأعظم غزالي الحرير فيها، وأدق صناع الأحذية، وأفضل صناع منتجات الألبان، وأمهر صناع الحلويات، ويكاد المِشَبِّك (بكسر الميم وفتح الشين وتشديد الباء وكسرها) يصبح سفيرًا للمدينة، يحمل في لفات مميزة مع الخارجين من المدينة إلى المدن الأخرى في مصر، أو خارجها كهدايا (المشبك نوع من الحلوى الدمياطية الفريدة)، ولا ننسى أن الجبن الدمياطي ينتج الآن في أشهر مصانع الجبن في العالم، وبخاصة في الشمال الأوربي، وتضع المصانع عليه اسم «جبن دمياطي» إذ له طريقة خاصة في صنعه، علاوة على طعمه المميز.

الأب والابن يعملان في المصنع، والأم والبنت ترتبان البيت وتعدان الطعام، وتنتظران الأب والابن، وعند فراغهن يعملن في تطريز المناديل وتزيينها بالخرز، وتطريز الأقمشة والملابس. أما الطفل الصغير فهو يجمع

انتسب عدد من العلماء إلى إقليم دمياط، منهم الفيلسوف المصري المرحوم الدكتور عبدالرحمن بدوي من قرية شرباص، والدكتور علي مصطفى مشرفة، عالم الرياضيات والعلوم البحتة، وغيرهما

المسامير من تحت يدي النجار، أو يناول الطعام والماء. كلهم يعمل وكلهم ينتج، لا بطالة ولا تعطل. وكلهم متدين ومسالم. والجرائم قليلة، والمدينة خالية من الحانات، مساجدها وزواياها كثيرة، ودور العبادة التي منها جامع البحر، والشرباصي، والشبطاني وعمرو بن العاص، منتشرة في كل مكان.

والدمايطة أصحاب طاقة مميزة في العمل، والدمياطي وحدة اقتصادية متكاملة. فهو افضل من يقيم مشروعًا اقتصاديًا خاصًا. واحسن من يمتلك دخلاً اكبر من دخل أي مواطن آخر في مصر. يعرف بعضهم بعضًا، ويجدون حلولاً لأغلب مشكلاتهم، وقلما يلجؤون إلى اقسام الشرطة والمحاكم.

اليهود لم يتمكنوا من العيش في دمياط، إذ وقف أهلها لهم بالمرصاد. والمرابون لم يتكسبوا فيها. والمجتمع الدمياطي من أفضل التجمعات الاقتصادية، فيداه تبدعان كل طلعة شمس أثاثًا منزليًا يقارب مليوني جنيه، وتصنع ما يقترب من مليوني غرفة نوم كل سنة، وتصدّر نحو ٣٠٠ ألف غرفة موبيليا إلى العالم، تبدعها انامل ٧٠ ألف عامل حرفي. هم أمهر تجار الموبيليا وصناعها في مصر والشرق الأوسط.

وامتع ما قيل عن أهل دمياط، أنهم ضحكوا على الأبالسة أحفاد شيلوك (اليهود) الذين اتجهوا إلى رأس البر بعد خيبة أملهم في المدينة، وكان أهل دمياط لهم بالمرصاد هناك. أما اليهودي الذي طلب من الدمياطي أن يساعده على أن يأكل ويشرب ويتسلى ويطعم حماره باقل تكلفة. فأشار عليه الدمياطي ببطيخة يجد فيها مطلبه: إذ يروي ظمأه، ويملأ بطنه، ويتسلى ببذرها، ويطعم حماره قشرها. وهي حكاية مشهورة في مصر ويقال: أنها حقيقية وقعت في دمياط. وهي على بساطتها كحكاية، ولكنها ترمز إلى معنى كبير.

> تمتلك دمياط رقعة زراعية ضيقة تقدر بنحو ١٠٨ آلاف فدان، وهذا ما دفع أهلها إلى احتراف صناعات خاصة بهم، يتوارثونها أبًا عن جد. إلا أن الصناعة أثرت في السكان بشكل واضح، ورفعت مستوى دخولهم

يوصف الدمياطي بالبخل، وتلك سمعة ظالمة، وإن التصقت بهم فبسبب أنهم غير متفرغين، فالعمل عندهم عبادة، الجمعة هو يوم راحتهم. وما عدا ذلك فهم يعملون ليل نهار، وينتجون كمًا وكيفًا كما لا ينتج الآخرون، صادقون لا يخدعون أحدًا. ولذا فهم غير متفرغين للزيارات والسهر والسمر مع ضيوفهم إلا نادرًا.

موقع مدينة دمياط جنوب البحر المتوسط جعلها - قديمًا - تستقبل الأخشاب من آسيا الصغرى، وخام الحرير القادم من الصين، عبر طريق الحرير القديم، كما تستقبل التبغ، والطباق، والفواكه، والزيوت، والزيتون، والصابون، من الشام، ويرد إليها الفحم ومنتجات أخرى متعددة، وتخرج منها المنتجات الصناعية المتعددة، من أثاث، وجلود، وألبان، وحلوى، ونسيج، إضافة إلى الأرز، والقمح، والملح.

دمياط والغزو

وموقعها على أحد مداخل مصر الشمالية، جعلها عرضة للغزو - دائمًا - وقد تصدت لهذه الغزوات على مر التاريخ، أبرزها غزوتان صليبيتان رغبتا في إركاع المسلمين، حيث اكتشف الصليبيون انه لابد من ضرب مصر أولاً، وكانت البداية عند دمياط.

دعا «حنا بريين» إلى مهاجمة مصر لكونها مفتاح «بيت المقدس» وأمام الهوس والتعصب اوجدت الدعوة صداها في أوربا. ودعم البابا «أنوسنت الثالث» هذه الدعوة.

فتجمع كثير من «الاستبارية، الداوية، و«القبارصة» واتجهوا جميعًا إلى دمياط، ووصلوها في أيار/ مايو عام ١٢١٨م. بعد الاتصال بملك الحبشة للمساعدة في ضرب دار الإسلام من الجنوب، وغزو الحجاز وهدم الكعبة المشرفة، ووصلت الحملة إلى مشارف دمياط. وعلم الملك الكامل بوصولهم، فتحرك لجنوب المدينة، ويروي لنا «ابن تغري بردى الأتابكي» أن الفرنجة أخذوا دمياط. وكان الملك المعظم عيسى صاحب دمشق قد جهز إليها «الناهض بن الجرخي» ومعه ٥٠٠ راجل، إلا أن الفرنجة هجموا على الخنادق، وقتلوا ابن الجرخي ورجاله، وصفّوا رؤوس القتلى على الخنادق بعد أن ردموها.

وعجز الكامل عن نصرة أهل دمياط، حتى ضعفوا، وأكلوا الميتة، ووقع فيهم الوباء والفناء. وأرادوا التخلص من هذا البلاء فراسلوا الفرنجة. واتفقوا معهم على تسليم المدينة شريطة الخروج منها بأموالهم وأهلهم، ولكن الفرنجة غدروا بهم قتلاً وأسرًا، وفجروا بالنساء، وافتضوا البنات في الجامع؛ الذي حولوه إلى كنيسة، واستولوا على المنبر والمصاحف، وأرسلوا بذلك كله مع رؤوس الشهداء إلى الجزائر، فوقع على المسلمين كآبة عظيمة. وبكى كل من الكامل، والمعظم بكاءً شديدًا.

وعندما خرج الفرنجة لغزو باقي مصر، وكان ذلك وقت فيضان النيل فتح المسلمون عليهم الترع من كل اتجاه، فأغرقتهم المياه، ثم أحدق بهم عساكر الكامل. وتكفل الأسطول الإسلامي بالباقي؛ فاستولى على مراكب الفرنجة ومنع عنهم الميرة. وكان عددهم كبيرًا (مئة كند، وهو الفارس الباسل الشاكي السلاح)، و٨٠٠ من الخيالة، وملك عكا، والدوك (الدوق)، واللوكان (نائب البابا)، وكثيرون، فعاينوا الهلاك، وأرسلوا للكامل طالبين الصلح، وإعادة دمياط لأهلها. ووافق الكامل حرصًا على خلاص المدينة.

موقع مدينة دمياط جنوب البحر المتوسط جعلها تستقبل الأخشاب من آسيا الصغرى، وخام الحرير القادم من الصين، كما تستقبل التبغ، والطباق، والفواكه، والزيوت، والزيتون، والصابون، من الشام

الحملة السابعة

«لو رأت عيناك أيها المغرور حد سيوفنا، وعظم حروبنا، وفتحنا منكم الحصون والسواحل، وأخربنا لكم الديار الأواخر والأوائل، لكان منك أن تعض على أناملك ندمًا».

بهذه القوة كتب الصالح نجم الدين أيوب، وهو على فراش الموت إلى ملك فرنسا «لويس التاسع» قائد الحملة الصليبية السابعة بعد تحركه من قبرص متجهًا إلى دمياط. راد بذلك على خطاب التهديد الذي أرسله الملك الصالح. ووصل لويس بجيشه إلى دمياط في أواخر أيار/ مايو عام ١٢٤٩م، ونزل على البر الغربي. وكانت دمياط محصنة، ودارت معركة رهيبة انتصر فيها الصليبيون، وانسحب جيش الملك الصالح، وأشعل أهل دمياط النار في أسواقها، وتملك الصليبيون المدينة خمسة أشهر، وجاءهم المدد بقيادة ألفونس، وبدؤوا يتحركون صوب القاهرة. وفي هذه الأثناء توفي الملك الصالح، وأخفت زوجته «شجرة الدر» خبر وفاته؛ بسبب المعركة المحتدمة. هاجمهم الأمير فخر الدين عند مدينة فارسكور وقرية شرمساح. وتصدى لهم بيبرس في المنصورة، وقتل قائدهم روبرت. وبسبب الهزائم التي أنزلها بهم المصريون بدؤوا بالانسحاب إلى دمياط ولكن سوء حظهم، وتكرار هزائمهم لازماهما، وسقط الملك لويس في الأسر عند فارسكور، وسجن في دار ابن لقمان بالمنصورة، بحراسة الطواش حسين المعظمي، وأرسلت شجرة الدر في استدعاء «توران شاه»



سوق شعبي

ابن الملك الصالح من حصن كيفو بالشام. فجاء ووضع شروطه عن الملك لويس، والانسحاب الصليبي، والإفراج عن أسراهم. كما شمل الاتفاق استعادة دمياط. وغادرها لويس فعلاً في ٨ أيار/ مايو عام ١٢٥٠م إلى عكا. وأصبح هذا اليوم ٨ مايو عيدًا وطنيًا لمحافظة دمياط.

الثقافة

الجانب الثقافي له أثر كبير في المدينة والإقليم، لما يتمتع به من تركيز وانتشار، فهناك كثير من المدارس والكليات، وقديمًا انتشرت الكتاتيب في المدينة والأرياف. علاوة على المدارس. وتضم المدينة الآن عددًا من المكتبات، ودور السينما، والمسرح، وقصور الثقافة. كما أن المطابع تدفع بكثير من الكتب والنشرات الثقافية بشكل دوري. ولعلنا نستطيع القول: إنه يصدر في دمياط أقدم صحف مصر الإقليمية «أخبار دمياط» وكان يرئسها أحد أقدم الصحفيين في مصر، المرحوم «زكريا الخراوي». وصحيفتان أخريان حديثتان نسبيًا، هما «أنباء دمياط» و«الدمايطة».

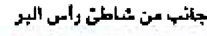
وبمناسبة الجانب الثقافي والتراث. فإن إقليم دمياط يضم كثيرًا من المواقع الأثرية منها: تل البراشية (قرية تابعة لإقليم دمياط)، وتل القلعة، وتل الكاشف، والعظام، وشطا. وهي تلال قريبة بعضها من بعض، وهذا ما يدل: على أنها كانت مواقع سكنية في غابر

على الضفة الغربية، وشمال الجربي، يقع مصيف رأس البر – أحد أشهر المصايف المصرية وأقدمها – أنشئ عام ١٨٢٣م، ومـازال يؤدي دوره إلى الآن، وله رواده ومعجبوه. وقد استخدمه الخديوي إسماعيل للترفيه عن ضيوفه، في حفل افتتاح قناة السويس. ويعدّ – بحق – مصيف الخاصة في بداية القرن العشرين

الزمان. وتل البراشية خصوصًا يضم حمامًا رومانيًا، وشبكة قنوات مياه مغطاة ومبنية بالطوب الأحمر (الآجر)، وقد وجد بها ورش ومعاصر للزيتون والنبيذ.

إضافة إلى ذلك توجد تلال أثرية داخل بحيرة المنزلة، وعدد من الآثار الفارقة قبالة سواحل دمياط، مثل: أغطية التوابيت، وتيجان الأعمدة، وتمثال زيوس كبير آلهة اليونان القدامى، وهو يزن نحو طن، ومنحوت من المرمر الرمادي، هذا فضلاً عن كثير من الأواني الفخارية.

انتسب عدد من العلماء إلى إقليم دمياط، منهم الفيلسوف المصري المرحوم الدكتور عبدالرحمن بدوي من قرية شرباص، والدكتور علي مصطفى مشرفة، عالم الرياضيات والعلوم البحتة، والدكتور أحمد حمزة، رئيس جامعة المنصورة السابق، والسفير عبدالرؤوف الريدي، ابن عزبة البرج، والصحفي عباس الطرابيلي، والكاتب الصحفي صلاح منتصر، والدكتورة درية شرف الدين مديرة الرقابة على المنتجات الفنية السابقة، ابنة قرية البستان.



جانب من شاطئ رأس البر





عرش على الصحراء

حسن علي حسن شهاب الدين

القاهرة ـ مصر

سارٍ وَتَرْتُبكَ أنوارٌ ورِضوانُ ... خطاكَ فوقَ الصُّخورِ الصُّمِّ قُرْبانُ

تاجُ الجلالةِ زاهٍ فوقَ مفرِقِكَ الـ ... طُّهورِ إمَّا هَوَتْ في التُّرْبِ تِيجانُ

ما فوقَ قدرِكَ قَدْرٌ لَستَ حائزَهُ ... ودونَ قدرِكَ لا يَبْتَغِيهِ إنسانُ

مُهاجِرٌ أنتَ والصحراءُ جاثمةٌ ... على خُطاكَ وللتاريخِ إذْعانُ

وللرِّمالِ خُشوعٌ أنت تَعْلَمُهُ ... وللجبالِ جوًى عاتٍ وأشْجانُ

أأنتَ ترحلُ والأكوانُ أجْمَعُها ... مِنْ نورِكَ المُصْطَفى في البَدْءِ تَزْدانُ؟

أَشْبرٌ تَجِيئُكَ بِقاعُ الأرضِ جاثيةً ... شوقًا إليك إذا اقْصالكَ كُفْرانُ

هاتيكَ يشربُ مِلْءُ الكونِ لَهْفَتُها ... مثلَ العروسِ كساها الحُسْنَ إيمانُ

تأتيكَ سابقةً، تأتيكَ عاشقةً ... تأتيك رامقةً والطرفُ نشوانُ

◆◆◆

ما بالُ عُصْبَةِ شِرْكٍ هانَ ذِكْرُهُمُ ... عندَ الزمانِ وعندي مثلما هانُوا

ضاقَ الزمانُ بهم كُفرًا ومَعْصِيَةً ... فما أظلَّهُمُ وَقْتٌ ولا آنُ

البيتُ يَجْأرُ ساحاتٍ وأفنيةً ... قد سيَّجَتْهُ بِلَيْلِ الشِّرْكِ أوْثانُ

إنْ شِئْتَ تُبْصِرُ أرْبابًا وآلهةً ... منَ الحجارةِ مَرْفوعاً لها شانُ

فأيُّما مَوْضِعٍ ربٌّ وجاثيةٌ ... وكلُّ ربٍّ بها يَرْعاهُ شيطانُ

وَأَنْت بالنورِ تَسْعى بَيْنَ أعْيُنِهِمْ ... وَهُمْ عَنِ الألَقِ العُلْويِّ عُمْيانُ

تَدْعو إلى اللهِ في عِزٍّ ومَكْرُمَةٍ ... وَهُمْ إلى الرِّقِّ والأحْجارِ عُبْدانُ

لِذا فَقَدْ أجْمَعوا أمرًا بمكرِهِمُ ... والنَّجْمُ غافٍ ولَيْلُ الشَّرِّ يَقْظانُ

سُبحانَ ربِّكَ تدعوهُمْ لِتُنْقِذَهُمْ ... وَهُم لِقَتْلِكَ - يا حاشاكَ - شُجْعَانُ

وَحَوْلَ دارِكَ هاهُمْ جُمِّعُوا مِزَقًا ... مِنَ البِلادِ فَهُمْ في الإثمِ أعوانُ

وَحَوْلَ دارِكَ منْ عَلْياءِ رَحْمَتِهِ ... سَكينةٌ مِلْؤُها رَوْحٌ ورَيْحانُ

«يس» سِتْرٌ من الرَّحمانِ امتدَّلَهُ ... على عيونِهِمُ فالجَمْعُ غُفْلانُ

تَسيرُ مُتَّئِدًا ما بينَهُمْ وَهُمُ ... كأنَّهُمْ خُشُبٌ مُدَّتْ وصُلْبانُ

◆◆◆

يا دَهْرُ هذا رسولُ العالمينَ سَرَتْ ... قَصْواؤُهُ، فَلْتَقِفْ لِلرَّكْبِ أزْمانُ

يا قَفْرُ يا لَيْلُ يا تاريخُ فالتَفِتُوا ... هذي المَلائِكُ لِلرُّكْبانِ إخْوانُ

حَفَّتْ ملائكةُ الرَّحمانِ مَوْكِبَهُمْ ... وَضَمَّهُمْ بِرِضاءٍ مِنْهُ رَحْمانُ

انظُرْ لِتُبْصِرَ عَرْشًا صِيغَ مِنْ حَجَرٍ ... في الغارِ يَعْنُو لهُ قَصْرٌ وإيوانُ

عَرْشٌ على صَخْراءَ أنْتَ سَيِّدُهُ ... فالكهفُ مملكةٌ، إذْ أنْتَ سُلْطانُ

وَحارِسَاكَ حَماماتٌ مُسَلِّمَةٌ ... وَعَنْكَبٌ نَسْجُها لِلْغارِ عنوانُ

آياتُ ربِّكَ حَوْلَ الغارِ مُنْزَلَةٌ ... لقلبِ صاحِبِكَ الصِّدِّيقِ بُرْهانُ

يا ثانيَ اثْنَيْنِ لا تَعْبَأْ بِشِرْذِمَةٍ ... فَسَيِّدُ الغارِ لا يَبْغيهِ عُدْوانُ

اللَّيْلُ باسمِ رسولِ اللهِ مَأْمَنَةٌ ... والقَفْرُ باسمِ رسولِ اللهِ بُسْتانُ

◆◆◆

يا سَيِّدَ الكونِ هذي الرُّوحُ هائمةٌ ... لاسْمِ الحبيبِ وهذا القلبُ هَيْمانُ

ما إنْ ذَكَرْتُكَ في نَفْسي أُحَدِّثُها ... حتى تَهاوَتْ ومِلْءُ النَّفْسِ تَحْنانُ

والشِّعْرُ.. ما لِقَصيدي فيكَ مُرْتَجِفًا ... يَبْغي المُثُولَ فيأبى وهو خَجْلانُ

هَلْ تَقْبَلَنَّ رسولَ اللهِ من شَفَتي ... رُموزَ حُبٍّ إلى عَلْياكَ (قُرْبانُ)

فإنْ قَبِلْتَ فَشَدْوي فيكَ مُعْجِزَتي ... أو لا.. فَقَدْرُكَ لا تُحْصيهِ أذهانُ

يا لَهْفَ نفسي لَقَدْ كَلَّفْتُها شَطَطًا ... آتيكَ بالشِّعْرِ إذْ يأتيكَ قُرآنُ



عازف الناي

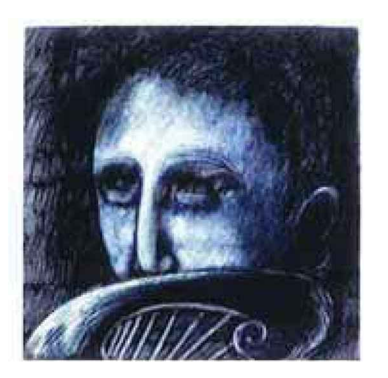
أيمن إبراهيم معروف

جبلة ـ سورية

تتحدّثُ لي الفتياتُ الصغيراتُ
عنْ عازفِ النّاي
هذا الغريبُ الذي في الحكاية
كيفَ رأى في الغناءِ ملامحَهُ مرّةً
تَتَكلّمُ عنهُ
وكيفَ رأى ليلةَ القَصْرِ
مشغولةً باللآلئ
.. كيف الأميرةُ بينَ الوصيفاتِ مرّتْ
لينفُرَ ظبيٌ على وَقْعِ ما يتسرّبُ
بينَ الأصابع
.. كيف القصيدة بابٌ إلى الليلِ
واللّيلُ أبيضُ فوقَ النّوافذِ
.. كيف الأميرةُ تقرعَ بابَهُ

◆◆◆

تتحدث لي الفتيات الصغيراتُ
كيف رأى عازفُ النّاي
أنَّ عليه الغناءَ طويلاً.. طويلاً..
ليبرأَ فيهِ شبابهُ





محمود قرني

القاهرة ــ مصر

مولَعٌ بتقَاويم هذي السَنَةَ
مَرَّ ما بَيْنَ وجْهَين... عامٌ
وهَا هيَ غَادَرَتِ القَلْبَ أنْبَاؤهُ
ووحيدًا أمرُّ علَى وجْههَا،
أتَّقيه،
وأغْمِسُ أورادَهُ في بَخُورِ محبتِهَا
وأنَامُ
فلْيَكُنْ،
أنَّها علَّكَتْ في دَمِي وَرْدَهَا
ولْيَكُنْ
أنَّنِي كُنْتُ خَيْمَتَهَا
داخَلَتْني رياحينُها
وأنا المُتلبِّسُ ساحتَها
ووجوهَ محبيِّهَا،
وحنينَ مِلاءَاتِها لعروقي
وهَا هي علّقتِ الحبَّ بالحبِ
وادّخَرَتْ لدَمي موْعدًا

وبَدَا وجْهِي المُتعلِّقُ في سُرَّةِ المائدةْ
إنْتظرتُ طويلاً
وخبّأتُ في وقتِهَا ولَعِي بالجُنونِ
وبالموتِ في غيْهَا الموسميِّ
مَرَّتِ اليومَ بالنَّهَرِ
تسألُ عن ولدٍ نَازَلَتْهُ الصبَايَا
وعَنْ زَهْرَةٍ
أفْلَتَتْ في الصبَّاحِ
وحطَّتْ على شاهدٍ
مُولَعٌ بتقَاويمِ هَذِي السنةْ
والقطارُ يشقُّ المسافةَ
بينَ عَشيقينِ
يَسْعلُ وَهْوَ يُخَبِّئُها بينَ معْطَفِهِ
وهَوَاهُ، ويَمْنَحُهَا يومَهَا
يدَخُلانِ
تُعلّقُ آخرَ يوم على حَائطِ البَهْوِ
تدخلُ حُجْرَتَهَا
وتُمزّقُ تقويمَ عام مَضَى
ثُمَّ ترْسُمُ وجهًا أليفًا
يُراودُ تقويمَ عامٍ يَجيءُ



حب في المدينة العتيقة

شفيق بن البشير غربال

صفاقس ـ تونس

طال وقوفها في المحطة، وعيناها لا تتحوّلان عن الجانب الشرقي من سور المدينة.. حرّك فيها ملل الانتظار حنينًا دفينًا إلى المدينة العتيقة.. هنالك غير بعيد قضت أسعد أيّام صباها في دار جدّتها لأمّها، تركض وتتفسّح كريتها من علوّهم الضيّق.. يُؤْثِرها الجميع، ولا تثريب عليها فيما تفعل وتحبّ!

ـ قد تتأخر الحافلة كثيرًا...

تمتمت بهذه الكلمات، وأذعنت لرجليها تقودانها إلى وسط المدينة.. هنالك استقبلتها روائح الحلويات والخبز من مداخن الأفران، والزمن ليس رمضان، ولرمضان في ذاكرتها عهد أقرب إليها من حبل الوريد!

إنها لا تزال تذكر معانيه في سلوك الكبار من حولها في دار جدّتها: صوم، وتراحم، وتزاور، وصنع حلويات..

استوقفها باب عاشر في أحد أزقة المدينة. بابٌ نُكّر لها، فما أنكرته. هنالك وراء هذا الباب شهدت رمضان في أجلّ صوره، وارتبط في ذاكرتها بجدّتها.

استشفت الباب، فرأت مشهدًا لن تنساه.

ـ جدتي! هل اقترب العيد؟

ـ نحن في النصف من رمضان يا عزيزتي! علينا أن ننشط في صنع حلوياتنا، لنتفرغ لإعانة الجارات.

ـ وهل سننتقل كالعصافير؟!.

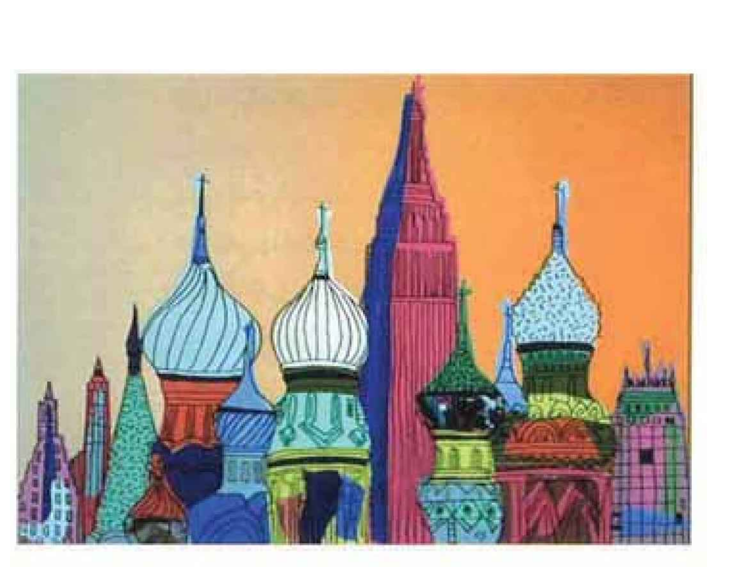
ـ أجل.. إن العجائز مثيلاتي لا يتسكّعن في الأنهج، كالصبايا والعرائس!..

ـ ولكنك تخرجين إلى الجامع؟!..

ـ ذلك في طاعة الله.. غفر الله لنا جميعًا..

◆◆◆

أضحكها المشهد، وترحّمت على جدّتها التي حَبَتْها



بعطفها وحنانها، وانفذت فيها حب المدينة العتيقة.. ثمّ تنهّدت واسترجعت بقية شريط الذكريات.

- مرحبًا بجارتي الغالية! حلّت البركة! يا فلانة، جهّزي مكان الصدارة لجارتنا الغالية!

اشتبكتا في عناق وتقبيل، على طريقة العجائز الحميمات الودودات وأحلتها مكانها، بعد نزع لحافها الحريري وظهور نَزْر قليل من فتنتها الغابرة، غلب عليها نور متلألئ من وجه يعمره الإيمان والبركة.

- «اسمعن يا بنات. تعلّمن منها ما استطعتنّ، فليس لنا منها كثير. ففيها الخير والبركة!»

يومئذ تنحنحت جدتها، وأمرتها باللعب بعيدًا عن حلقة الصانعات حول صينية البقلاوة، ثم تفقدت اللوازم وبسملت، وتوكلت على الله، واشتغلن كلهن كخلية النحل، والجدة تعطر المكان بالبسملة والصلاة على النبي، إلى أن انتصف الليل، وحان وقت صبّ حشو اللوز المرميّ والفواكه المجروشة.

في تلك الأثناء، دارت كؤوس الكريمة السخنة، واختلطت الأحاديث والهمسات والضحكات والصغار يتطلعون إلى ما يدور في مجلس النساء، بآذان صاغية، يضحكون لنكتة، ويجمون لسماع كلام لا يفقهونه من أحاديث نسويّة خاصة.

إنها تذكر الآن وقع عصا جدتها على الصينية، وهي تقول منبهة محذرة:

- العصافير تأكل الحبّ!

فتصمت النساء، ويضحك الصغار من قولها، فالزمن ليل، ولا وجود للعصافير داخل الغرفة!

إنها الآن فتاة الثامنة عشرة، هي غير طفلة تسع السنوات!

انقبضت وهي تستعيد مشهد جدّتها، وهي تختفي في لحافها الحريري، وجارتها تودّعها بكمّ هائل من الثناء والشكر والدعوات المطيرة بزيارة بيت الله الحرام، وانفرجت وهي تمسك بيد جدّتها وتصعد معها الأدراج لبلوغ السطح. ليلتها لم تقدر أن تكتم ضحكتها، وسالت جدّتها:

- جدتي! إنني لا أرى عصافير في هذا اللّيل تأكل الحبّ! فكيف رأيتها أنت؟!..

فردت عليها جدتها بهدوء مصطنع.

- الصغار المؤدبون لا يتدخلون في أحاديث الكبار!

❖❖❖

هزّت الشابة كتفيها ولم تنس أضواء المدينة، وسُحب الدّخان في ذلك الليل الساكن. واليوم؟!..

لقد بات هذا الباب الموصد دونها يحول بينها وبين جدتها. ويقف حاجزًا بينها وبين المدينة العتيقة، التي فتنها سحرها الأبدي، فصارت مثل طائر ألِف قفصه، لا يكاد يفارقه إلا ليعود إليه!

انتبهت من حلمها على صوت إحدى الجارات تصيح بابنها من شرفة علوّها، فأنكرت في نفسها هذا السلوك، إذْ مِن عادات أهل المدينة العتيقة، ألا تعلو أصوات نسائهم في الأزقة والأنهج!

طأطأت رأسها وكَرّت راجعة إلى المحطة، مثقلة الخُطا وهي تُتمتم:

- رحمك الله يا جدتي!







عمر فتال

خريبكة – المغرب

لا يمكنه، ولو على وجه التقريب، أن يحدد عدد السنوات التي اضحت تفصل بينه، وبين آخر مرة رفع فيها الأذان فوق المئذنة. فقد مضى ردح من الزمان على دخول الكهرباء، ومن ثم مكبرات الصوت، رحاب ذلك المسجد الذي جند نفسه في سبيل الله لخدمة المصلين به، سواء أهل الحي، أو غيرهم من عابري السبيل، فهو اول من يدخل وآخر من يخرج، إن في عز الشتاء البارد، او في أوج الصيف الحارق!!. لذا لم يكن غريبًا أبدًا أن يستيقظ في نهاية هاتيك الليلة العاصفة، التي انقطع فيها التيار الكهربائي، قبل موعد أذان صلاة الصبح بما يربو على الساعة والنصف. همه الأوحد أن يلتحق بالمسجد لإشعال مجموعة شموع، ووضعها في أماكن معلومة، بعدها يصعد إلى حيث المكان الذي طالما وقف فيه سنين خلت، محملاً نسيم الفجر، وهدوء الظهيرة، وريح الأصيل، وسجو مقدم الليل؛ عبارات النداء الخالد.

توضأ.. تدثر.. غادر البيت يتلمس طريقه إلى المسجد، وسط شارع مظلم، وتحت سماء ممطرة.. وصل.. فتح الباب.. دخل.. أوصده.. ثم أشعل الشموع الواحدة تلو الأخرى، صلى ركعات خاشعًا، تلا آيات بينات بلسانه، وقلبه فاقشعر لها جلده، بعدها صعد الدرجات بهدوء.. بلغ المكان في أعلى المئذنة، وقف، وضع يديه على صدره، ذهب ببصره بعيدًا حيث البروق تخطط وسط السحب الدكناء الماطرة خطوطًا متشابكة لا تلبث أن تمحي لتفسح المجال أمام الرعود المتجاوبة في الآفاق القريبة..

سبَّح.. حمد الله.. كبر بصوت مسموع، وكله انتظار إلى حلول الوقت ليرسل العبارات الندية هذه المرة مع الرياح الغاضبة التي يسابق بعضها بعضًا داخل الأزقة الضيقة، والدروب الملتوية، وتنوح لعويلها الأشجار المتأوهة. استسلمت عيناه وقلبه لحظات لعظمة الخالق المتجسدة أمامه في السماء، وعلى الأرض قبل أن يشد انتباهه ظل يتحرك ببطء على الحائط المقابل لنوافذ المسجد: «لا شك أن أحد المصلين قد وصل» حدّث نفسه، ثم ما لبث أن استدرك: «ولكن لا يزال في الوقت متسع»..

ركّز نظره في الحائط.. تحرك الظل من جديد.. تقدم رويدًا رويدًا، ثم تلاشى حينما وقف صاحبه قرب إحدى النوافذ، تفرس برهة باهتمام بالغ:

«إنه عبدالمالك، اللهم اكفنا شره!!» قالها مرتعشًا، وهو يستسلم لجملة تساؤلات مترادفة: «متى خرج من السجن؟ ماذا يريد في هذا الوقت، وفي هذا المكان؟! اتعطشت نفسه إلى بث الرعب في سكان الحارة؟!» همَّ بتكليمه.. هم بمطالبته بالابتعاد عن باب المسجد، إلا أنه لم يجد القدرة على ذلك، واكتفى بالنظر إليه متسمرًا في

المكان نفسه، يداه في جيبيه، وعيناه لا تستقران على حال.. «ربَّاه! ما العمل؟! دقائق معدودة، ويحين موعد رفع الأذان؟ كيف لي أن اصرف أذاه عن المصلين؟ كيف لي أن انبههم على وجود هذا المجرم الخطير؟! لماذا تجشمت عناء المجيء قبل الأوان؟ لماذا أشعلت الشموع وتهيأت لرفع الأذان من أعلى المئذنة؟! ألكي يحضروا من أجل أن يترعوا القلوب اطمئنانًا وسكينة؟، أم من اجل أن يملؤوها خوفًا وهلعًا؟! أتذهب إذًا جهودي لخدمتهم في هذا اليوم العاصف أدراج هاته الرياح القوية؟

لا يمكن؛ سأنزل الآن.. سأطرده.. بل سأستعطفه.. سأرجو منه الالتحاق بحجرته على سطح منزل جدته.. فالجو بارد، والأمطار متساقطة، سأقول له: إنهم يأتون إلى المسجد بجيوب فارغة، وأغلبهم شيوخ «لا يلهيهم عن ذكر الله شيء».

أحس وكأن جلمود صخر انزاح من فوق صدره.. نزل مسرعًا.. أوشك أن يقترب من النافذة الموجودة في أقصى اليمين، فتناهت إلى أذنيه طرقات على الباب، خفق قلبه بشدة وهو يرد بصوت شبيه بالهمس: من الطارق؟!.

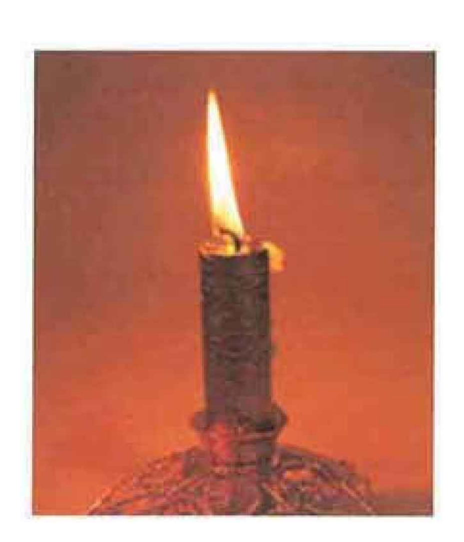
- افتح.. افتح..

ازدرد ريقه بصعوبة، وتمردت عليه الكلمات.. دارت عيناه في محجريهما قبل أن تقعا على المحراب، والمصاحف، والسجادات، فعادت إليه الطمأنينة التي رتعت في قلبه في اثناء دخوله بيت الله، حينها دنا من الباب.. فتحه، وبصوت أجش قال: السلام عليكم، هل من خدمة يا عبدالملك؟! «اندهش لما جاءه الرد خاليًا من أدنى خشونة: «من فضلك ناولني شمعة أهتدي بها إلى حجرتي على السطح». أحس بالانشراح ينساب هادئًا في أعماقه، وبسرعة خاطفة يغمر كيانه كله، من دون تماطل، أسرع صوب قمطر قريب.. فتحه.. أخرج شمعة ثم عاد إليه. كان عبدالملك واقفًا الوقفة نفسها، عيناه تطوفان ببطء داخل المسجد، ويداه القويتان موضوعتان بلا حراك على صدره البارز.. أعطاها إياه سائلاً:

- هل تريد بعض أعواد الثقاب؟!

- أشكرك ها هي ذي علبة في جيبي.

اخذها.. مسح عينيه بكمه، ثم انطلق يتبع ظله وسط النور الذي كانت تشعه الشموع عبر نوافذ المسجد الكبير.. أما هو فقد صعد الدرجات حامدًا، شاكرًا المولى سبحانه.. لحظة حلول موعد رفع الأذان، افعم عبارات النداء الخالد جزءًا غير يسير من الحلاوة التي استعذبها قلبه مع الطلائع الأولى ليوم جديد.





إسهام في دراسة الفلكلور التونسي

ترجمة: محمد خير محمود البقاعي

الرياض - السعودية

المعتقدات، والعادات النسائية المتعلقة بالقمر

السيدة م. غراف دولاسال Mme M. Graf de la Salle [1]

مقدمة المترجم:

لقد كان من فوائد ترجمتي كتاب «القمر أساطير وطقوس»، محاولتي العودة إلى ما استطعت الوصول إليه من المصادر والمراجع، التي رجع إليها مؤلفو الكتاب، واقتضى ذلك صبرًا، وجهدًا ماديًا ومعنويًا، تمثل في الجري وراء تلك المصادر في المكتبات التي يتوقع وجودها فيها.

وتجمعت لديّ شيئًا فشيئًا مادة كثيرة عن القمر، والهلال، والقمر بدرًا، وغير ذلك من أحواله بلغات مختلفة: «العربية، والفرنسية، والإنجليزية، والألمانية، والروسية»، فعقدت العزم على ترجمة المهم من تلك الكتب والبحوث والمقالات، ونشره في المجلات السيارة؛ ليسدَّ فراغًا لاحظته في المكتبة العربية، وهو فراغ ينصبّ على الجوانب الحضارية والأنثروبولوجية للأساطير والعادات والمعتقدات المتعلقة بالقمر في جميع وجوهه.

وكان البحث، الذي أقدمه هنا لقراء العربية، من البحوث التي سميت، منذ الوهلة الأولى، إلى الحصول عليها، وتيسر ذلك بمساعدة كريمة من الأستاذ الحبيب اللمسي صاحب دار الغرب الإسلامي - أطال الله عمره ومتعه بالصحة والسعادة - إذ استقدم لي من المكتبة الوطنية في تونس صورة عنه، استفدت منها في إثبات النصوص، التي استخدمها - مترجمة إلى الفرنسية - كاتب بحث «القمر عند العرب وفي الإسلام» في الكتاب الذي أشرت إليه آنفًا، وهو المستشرق الفرنسي الكبير مكسيم رودنسون.

وقد نشر البحث في الكتاب [2] المهدى إلى المستشرق وليام مارسيه، وهو كتاب أهداه إليه معهد الدراسات الإسلامية في جامعة باريس، ونشرته دار النشر ميزونوف وشركاؤها في عام ١٩٥٠م، ويشغل البحث الصفحات من ١٦١- ١٨٣.



يضم هذا البحث دراسة قامت على نصوص شفوية، واخرى منقولة من كتب جُمِعت من مصادر شفوية. درستها المؤلفة، حللتها، وترجمتها إلى اللغة الفرنسية، وأثبت النصوص العربية في الحواشي. مقابل الترجمة في المتن، واعتمدت في التحيل والتفسير على دراسات أخرى، يجدها قارئ ترجمتنا هذه بنصها الفرنسي مع ترجمته. وقد رأيت من تمام العمل التعليق على بعض المواضع التي تخفى على القارئ العربي غير التونسي.

أما كاتبة البحث السيدة غراف دولاسال Mme Graf-de la Salle، فلم أجد لها ترجمة، فقد خلا منها كتاب «المستشرقون» للعقيقي، وموسوعة المستشرقين، لعبدالرحمن بدوي، وأقدم بحث وجدته لها بعنوان: «داخل البيت العربي في قسنطينة (الجزائر)»، منشور في المجلة الإفريقية Revue Africaine، العدد ٨١، ١٩٣٧م، ص ٥١٩-٥٣٠، والبحث موقع باسم الآنسة غراف - أستاذة في مدرسة البنات في تونس العاصمة، وعضو الجمعية الأثرية في قسنطينة، والجمعية التاريخية الجزائرية - ويبدو أنها اكتسبت بعد الزواج اسم «دولاسال»، وهو اسم زوجها. أما آخر أبحاثها فيعود إلى عام ١٩٥٠م، (وهو البحث الذي نترجمه هنا)، ويبدو أنها توقفت عن النشر بعد هذا التاريخ. وقد راجعت المجلات التي شاركت في الكتابة فيها: (المجلة الإفريقية، إبلا، حوليات معهد الدراسات الشرقية)، كما راجعت مجموعة التراجم والمذكرات العائدة إلى جمعية البحوث الأثرية لمنطقة قسنطينة من عام ١٩٥٠م، إلى بدايات عام ١٩٦٠م، فلم أجد أي معلومات عنها. ووجدت لها بحثًا عن الجدل الذي دار حول نسبة «كتاب العين» إلى الخليل بن احمد الفراهيدي (٣)، أشار إليه فؤاد سزكين في كتابه «تاريخ التراث العربي» (٤)، وبحثًا آخر بعنوان: ملاحظات عن الحكايات حول نبات الضُرْغوس (آذريون الماء) التونسي (الأحدبان) (٥).

وفي حواشي البحث، الذي نترجمه، تشير الكاتبة إلى الكاتب الفرنسي الشهير ليسنيل دو لاسال Laisnel de la

Salle، وهو كاتب فرنسي، مختص بالفلكلور الفرنسي.

وإني أقدم ترجمة هذا البحث - الذي أدهشني إعراض الباحثين التوانسة عن ترجمته، خصوصًا أنه صدر منذ زمن بعيد - هدية إلى تونس الخضراء، التي لم تساعدني الظروف - قديمًا وحديثًا - على زيارتها، مع إعجابي بها وبأهلها، وإن بعدت الشقة.

وأود، في نهاية هذا التقديم، أن أشكر للأستاذ الدكتور حسين الواد - أستاذ الأدب والنقد في قسم اللغة العربية في جامعة الملك سعود - اجتهاده أولاً: في مساعدتي على الحصول على صورة من البحث، والدكتور محمد لطفي الزليطني - أستاذ اللسانيات المشارك في قسم اللغة العربية في جامعة الملك سعود - مساعدته في توضيح كثير من الكلمات التي لها علاقة بنصوص الفلكلور التونسي، وللأستاذ الدكتور أحمد حيزم - أستاذ الأدب والنقد في قسم اللغة العربية في جامعة الملك سعود - مساعدته في المجال نفسه، وللأستاذ الدكتور نبيل رضوان - أستاذ الترجمة والأسلوبية في كلية اللغات والترجمة في جامعة الملك سعود - قراءته البحث، وتعليقه على مواضع منه. وشكري لهؤلاء الأفاضل لا يرفع عن كاهلي المسؤولية العلمية التامة. والله أعلم.

النص المترجم

تؤدي الكواكب - عمومًا - والقمر على وجه الخصوص، وفي كل الحضارات، ومنذ فجر التاريخ، دورًا مركزيًا. لقد زرع ذلك الكوكب المتلألئ والبارد الرهبة في قلوب البشر، سواء كان بدرًا، أو هلالاً، أو بموكبه الذي يعج بالنجوم.

لقد خصت إلهة القمر بعبادة خاصة بها، واستخدم الهلال على نطاق واسع، ومنذ زمن مبكر شعارًا روحيًا.

ولا يرى فيه - اليوم - مسلمو شمال إفريقية مجرد رمز، ولكنه بالنسبة إليهم جالب الحظ السعيد، وتميمة توفر الحماية للأطفال على وجه الخصوص. هل ما زلنا نجد القمر في الهلال الذهبي أو الفضي الذي يعلقونه، أو يخيطونه كما يفعلون «بكف فاطمة»، على غطاء الرأس «الشاشية»، أو على ملابس الأطفال الصغار، أو الذي يرسمونه بغير إتقان على أبواب مداخل بيوتهم، أو على أدواتهم المنزلية، أو أدواتهم، حتى على مركباتهم؟ ويبدو جيدًا أن الإجابة هي: لا، وأن الهلال انفصل كل الانفصال عن «القمرة»، واكتسب قيمة خاصة لأن القمر لم يعد يتخذ تميمة (٦).

يؤدي القمر في أوجهه المختلفة، دورًا مميزًا في حياة المسلمين، حضرًا أو بدوًا؛ وآية ذلك أنه إذا كان الريفيون في فرنسا - على سبيل المثال - يقرون بتأثير القمر في التقلبات الجوية، وفي نمو النباتات، وفي تفريخ الدجاج...إلخ. فإن لدى المسلمين أسبابًا أخرى تدفعهم إلى الاعتماد عليه؛ لأن التقويم، الذي يستخدمونه في حياتهم السياسية أو المدنية أو الدينية، يعتمد على وجوه القمر. ويؤدي هذا الكوكب لهم، وللنساء - على وجه الخصوص - دورًا مميزًا في الحياة اليومية. وله مكانة متميزة في المفردات المجازية في الأغاني والألغاز والأمثال والأقوال المأثورة، وفي المعتقدات والعادات. فالأساطير والحكايات حول أصل القمر، وحول ما يمثله، وأسباب الخسوف ونتائجه، والحالات التي يبدو معها أنه يتلاعب بالبشر، كل

> القمر في واقع الأمر هو بالنسبة إلى التونسيين - على وجه الخصوص - وإلى الشرقيين - على وجه العموم - شعار الجمال الرفيع. هل هناك أجمل منه في الليلة الرابعة عشرة من مسيرته، حين يكون تام الاستدارة، يضيء من دون أن يبهر الأبصار؟

ذلك يضفي على ليالي الشتاء الطويلة، وليالي رمضان، سحرًا وجمالاً. يتوجه إليه الناس بنذورهم التي يبدو أنها بقايا حية من عبادة قمرية قديمة. يأخذون في الحسبان وجوهه؛ لفطْم أحد الأطفال، أو لإقامة احتفال ما. وله مكانته في وصفات الجمال، ويرتبط به دستور صيدلاني مستقل. كل ذلك لا ضير فيه، ولكننا نجد - أيضًا - أن الناس يجعلونه يؤدي دورًا مأساويًا في سحر الحب.

وقد لخصت لنا إحدى النساء المسنات، في يوم من الأيام بسذاجة، المكانة التي يحتلها ذلك الكوكب في الحياة النسوية، إذ قالت: «نعم يا بنتي، أنت تهتمين بالقمر، وتقولين لي: إن الناس في بلادك ينسبون إليه بعض التأثيرات في البشر والأشياء، ولكن كيف تريدين أن تقارني بين ما تعتقدينه فيه وما يمثله بالنسبة إلينا؟. أخبروني أن البيوت في مدنكم الفرنسية مرتفعة، حتى إنها تغطي السماء، وليس لها ساحات ولا شرفات. فمن أين تنظرون إلى القمر إذًا؟ ولكن لم تنظرون إليه؟ فليس هو الذي يحدد لكم الأعياد الدينية، وليس هو الذي يحدد نهاية شهر الصيام، الطويل! أنتم تقولون: إنه متقلب الأطوار. فماذا نستطيع نحن أن نقول عنه، نحن الذين لا نعرف أبدًا إن كان يفرض علينا يومًا آخر من التضحيات؛ إما بتأخره في مسيرته فيظل باديًا يومًا آخر، وإما أنه يمازحنا، ويتمتع بإخفاء هلاله النحيف وراء الغيوم. حتى إن تونس كلها، بل العالم كله يترقب ظهوره العابر والإشكالي في أول أيام شهر شوال، الذي يلي رمضان؛ ليعلن انتهاء شهر الصوم.

إن لتلك الأمسية، التي ننتظر فيها بقلق ظهوره، الذي ينبغي أن يؤكده أحد القضاة، ثم يعلن في العالم الإسلامي، شأنها في ذلك، وهو شأن ليلة الشك؛ التي تسبق شهر رمضان، لها معنى وقيمة لا تستطيعون أنتم إدراكها. ألم يعط الشاعر ظهور هلال شوال عند الصائم أهمية قدوم الحبيبة على حبيبها الذي ينتظرها:

كل يوم أرتجي خيالك

كما يرتجي الصائم الهلال

أخبرتني حفيدتي أنكم تعتقدون أنه كالأرض، ولكنه أكثر برودة! كيف يمكن أن يكون باردًا، في حين أن كل الناس العقلاء يستطيعون أن يروه بالعين المجردة، كأنه كتلة من النار؟ وأنتم تعتقدون أيضًا، أن تأثيره في الكائنات والنباتات هو شأن تأثير الهواء والمطر في مجال تأثيرات الطبيعة. إن لكم أن تعتقدوا فيه ما شئتم، ولكنني أعرف كثيرًا عن هذا الموضوع. يريد الشباب تفسير كل شيء. ومع ذلك فإن هناك كثيرًا من الحالات، التي تصيبنا - نحن البشر المساكين - ولا نستطيع فهمها!..

إننا نحب القمر، ونخاف منه، نحبه لجماله؛ ولأنه يساعدنا في بعض الأحيان أيضًا. ونخافه؛ لأنه غالبًا ما يكون سببًا لكثير من الأوجاع التي تصيبنا؛ إما لأننا - جهلاً - نستخف به، وإما؛ لأنه يساعد الأشرار الذين يقومون ببعض الممارسات السحرية.

إن القمر في واقع الأمر هو بالنسبة إلى التونسيين - على وجه الخصوص - وإلى الشرقيين - على وجه العموم - شعار الجمال الرفيع. هل هناك أجمل منه في الليلة الرابعة عشرة من مسيرته، حين يكون تام الاستدارة، يضيء من دون

يرتبط جمال الشعر الأنثوي بهذا الكوكب أيضًا. فنجد المرأة التي تحرص على قص عدة مليمترات من شعرها في أول الشهر القمري، يطول شعرها، ويقوى بسرعة كبيرة. ويزداد لمعانه في أثناء المدة التي تكون فيها القمرة زاهية

أن يبهر الأبصار؟ أنه يلقي على الكون ذلك اللون الفضي، الذي يسميه العرب «ضي القمرة». لذلك كثيرات من الفتيات الصغيرات، اللاتي يصنفن عبر أسمائهن بين الجميلات: «قمر»، أو «قمرية»، أو «بدر» أو «بدرة»، أو أيضًا «بدر النور»، أو «منيرة». أما الهلال الذي هو أقل توهجًا فإنه يمنح اسمه للأطفال الذين يسمون غالبًا «هلال» (٧). وقد وصل الأمر إلى هالة القمر التي أطلق اسمها على الفتيات الصغيرات اللاتي يسمين «هالة».

وتكثر الأغاني التي تتغنى بالقمر، وكلها تتعلق بالجمال، إما بجمال القمر نفسه، أو ضوئه، وإما بجمال المرأة التي تشبه به. ويكاد المحب - على الدوام - عندما يريد أن يؤثر في حبيبته يشبهها بالقمر، كما نجد ذلك في المقطع الغنائي الآتي:

يا سعقي يا قمرة أربعتاش (٨) يا ضوَّاية

حني على مريضك عجلي بدوايه

وردات خدك للشفا مرصودة

حني على المسكين يا خندودة

وفي هذا الدور اللطيف:

ما أحلى زينك

القمر وجهك

والهلال جبينك

وفي أغنية أخرى يمضي التشبيه إلى أبعد مما رأينا:

يا قمرة أربعتاش فيك غرامي

هذا الجفا ماهُ شي من عاداتك

لو كان النار إلى كواتني كواتك

يحرم عليك النوم وقت مباتك

يا قمرة أربعتاش فيك غرامي

يا هل ترى تزه شيء إلّي ايامي

في يقظتي تصدف لذيذ احلامي

وغالبًا ما تكون العاشقة في الأغاني، كما هو الحال في الرومانسيات الفرنسية، سمراء، وربما كان ذلك: لتجسد النموذج المثالي للجمال الشرقي، وربما - أيضًا - لسهولة التقفية؛ لأن Brune وLune تتفقان في القافية في الفرنسية، كما هو الحال بين «سمراء» و«قمرة» في العربية:

وجهك في الخامة يا سمرا

سحاب مغطي على القمرة

وتريد الفتاة الشابة التي تركها ابن عمها، أن تظهر له ميزاته فتقول: إنها تفوق القمر، لأن لها - فضلاً عن جمال القمر في الليلة الرابعة عشرة - رائحة العنبر في فمها.

ما تشوفني الي سمرا والله حلوة كيف التمرة

عندي زيادة على القمرة بريحة العمبر في فمي

ايه ايه يا ولد عمي

كيف نشوفك يندور دمّي

وغالبًا ما يفضل العشّاق - كما هو الأمر في الرومانسيات الفرنسية - أن يكون لقاؤهم تحت ضوء القمرة:

على ضي القمرة يا سمرا

نلاقيك الليلة الليلة

في ظل السجرة

والنظرة على البعد جميلة (٩)

وفي أغنية أخرى يبدو أن القمرة التي تظهر في السماء،

أغاني القمر هي أغان يحبها التونسيون! ويبدو من الطبيعي - تمامًا - أن يعجبهم في هذا الكوكب، الذي يؤدي دورًا كبيرًا في حياته، الانسجام والجلال، والعظمة، وأيضًا الرقة، والتألق والحب. هذا من جانب، ولكنهم يقولون من جانب آخر: ألا يمثل القمر بدرًا وجهًا رائعًا باتساقه ولمعانه؟!

تحمل إلى العاشق رسالة تخبره بزيارة حبيبته القريبة:

تبان الليلة الي الخال يشوف فيها خليله

الريح هادي والقمرة جميلة

لا غيم ظاهر في السماء يحجبها

القمر بشارة هذاك الجواب من عندها امارة

بالي الليلة تزورني المسُرارة

ترد روحي الهايمة لمضربها

وليست الليالي المقمرة، بضوئها اللطيف، هي فقط الوقت المثالي لمواعيد العشاق؛ لأنهم - عمومًا - يفضلون الضوء اللطيف على الظلمة، بل يبدو أنها تنشر حولهم جوًا مناسبًا للحب. نعم، إن القمرة تساعد العشاق حقًا. فهي توحي إلى العاشق بالرغبة والرقة في آن معًا، وتجعله شاعرًا في أحسن ساعات إلهامه. وبذلك نجد في المقطع الآتي أن ضوء القمرة يجعل العاشق يحلم بأن يتبادل مع معشوقته القبل مرات توازي عدد النجوم في السماء:

يا ما ابناه (١٠) ليل القمر فيه العروق يحنوا

الموج يصخب والكؤوس يرنوا

وحبيبي زاهي بالهنا متقابل

يا ليل يا ليل

تحلا الهبلة إذا مالت بالثريا القبلة

حاسبت ريدي كل نجمة بقبلة

وهي تغالط في الحساب نتخيل

يا ليل يا ليل.

ويمكن أن نستشهد بمئات من أغاني القمر هذه، وهي أغان يحبها التونسيون؛ ويبدو من الطبيعي - تمامًا - أن يعجبهم في هذا الكوكب، الذي يؤدي دورًا كبيرًا في حياتهم، الانسجام والجلال، والعظمة، وأيضًا الرقة، والتألق والحب. هذا من جانب، ولكنهم يقولون من جانب آخر: ألا يمثل القمر بدرًا وجهًا رائعًا باتساقه ولمعانه؟! لهذا يقولون عن طفل جميل: إن له «وجه القمرة»، وهو في أجمل أحواله في الليلة الرابعة عشرة؛ لأن الهلال في اللحظة التي يأخذ فيها في الاستدارة، لا نرى في القمر وجهًا جميلاً، ولكننا نرى فيه صورة مختلفة كليًا، إنها صورة امرأة سوداء معلقة من رموشها (١١). وإن قصتها تمنح المؤمنين دليلاً من ألف دليل على العدالة الإلهية:

يحكى أنه في زمن قديم، مغرق في القدم كانت تلك المرأة السوداء مشغولة - كما يقولون - بطحن الحبوب في واحدة من الطواحين الحجرية، التي مازالت تستخدم حتى يوم الناس هذا في كثير من البيوت. وكان طفلها يلهو قريبها، ولما رأته متسخًا؛ لأنه قضى حاجته، بحثت عبثًا عما يمكن أن تمسح به مؤخرته. ولما لم تجد شيئًا استخدمت قبضة من الطحين، والحالة أن كل الناس يعلمون أنه ينبغي حفظ الحبوب، وكل ما يشتق منها. لقد قضى الله بذلك. لقد دنست المرأة بفعلتها «نعمة ربي»، وعقابًا لها نفيت إلى القمر نفيًا أبديًا، وشنقت بحبل قصير.. على القمر من رموشها.

ويقول آخرون: إن المرأة السوداء لم تكن مشغولة بطحن الحبوب، وإنما بصناعة الفطائر للعشاء، وأنها مسحت مؤخرة الطفل بواحدة منها. - الله أعلم بالحقيقة -. ومهما يكن من أمر، فإن تلك المرأة السوداء تعرضت على القمر

يؤدي القمر في أوجهه المختلفة، دورًا مميزًا في حياة المسلمين، حضرًا أو بدوًا؛ وآية ذلك أنه إذا كان الريفيون في فرنسا - على سبيل المثال - يقرون بتأثير القمر في التقلبات الجوية، وفي نمو النباتات، وفي تفريخ الدجاج...إلخ. فإن لدى المسلمين أسبابًا أخرى تدفعهم إلى الاعتماد عليه

للعقوبة الإلهية، ويمكن لأي كان ان يرى ذلك.

ومع ان الصحف والتقاويم يمكن أن تعطي تاريخ مختلف وجوه القمر، إلا أن المسلمين لا يركنون إليها، بل يرقبون بقلق ظهوره. وقد أصبح ذلك لديهم عادة. وهناك - أيضًا - سبب آخر لذلك: إنهم يخافون خوفًا عظيمًا من الخسوفات؛ التي ترهص على الدوام بأسوأ الكوارث: انتشار الأوبئة، والجوع، والحرب، وموت الحاكم، وموسم سيّئ .. إلخ (١٢).

ينبغي على الرجال عند خسوف القمر أن يجتمعوا في المساجد لإقامة صلاة الخسوف مرضاة لله؛ ثم لكي يعود بأسرع ما يمكن إلى ما كان عليه. ويمكنهم - أيضًا - أن ينظموا مواكب ترتفع فيها أعلام الزوايا وبيارقها. أما النساء فلا يستطعن إلا الارتعاد من الخوف، والتعليق على الظاهرة، فتقول أحداهن: «لو كنا نعرف سبب هذه الظاهرة لحاولنا إيجاد حل لها، ولكن كيف لنا أن نعرف ذلك؟».

«تناهى إلى مسامعي أنكم تزعمون أن تقاويمكم تستطيع تحديد زمان الخسوفات. كيف يمكن التنبؤ بها، وهي تحدث فجأة، وفي ظروف مختلفة كل الاختلاف».

ويبدو أنه في إحدى المرات حزم ابن الباي أمره على الزواج من ابنة المفتي، ولكن هل كان الله راضيًا عن هذا الزواج؟ لم يكن أحد يدري، إلا أن ما حدث في ليلة الدخلة، التي كان موعدها في الليلة الرابعة عشرة من الشهر، عندما ينبغي ان يكون الكوكب في اجمل حالات تألقه ولمعانه، ولكن ما حدث انه اختفى.. فتوقفت الأفراح. وقد سجلت ذكرى هذا الحديث الغريب في أغنية ما زالت تُغنى حتى اليوم، تقول:

يا قمرة اربعتاش لاه اكسفتِ

حيّرت على ولد الباي وبنت المفتي

ويُحكى - أيضًا - أن إحدى العجائز الساحرات، عندما أرادت أن تصنع رقية سحر مؤذية، توجهت في الليل إلى إحدى المقابر؛ كي تنفش الصوف (العهن)، ولما



الجدات ينقلن الحكايات الشعبية إلى أحفادهن

رآها القمر هلع وخاف أن تكون تلك الساحرة الشريرة تحاول إنزاله إلى الأرض؛ لاستخدامه في بعض الأعمال السحرية (١٣)؛ فانخسف على الفور ولم يعد إلى الظهور إلا بعد ذهاب العجوز.

إن مجرد التلويح فجأة بعصا في الهواء، ينتج منه ما لا يمكن توقعه، إذ يمكننا بذلك من دون قصد - أن نصيب بعض الجن الأخيار، أو الأشرار، ممن يدورون على

غالبًا ما تكون العاشقة في الأغاني. كما هو الحال في الرومانسيات الفرنسية. سمراء. وربما كان ذلك: لتجسد النموذج المثالي للجمال الشرقي. وربما - أيضًا - لسهولة التقفية

تؤدي الكواكب - عمومًا - والقمر على وجه الخصوص، وفي كل الحضارات، ومنذ فجر التاريخ، دورًا مركزيًا. لقد زرع ذلك الكوكب المتلألئ والبارد الرهبة في قلوب البشر، سواء كان بدرًا، أو هلالاً، أو بموكبه الذي يعج بالنجوم

الدوام قرب البشر، ويكون انتقام الجن رهيبًا، ولا يعير السحرة اهتمامًا لذلك الأمر. ولكن النساء يسارعن - في مثل هذه الحالات - إلى ترديد البسملة التشفعية. إن نزول القمر إلى الأرض هو - فضلاً عما سبق - أمر مخيف، سنعود إلى الحديث عنه فيما يأتي.

ويكون للخسوف في بعض الأحيان سبب آخر مختلف كل الاختلاف. ففي أثناء الليالي التي تسبق، أو التي تلي مباشرة اليوم الرابع عشر من الشهر، يضل القمر، الذي يصاب بالعمى من شدة لمعانه طريقه، ويدخل في طريق الشمس. ولكي يعود إلى وضعه الطبيعي ينبغي إحداث أكثر ضجيج ممكن. ونشهد بهذه المناسبة حصول ضجيج عظيم: بعضهم يطلق النار في الهواء، وآخرون يضربون الطبول، والأطفال يصرخون، والنساء يضربن في المهراس «الجرن النحاسي» بالهاون من دون أن ينسين في البداية تلاوة عدد من البسملات الواقية؛ لإبعاد الجن من محبي البهارات، أو الحناء التي اعتادت النساء على سحقها في الجرن. ويبدو أن القمر، الذي ينتهي به الأمر إلى الإحساس بذلك الضجيج غير المعتاد، يعود بعد بعض الوقت إلى مساره الصحيح.

إن ذلك القمر، الذي يتشوق الناس إلى طلوعه، يتوجهون في بعض الأحيان إليه بالنذور. فما إن تبلغ الفتيات الصغيرات سن الزواج(١١)، حتى يتساءلن - غالبًا، مع أنهن ينكرن علنًا أنهن يفكرن بذلك - عن الزوج الذي قسمه الله لهن. ولكي ترى الفتاة في الحلم زوجها المستقبلي، فإن عليها - كما يسود الاعتقاد - أن تجلس في الليلة الرابعة عشرة والخامسة عشرة في منتصف الليل، وإذا كان الجو صحوًا، قبالة الحائط الجنوبي للساحة الداخلية لبيتها، بحيث يكون ظلها منعكسًا على الجدار، وتقسم قُصتها قسمين، وينبغي أن تنطق بالصيغة الآتية:

يا قمرة الّي زرّقت
على قُصتي تفرقت
وريني بختي بين البخوت
وبيتي بين البيوت

وليس عليها بعد ذلك إلا ان تأوي إلى فراشها، وتنام بأقصى سرعة ممكنة: لأن القمر سيحمل إليها - بلا تأخير - حلمًا ترى خلاله زوجها المستقبلي.

نعم إن القمر يجلب السعد إلى المحبين، ولأولئك الذين فرقهم البعاد. ويمكن أن نسأله محدقين به،


التوجه بالأماني إلى الهلال من العادات الشائعة





ومرسلين له القبلات، بأن ينقلها إلى المحبوب الغالي، الذي نحن بعيدون عنه. حينئذ يوحي القمر إلى الغائب بالتفكير نفسه، ويمنحه القدرة على التذكر. وغالبًا ما يذكر العاشق القمر؛ بل حتى النجوم بالطريقة نفسها التي يتوسل بها إلى الحصول على شفاعة الأولياء؛ ليلتقي حبيبته. والأغنية الآتية تلمح إلى تلك العادة:

يا بركة النجوم العشرة والقمرة والسحاب

إن شاء الله حبيبتي ترجع لي ونجتمعوا يا الأحباب

يا بركة النجوم العشرة والقمرة والهلال

إن شاء الله حبيبتي ترجع لي ونحوزها بالحلال

يا بركة النجوم العشرة والقمرة والليل

إن شاء الله حبيبتي ترجع لي ونسافروا في «الشمنديفير» (١٥).

وعندما تشكو امرأة من زوجها، فإنها ترقب ظهور هلال الشهر الجديد، وما إن تراه حتى تحدق فيه وتقول:

يا هلال يا جديد

يا مبروك يا سعيد

اعطيني سرج ولجام حديد

نحب نركب على فلان بن فلانة

كيف ما نشتهي ونريد.

وإنه لمن العادات الشائعة التوجه بالأماني إلى الهلال الجديد، وعندما يراه الناس يسارعون إلى القول:

يجعلك مبروك علينا

أو أيضًا:

يا هلال يا جديد

يا مبارك يا سعيد

يعلّيني من علاك

ويضوّيني من ضوّاك

ومع أن الناس يتوجهون بالنداء إلى الهلال في بعض الأحيان، إلا أن القمر في الليلة الرابعة عشرة هو الذي يمارس تأثيرًا كبيرًا في البشر. وانطلاقًا من ذلك يمكن لقمر شهر شعبان - الشهر الثامن من التقويم الإسلامي - أن يُسأل عن المستقبل عندما يكون في الليلة الرابعة عشرة، وتسمى تلك الليلة «ليلة قسام الأرزاق»؛ لأنها كما يعتقد المسلمون - اللحظة التي اختارها الله؛ ليعطي لكل من عباده حظه من خيرات الدنيا لسنة كاملة. وخلال الليلة نفسها يختار الله الأشخاص الذين سيموتون في أثناء تلك السنة، وهناك - كما يبدو - شجرة ضخمة في السماء. وكل ورقة من أوراق تلك الشجرة تمثل حياة واحد من بني البشر. وفي الليلة الرابعة عشرة، يوم الخامس عشر من شعبان تسقط أوراق الذين سيموتون في أثناء الاثني عشر شهرًا الآتية. والحالة أن القمر، الذي يرى كل ما يحدث في السماء، يرى تلك الأوراق تسقط، ويمكن له أن يبوح بهذا السر للمطلعين على أسراره. ويكفي أن ينظر المرء إلى ظله على ضوء القمر؛ ليعلم بما قُدر له في تلك السنة. فإذا كان ظل العنق طويلاً؛ فإن المرء يعيش طويلاً. وإذا كان الرأس على العكس، يبدو ملتصقًا بالكتفين؛ فليس هناك من شك أن الورقة قد سقطت، وقضي الأمر. وقد أجريت التجربة - كما يزعم الناس - مئات المرات، ونادرًا ما كذّب القمر. وينبغي - أيضًا - أن نتأكد أن جميع الشروط قد توافرت بدقة.

ويُحكى أن عددًا من الفتيات - بعضهن قريبات بعض، والأخريات صديقات - أردن سؤال القمر قبل أن

للقمر حيز ضخم في الفلكلور الأنثوي في مدينة تونس. وإنه لمن المؤكد أن له حيزًا أكبر في الريف، حيث ينسب إليه الناس - كما هي الحال في أمكنة أخرى كثيرة - أثيرًا في التقلبات الجوية، وفي نمو النباتات، وفي توالد المواشي... إلخ

يخططن لمشروعاتهن في السنة المقبلة. فمررن الواحدة بعد الأخرى أمام الجدار. ويبدو أنهن جميعًا رأين أعناقهن طويلة. ولكن إحداهن لم تقل شيئًا. وبعد ثلاثة أسابيع مرضت، واعترفت بأن ظلها أظهر لها رأسًا غارقًا تمامًا بين الكتفين. وماتت في الشهر التالي.

وإذا أردنا أن نتيقن من نهاية حياة شخص لا يستطيع، أو لا يريد أن يقوم بالتجربة بنفسه؛ فإنه ينبغي التصرف بطريقة مختلفة. نأخذ بعض حبات ملح الطعام الكريستالية، ذات الحجم المتساوي تقريبًا، وبعدد يساوي عدد الأشخاص الذين نود معرفة مستقبلهم. نضع كل حبة من حبات الملح الكريستالية على ورقة كُتب عليها من قبل اسم الشخص المعني، ونعرض كل ذلك على صفيحة على ضوء قمر الليلة الرابعة عشرة صباح الخامس عشر من شعبان. وفي اليوم الثاني تذوب بعض حبات الكريستال الملحية، في حين أن بعضها الآخر يظل سليمًا. وتُظهر الأوراق، التي ذابت حبات الملح الكريستالية عليها، أسماء الأشخاص الذين سيموتون خلال السنة (١٦).

وليس هذا كل شيء؛ إذ لا يرضى القمر أن يستخدم مجرد وسيط بين البشر والعالم العلوي؛ لأن دوره سيكون حينئذ سلبيًا، ولن يكون لنا أن نمدحه، أو نخشاه. إن له تأثيرًا ظاهرًا، ويكاد يكون على الدوام مضرًا في الجسد البشري. فالويل لمن يغريهم النوم في ضوء القمر! إنهم يستيقظون فريسة للزكام، ولأكثر أعراضه سوءًا: نزلة، ومرض القراجم (الحنجرة والحلق)، والدوخة، ووجعة الرأس ووجعة القوايم (الأعضاء). وإنه لمن غير الموصى به في السياق نفسه الاستحمام في ضوء القمر. إن القمر غيور، ويريد أن نقيم له وزنًا. لذلك لا يتساوى فطام الرضيع في هذا أو ذاك من وجوهه. فإذا اخترنا الفصل فمن المفضل أن يكون الربيع أو الخريف، حيث نجد رمانًا وليمونًا حلوًا، لنعطيه الطفل، وينبغي أن يحصل الفطام عندما تكون القمرة زاهية، أي: بدرًا، وفي أقصى حالات لمعانها؛ لكي يكون الطفل سعيدًا وحيويًا، ولا يشعر بندم كبير على ثدي أمه. وإذا فطمناه في النصف الثاني من الشهر، عندما يفقد القمر بهاءه، فإن الطفل يصبح متذمرًا، ويمكن أن يكون طوال حياته ذا مزاج صعب. ومما هو جدير بالذكر أن هناك احتياطات أخرى ينبغي الأخذ بها في هذه المناسبة: هي أن تختار الأم اليوم والساعة التي تفطم فيها رضيعها. ومن المفضل أن يكون يوم الجمعة، بين صلاتي الظهر والعصر. وعليها حينئذ أن تجلس على مثابة (١٧) البئر، أو على طرف خزان المياه، وترضع ولدها حتى الشبع للمرة الأخيرة. ثم تدهن ثدييها بـ «الحنة» لكي يصبح الطفل عطوفًا وحنينًا (١٨). ويجد الرضيع طعم الحنة مرًا، فيعاف الثدي، ويرضى بغذاء آخر(١٩).

وفي الفترة المشار إليها نفسها، التي تكون فيها القمرة زاهية يختارها الناس لعقود الزواج؛ لكي تكون سعادة الزوجين متألقة تألق القمرة في وقت زواجهما؛ ولكي يزداد الحب بينهما، كما هي حال القمر خلال الأيام الخمسة عشر الأولى من الشهر، ولأن وصفات الجمال تدين بقسم كبير من فاعليتها للقمرة في تلك المدة: فلإزالة الحبوب السوداء من الوجه يعصر الليمون على «وَدْعَة» (٢٠) وتُعرَّض لضوء القمر: حتى تؤثر حموضة الليمون في الودعة وتفتتها، ثم يُدهن

القمر يجلب السعد إلى المحبين، ولأولئك الذين فرقهم البعاد. ويمكن أن نسأله محدقين به، ومرسلين له القبلات، بأن ينقلها إلى المحبوب الغالي، الذي نحن بعيدون عنه. حينئذ يوحي القمر إلى الغائب بالتفكير نفسه، ويمنحه القدرة على التذكر

الوجه من الناتج خلال عدة أيام متتالية.

ويرتبط جمال الشعر الأنثوي بهذا الكوكب أيضًا. فنجد المرأة التي تحرص على قص عدة مليمترات من شعرها في أول الشهر القمري، يطول شعرها، ويقوى بسرعة كبيرة. ويزداد لمعانه في أثناء المدة التي تكون فيها القمرة زاهية. تقول كلمات إحدى الأغنيات:

يا قمرة اربعتاش يا ضوَّاية

تطوّل القصة والقطّاية (٣١)

إن للقمرة تأثيرًا في جمال الطفل، الذي ما زال في بطن أمه، ولكي تلد المرأة الحامل طفلاً جميلاً، عليها أن تعمد إلى الممارسة الآتية قبل نهاية الشهر السادس من حملها، خلال الليلة الرابعة عشرة إلى الخامسة عشرة من الشهر: ينبغي أن تصعد بثيابها المعتادة النظيفة، والمعتنى بها إلى شرفة بيتها نحو منتصف الليل، وتتعرض للقمر حاملة بيدها اليمنى تفاحة من التفاح الذي يسمى تفاح الحبالى(٣٢)، تفاحة ناعمة ومستديرة حمراء من أحد خدودها، وصفراء من الخد الآخر «خد بخد». ثم إن عليها - وهي واقفة، ورأسها عار، وشعرها منسدل - أن تفكر بكل جوارحها بولدها، وأن تأكل التفاحة كلها، بادئة مباشرة بقضم الخد الأصفر للتفاحة. والويل لها إن لم تأكل التفاحة كلها. إذ يمكن أن يولد طفلها محرومًا من أحد الأعضاء، أو يكون ضامرًا قليلاً، أو كثيرًا، حسب كبر قطعة التفاحة التي لم تأكلها.

ويتحدث الناس عن عدد من الحالات، ولد فيها الأطفال معوقين؛ بسبب أن أمهاتهم أهملن، أو نسين أن ينهين أكل التفاحة التي بدأن بأكلها في الشروط التي أشرنا إليها (٣٣). وتكثر من جانب آخر الحالات التي يتدخل فيها القمر؛ ليجعل - على سبيل المثال - أحد الأدوية فعالاً. فنجد أن السعال المستحكم يختفي؛ إذا عولج بالوصفة الآتية: تؤخذ بطيخة حمراء، وتُفرَّغ تمامًا، وتعبأ من النبتة المسماة: «نونخة» (Ptukosis Verticillata)، ويترك كل ذلك ثلاث ليال متتالية في ضوء القمر، ثم يطحن ويؤخذ على الريق، أو يؤخذ أيضًا (بوتقّالة) (٣٤)، وتجوف، وتملأ بسكر النبات، وتترك في ضوء القمر، ثم يُشرب في الصباح السائل المقدس الذي يتكون في داخلها. ولمعالجة الملاريا معالجة ناجعة يُصب الماء المغلي على ليمون «بلدي» (٣٥)، ويُترك المستخلص في ضوء القمر، خلال ثلاث ليال متتالية، ثم يُشرب في الصباح على الريق.

يستطيع أي إنسان تحضير تلك الوصفات. ومما تجدر ملاحظته أن المسألة ليست - في أي حال من الأحوال - متعلقة بالسحر. فالسحر هو مجال الساحرات، وهن وحدهن يعرفن، على وجه العموم وبالضبط كيف يتصرفن. إنهن يتسخدمن - غالبًا - تأثير القمر لتحضير شراب الحب أو الموت. وهن يقمن بممارسات مخيفة. وكنا قد أشرنا إلى ذلك عند الحديث عن الخسوفات. ويزعم الناس أن إماتة قلب مخلوق ما، أو نزع حب محظور منه، وفي كل الأحوال يمكن محوه تمامًا؛ بجعله غير قادر على الحب، والغيرة، أو الحقد. فإنه ينبغي أن نجعله يأكل كسكسًا حضّرته إحدى الساحرات في شروط معينة تستطيع الساحرة بقوة تعزيمها إنزال القمر (٣٦) من السماء على شكل ناقة تحلبها. ثم تذهب بعد ذلك إلى إحدى المقابر، قرب قبر امرأة دفنت حديثًا. وتستخدم معولاً ومجرفة؛ لنبش القبر واستخراج الجثة.

ليست الليالي المقمرة، بضوئها اللطيف، هي فقط الوقت المثالي لمواعيد العشاق؛ لأنهم - عمومًا - يفضلون الضوء اللطيف على الظلمة، بل يبدو أنها تنشر حولهم جوًا مناسبًا للحب. نعم

وتضعها أمامها قبالة القمر. حينئذ تجعل الساحرة الميتة تطيب الكسكس، وترطب السميد بالحليب المأخوذ من الناقة (القمر)، وفي اليوم الثاني تقدم الكسكس لزبونها.

وفي إحدى المرات علمت إحدى النساء أن زوجها على وشك أن يأتي بضرة، فذهبت إلى إحدى الساحرات المشهورات. فقطعت لها الساحرة موعدًا في اليوم الأول من الأيام التي يصبح فيها القمر بدرًا. وفي الموعد المحدد خرجتا واتجهتا - سرًا - نحو أرض مهجورة. وكانت الساحرة تنوء بحمل الصرار، التي كانت تبدو ثقيلة جدًا. ولما وصلت إلى مركز الأرض المهجورة، فتحت إحدى الصرار، التي تحتوي على نموذج مصغر للمحراث. ثم فتحت بعد ذلك قفة استخرجت منها قطة ربطتها إلى المحراث، وبدأت في محاولة أن تجعل ذلك الفريق الغريب يحدث بعض الشقوق في الأرض. كانت القطة تموء مستغيثة، والعجوز تردد تعازيمها، والقمر يلقي بضوئه القاسي على ذلك المشهد الخارق. أما المرأة التي اعتراها الخوف فلم تعد تقوى على الإتيان بأي حركة. ولما انتهت تلك الحراثة، استخرجت الساحرة للمرأة قبضة من الحلْبة، من كيس حملته معها، وجعلتها تلقي تلك البذور في الشقوق التي أحدثتها الحراثة حديثًا وهي تقول:

الحلبة ما تنبت

والعروسة ما تثبت (٢٧)

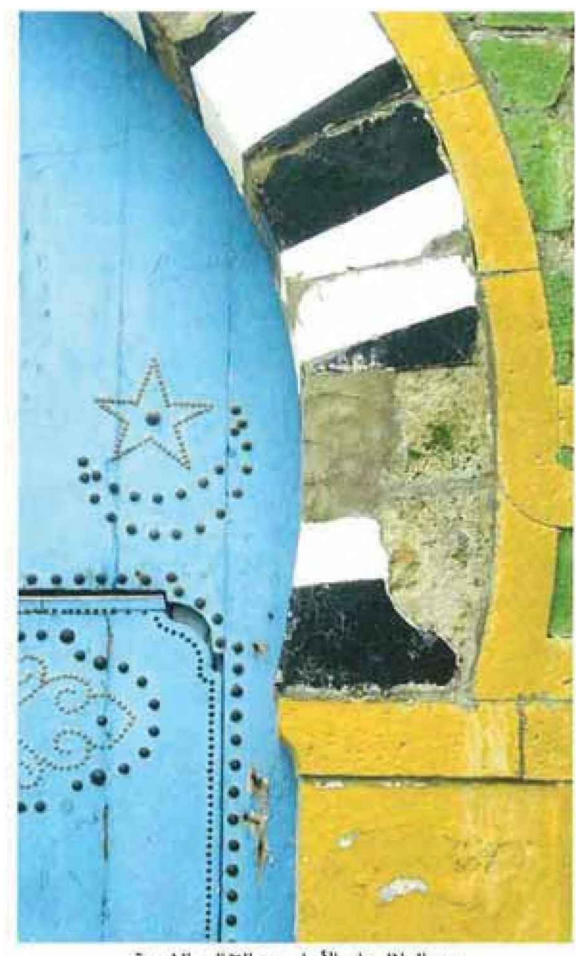
تكثر الأغاني التي تتغنى بالقمر، وكلها تتعلق بالجمال. إما بجمال القمر نفسه، أو ضوئه. وإما بجمال المرأة التي تشبه به. ويكاد الحب - على الدوام - عندما يريد أن يؤثر في حبيبته يشبهها بالقمر

ثم سلكتا طريق العودة. وبعد عدة أيام لم تنجح محادثات إتمام الزواج، ولم تحصل المرأة على ضرة. ويُحكى - ولكن من يكلف نفسه عناء التأكد من ذلك؟ - أن الساحرات ينزلن القمر في دلاء الماء، وأن لماء القمر ذاك تأثيرًا مدهشًا، ومفرطًا في السوء. ولكن هذه موضوعات من الأفضل ألا نخوض فيها. وفي مقابل ذلك تحب النساء حبًا جمًا الحكايات التي تتعلق بكل ذلك، وكم هي قصص السمر، التي يؤدي فيها القمر دورًا ملائمًا للبشر، أو غير ملائم لهم.

يعتقد الناس أن الشمس والقمر لم يظهرا في السماء إلا بعد ولادة النبي «محمد صلى الله عليه وسلم». وقيل ذلك كانت الأيام بلا شمس، نورها باهت. وكانت الليالي مظلمة بلا القمر. وكانت إحدى المعجزات التي أرهصت لولادة النبي صلى الله عليه وسلم ظهور هذين الكوكبين النيرين في قبة السماء.

وقد كان اسماهما فأل خير. إذ يحكى أنه في إحدى الليالي رأى أحد الناس حلمًا. وفي الصباح أخذ يحكيه لزوجته، فبدأ بالقول: «حلمت هذه الليلة»، فقاطعته قائلة: بم حلمت؟

والمعتاد أن اللياقة تقتضي، أن يسارع الشخص، الذي نحكي له حلمًا، إلى القول: «خير»، لكي يؤكد بذلك فأل الخير الذي حمله ذلك الحلم، أو لدفع الفأل السيئ. وكل شخص يصر على حكاية حلمه من دون أن تلفظ الكلمة السحرية يعرض نفسه لألاّ يتحقق من حلمه إلا الفأل السيئ. إذًا ما دامت المرأة قد أخلّت بعلامة التحضر تلك، فإن زوجها رفض أن يقص عليها حلمه، وخرج. وقد حاول خلال النهار أن يقص حلمه على عدد من التجار في السوق، وعلى عدد من الزبائن في دكانه، ولكنّ أيًا منهم لم ينطق بالصيغة المناسبة. ضاق الرجل ذرعًا بذلك، وأصبحت تزداد لديه الرغبة شيئًا فشيئًا في حكاية حلمه، فعزم على السفر،


رسم الهلال على الأبواب من التقاليد الشعبية

وكان طوال الطريق يحاول التخلص من حكمه المسبق، ولكن بلا جدوى أصرّ الجميع على عدم النطق بكلمة «خير» اللازمة. وصل الرجل إلى إحدى المدن، حيث سمع الناس يحكون قصة مدهشة: كان لملك تلك المدينة ابنتان، كل منهما أجمل من الأخرى وأطيب. وكان يحبهما حبًا جمًا، ويرغب كل الرغبة في تزويجهما. ولكن الفلكيين الذين استشارهم في مسألة اختيار الزوجين، اللذين يناسبانهما، أعلنوا أن الرجل الذي يستطيع التنبؤ باسم الفتاتين، هو صاحب الحظ السعيد. والحالة هذه عمد الملك إلى نشر ذلك الشرط بين الناس، وأضاف إليه لكي يبعد الأنذال والجبناء، أن المرشحين الذين يخفقون يكون مصيرهم الموت. وخاض التجربة - عبثًا - كثير من الشباب، الذين دفعوا حياتهم ثمنًا لطموحهم. فقرر الرجل المحاولة. كان متأثرًا كل التأثر، يتملكه الرعب من رؤية نهايته القريبة، خطرت له - كسبًا للوقت - فكرة أن يحكي حلمه المتيد. بدأ بالقول: «حلمت في ليلة من الليالي» فأجابت الفتاتان «خير» «خير». فتابع حينئذ قائلاً والسعادة تغمره: «حلمت بأنني في برية شاسعة، ورأيت الشمس عن يميني والقمر عن يساري». وما إن قال ذلك حتى نهض الملك وعانقه، وجاءت الفتاتان؛ لتركعا أمامه. كان اسماهما «شمس» و«قمر» (لكون أن القمر مؤنث في اللهجة التونسية). لقد كان القمر حقًا فأل خير عليه.

وفي قصص أخرى نجد القمر على العكس، يسخر من البشر المساكين، ويتمتع بمغالطتهم. كلهم يعلم أن الله تعالى أمر كل المسلمين في القرآن بصيام رمضان بمجرد رؤية الهلال الجديد.

ولكن أحد الفتيان الفاسدين، الذي كان يظن نفسه أكثر ذكاء من الآخرين، قرر ألا يرفع عينيه إلى السماء؛ لكي لا يرى هلال رمضان. وظن أنه بذلك يفلت من الصيام. بدأ رمضان عند الناس جميعًا، إلا عند ذلك الذي يزعم أنه ليس مجبرًا على الصيام، إلا عندما يرى الهلال بنفسه، متأكدًا من أنه لن يراه ما دام لا يرفع عينيه إلى السماء. وفي إحدى الليالي كان يمشي وهو مطرق في الأرض، فرأى القمر منعكسًا على صفحة بركة ماء، فاعتراه الغضب، وقفز في البركة ليدوس الكوكب بقدميه، ولكنه حينئذ، وعلى الرغم منه، رفع رأسه ورأى السماء منيرة بضوء القمر، الذي كان ينظر إليه، ويبدو أنه يضحك



للقمرة مكانة أيضًا في الألغاز أو الفوازير، التي يسعى الناس إلى حلها في أمسيات السهر، وهي لا تختلف عن الألغاز والفوازير الموجودة في مناطق شمال إفريقية الأخرى

منه. فصاح الرجل متضايقًا: «هل ستدخل الآن في عيني؟». وفي اللحظة ذاتها شعر بألم شديد، كأنه وخز عميق في عينه اليسرى، ومنذ ذلك يقول الناس: إنه أصبح يعاني من رمد لا يرجى شفاؤه..

آساطير وخرافات وحكايات شعبية تتصل بالقمر



وتُحكى أيضًا قصة العجوزين اللتين كانتا مستعجلتين للذهاب إلى التسوق، فظنتا أن الوقت قد حان، في حين أن القمر لا يزال يضيء بنوره الساطع السماء الممتلئة بالنجوم. ركبتا الطريق وهما تتبادلان أطراف الحديث من دون أن تلاحظا أن المنازل مغلقة، والشوارع مقفرة. ولما وصلتا إلى الحي، الذي فيه السوق، كان من الصعب عليهما الاعتراف بخيبتهما، فجلستا حتى الصباح تحكي كل منهما للأخرى بعض الحكايا. ويلمح الناس إليهما عندما يطلقون على النساء - الثرثارات اللاتي فيهن بعض السذاجة، ومن السهل إغراؤهن - اسم «عزايز القمرة» اللاتي لا يعرفن التمييز بين ضوء الصبح وضوء القمر.

ويؤدي القمر أيضًا دورًا كبيرًا في القصص التي تضحك فيها من سذاجة السود.

كان أحد السود يمشي في إحدى الليالي في ضوء القمر. ولما وصل إلى بئر دلّى رأسه ليرى مستوى الماء، ورأى القمر في قعر البئر فصرخ: «مسكين أيها الصديق لقد وقعت في البئر، وأنت معرض للغرق، ولكن لا تخشى شيئًا سأنقذك. ادخل فقط في الدلو وسأنتشلك من قاع البئر». أنزل الأسود الدلو في البئر، وشدّه بكل قواه، وقال في نفسه: «إن هذا القمر ثقيل جدًا، لا بد أن ذلك المسكين قد شرب ماءً كثيرًا! وفجأة انطلق صوت قوي، وانقطع الحبل، وسقط الدلو في قعر البئر محدثًا جلبة كبيرة، وفقد رجلنا من جراء ذلك توازنه، وسقط على قفاه. وفي تلك اللحظة رفع عينيه ولمح القمر، الذي كان ينظر إليه بوجهه العريض الجذل بسخرية، فقال له: «آه! أيتها الداهية (بنت الكلب) يحق لك أن تسخرين مني، مع أنني كنت السبب في إنقاذك». وفي اليوم التالي عندما استخرج الدلو من قاع البئر وجد الناس فيه حجرًا كبيرًا.

وفي ليلة أخرى كان أسودان مسكينان يسيران بحثًا عن حظ طارئ يوفر لهما بعض الغذاء، ولما وصلا إلى إحدى

الآبار. نظرا في الماء فلاحظا وجود شيء أبيض مستدير في قاع البئر، ظناه جبنًا، فقررا استخراجه وأكله. وحاولا - كل بدوره - أن يجعلاه يدخل في الدلو. ولما أعياهما الأمر، وتوقفا ليلتقطا أنفاسهما رأيا القمر الذي بدا وكأنه يشجعهما، فأخذا حينئذ الحبل بهمة متجددة، واستمرا حتى الصباح حينئذ لم يعودا يريان الجبن، فرفعا أعينهما إلى السماء؛ ليُشهدا القمر على ما خسراه، ولكن القمر كان قد اختفى! ففهما حينئذ أن «المخادعة» قد خدعتهما.

هناك في العامية التونسية عبارات جاهزة فقدت تمامًا معناها الحرفي، تشير بعضها إلى القمر، ولكنها غير قابلة للترجمة، ومعناها الحالي لا يفسح أي مكان لذلك الكوكب. فعندما نريد أن نعبر عن إمكانية مشكوك فيها كثيرًا، أو عن محاولة نستطيع على الدوام القيام بها، من دون أمل في نجاحها، أو عن مسيرة نبدؤها من دون أن نكون واثقين من نهايتها نقول: «قمرة طاح» ونضيف «أما طورا وإلا فورا» بمعنى «إن شاء الله، سنرى جيدًا» ! كيف نترجم «قمرة طاح»، فاعل مؤنث، وفعل مذكر - إذا كان «طاح» فعلاً؟

وهناك صيغة تعجب شائعة معناها: «عندما يغيب القط ترقص الفئران»، يبدو أنها كانت في الأصل عبارة يؤخذ فيها القمر شاهدًا على سوء نية الرجال: «يا قمرة استهل في عبادك» (٢٨). وإنه لمن المؤكد أن الدلالة الحالية لهذه العبارة بعيدة كل البعد من معناها الحرفي.

ويوصف الشخص الشارد الذهن بأنه «سايح في القمرة»، كما في هذه الأغنية التي يريد فيها العاشق أن يهز مشاعر معشوقته فيقول:

اسخف (٢٩) وحني

حبك هو الي جنني

مرة نبكي ومرة نغني

طول الليل سايح على القمرة

ويقال في المعنى عينه أيضًا، في بعض الأحيان «سارح في القمرة»، أو «على القمرة».

ولتوجيه النصيحة لمن هو واثق من عمله بألا يلتفت إلى «القيل والقال» نقول له: «إذا كان القمر معك ما عندك حاجة في النجوم»، أو أيضًا: «إذا حبك القمر بكماله اش عندك في النجوم إذا مالوا».

وأخيرًا يقال للتعبير عن الفكرة القائلة: الكمال لله وحده: «القمرة فيها لولا»، وللنصح بالاقتصاد يقال: «خسارتين في الشهر، الفتيلة والقمر».

وإن للقمرة مكانة أيضًا في الألغاز أو الفوازير، التي يسعى الناس إلى حلها في أمسيات السهر. وهي لا تختلف عن الألغاز والفوازير الموجودة في مناطق شمال إفريقية الأخرى، هنري باسية: «محاولة في أدب البربر» (٣٠)، ص ١٩٥، أو الأب جياكوبيتي: «مجموع من الألغاز العربية الشعبية» (٣١) ص ١٣ إلى ١٦. وغالبًا ما تواجه تلك الألغاز، بين الشمس والقمر، بالفارق بينهما في الإضاءة والحرارة. وفيما يخص تونس سجل بيير جينيفوا في مجلة إبلا (٣٢) أكثر تلك الألغاز شيوعًا في مقال عنوانه: «أيتها السماء الغامضة، بوحي لنا بأسرارك» (٣٣) وقد فسر تفسيرًا رائعًا تلك الفوازير الكونية، التي نكتفي هنا بإيراد نصوص الفوازير وترجمتها، التي تهمنا على وجه الخصوص:

على طير حنفي (٣٤) يتربى بزوج مناقير

يولد من جنبه ماتت أمّه خلاته صغير

ويقال أيضًا:

على خبزتين صنعتها اليد الدايمة

واحدة تمشي بالتجليف

والأخرى تقعد صايمة

ويقال أيضًا:

على زوج خواتات متركيات

واحدة عاقر والأخرى تجيب بنات

ويضـاف إلى مـا سـبق اللغـز الآتي، الذي أوردت له مجلة إبلا (٢٥) رواية أخرى

باليمين الي ما فيه حنثة

أوله ذكر وعقبه ذكر ووسطه أنثى

وأخيرًا: إن الكلمة التي تشير إلى الهلال في العامية التونسية مذكرة، والتي تشير إلى القمر بدرًا مؤنثة.

نخلص من تلك الملاحظات كلهـا إلى نتـائج أهمهـا: أن للقمـر حيـزًا ضخمًا في الفلكلور الأنثوي في مدينة تونس، وإنه لمن المؤكد أن له حيزًا أكبر في الريف، حيث ينسب إليه الناس - كما هي الحال في أمكنة أخرى كثيرة - تأثيرًا في التقلبات الجوية، وفي نمو النباتات، وفي توالد المواشي... إلخ. وقـد بدا لنا مع ذلك أنه من المهم أن نسجل الأهميـة التي توليه إياها النسـاء الحضـريات، وهي في تونس، كمـا يبدو، أهمية أكبر مما نجد في البلدان المتوسطية الأخرى.

الهوامش والمراجع

١- عنوان البحث بالفرنسية:

Mme. M. Graf de la Salle, Contribution a l' Etude du Folklore Tunisien, Croyances et Coutumes Femmines Relatives a la lune. Melanges offerts a William Marcais, Editions G - P. Maisonneuve et cie 1950, paris, p 161- 183.

٢- عنوان الكتاب بالفرنسية:

Melanges offerts a William Marcais Par l' Institut de tudes Islamiques de l' Universite de Paris. Avec le Concours du Centre National de la Recherche Scientifique, du Gouvernement General de l' Algerie, de l' Institut des Hautes Etudes Marocaines et de l' Institut des Hautes Etudes de Tunis, Paris, Editions G -P. Maisonneuve et cie1950.

٣- عنوانه الفرنسي:

Mme. Graf de La salle. Le "Kitab al- ayn". Le Debat Sur l. Attribution qu' oneh fait. a al- Khalil in Ibla. 11/1948, p.37- 42.

٤- انظر الترجمة العربية د. عرفة مصطفى - مراجعة مازن عماوي، ط، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الثامن، الجزء الأول، علم اللغة إلى نحو سنة ٤٣٠هـ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٨٥.

٥- نشر في حوليات معهد الدراسات الشرقية في الجزائر، مج ٦، ١٩٤٧م، وعنوانه الفرنسي:

Mme Graf -de le Salle. Notes sur le conte populage tunisien "les deux Bossus" in Annales de l' Institut d' etudes orientales. Alger, tome VII,1948.

٦- قارن بخصوص التمائم التي تصنع على شكل هلال عند سكان شمال إفريقية الأصليين بـ W. Marcais: Textes Arabes de Takrouna (Paris, 1929), P. 397 . وليام مرسيه: نصوص عربية من تكرونة (باريس، ١٩٢٩م)، ص ٣٩٧، Soualah: La Societe Indizène de L Afrique du Nord, 2 Partie, p.256 (Alger, 1937) صوالة: مجتمع السكان الأصليين في شمال إفريقية، القسم الثاني، ص ٢٥٦ (الجزائر العاصمة، ١٩٣٧م).

٧- استشهد بهذه الفقرة ر. ب. رينون، من دون الإشارة إلى مصدرها، في الأم والطفل، مج ١، ص ٥ (سلسلة «البليد»). Ce paragraphe a ete cite par le R. P. Renon, sans mention d' origine, dans la Mere et l' Enfant, t. 1.p. 5 (Collection"le Bled")

٨- القمر في اليوم الرابع عشر. (المترجم).

٩- انظر رواية أخرى لهذا اللغز في ر. ب. رينون، م. س، مج ١، ص ١١، الحاشية ١٦.

١٠- كذا في الأصل، والصواب يا ما ابنّه، بمعنى ما أحلاه، وشيء «بنين» يعني باللهجة التونسية: جميل. (المترجم).

١١- نجد في المغرب الاعتقاد نفسه، قارن بـ دوكتوريس لوجيي، «محاولة في الفلكلور المغربي» (باريس، ١٩٢٦م)، ص ٢٠، ولكن المرأة السوداء في المغرب معها ولدها المعلق على ظهرها، في حين أن الطفل غير ممثل في المعتقد التونسي، وفي فرنسا يلاحظ ليسنيل دو لا سال في دراسته عن منطقة البيري Le Berry مج ٢، ص ٢٥٢، أن الناس يظنون أنهم يرون في القمر عندما يكون بدرًا «رجلاً يحمل على ظهره حملاً كبيرًا من الشوك، لأنه لم يعظم يوم الرب».

- ونجد المعتقد نفسه في غاسكوني: بلاد: «حكايات شعبية»، مج ٢، (LPTN t. XX)، وفي منطقة البوس: كابيزو: «فلكلور البوس والبرش»، ص ٢٩١، (LPTN t. XXXV).

Au Maroc on Retrouve la Meme Croyance. cf. Doctoresse Legey: "Essai de Folklore Marocain" (Paris, 1926), p.20.

Pour la France, Laisnel de la Salle, dans Son etude Sur"un homme Qui Porte sur son dos un enorme Fagot d'epines" parce qu'il n'a pas sanctifie le jour du Seigneur.

- Même croyance en Gascogne: Blade, "Conte popul." t. II, (LPTN t. XX) et dans la beauce: Chapiseau: "Folklore de la Beauce et du perche", p. 291(LPTN t. XXXXV).

١٢- قارن بخصوص المعتقدات المتعلقة بخسوفات القمر في المغرب، بحث دكتور يس لوجيي، م. س، ص ٢١ وهنري باسيه: محاولة في أدب البربر، ص ٣٥٣.

ويذكر بن عطار هذه القصة من دون أن يشير إلى الأغنية في: البلد تحت الضوء، ص ٢٦- ٣٣. Sur les croyances relatives aux Eclipses de LUNE

AU Maroc, cf: Doctoresse Legey: Op. cit.' p. 21 et H. Basset; Essai sur la letterature des Berberes, p 303.

Cette histoire est relatée sans que la chanson y soit mentionnée par Ben Attar: Le Bled en lumiere, pp. 26 a33.

١٣- قارن بخصوص هذه العادة في صفاقص بما في كتاب السيدة دوبوللوز - لافان: البو مركود، ص ٩٥ (باريس، ١٩٤٦م).

A propos de cette coutume a Sfax, cf. m me Dubouilloz- Le Bou mergoud p. 95 (paris. 1946).

١٤- تقوم الفتيات في فرنسا بما يسمينه «نذر القمر» - ويمارسن ذلك في المدارس الداخلية على وجه الخصوص -. تردد الفتيات وهن يقفزن على رجل واحدة من دون أن ينتقلن إلى الرجل الأخرى، وفي ثلاث ليالٍ متتالية، يفضل أن يكون خلالها القمر بدرًا الصيغة الآتية:

«أيها القمر، يا قمري الجميل،

أنت كل ثروتي،

جعلني أرى في الحلم

من سيكون زوجي في حياتي».

وإذا كنا مع ذلك لا نستطيع انتظار وقت كون القمر بدرًا، ونريد القيام بهذه الممارسة عندما يكون القمر في أول أو آخر ربعه؛ فهناك اختلاف طفيف تتوجه حينئذ بالخطاب إلى الهلال:

«هلال، أيها الهلال الجميل

اجعلني أرى في الحلم

من سيكون زوجي طوال حياتي

من سيكون زوجي الجميل».

أو

«هلال، أيها الهلال الجميل

أنت الذي يشير إلى المحبين

قل لي هذا المساء في الحلم:

من سيكون زوجي في حياتي».

وينبغي بعد ذلك أن تضع الفتاة تحت وسادتها مرآة صغيرة، فترى في حلم المساء الأول «صديقها الأول»، وفي المساء الثاني «خطيبها»، وفي المساء الثالث «زوجها المستقبلي». فان غينيب: الوجيز في الفلكلور الفرنسي المعاصر (باريس ١٩٤٣م) مج ١، ص ٢٢٩، رقم ٣، وفيه بيليوغرافيا حول التوجه إلى القمر في فرنسا. Van gennep: manuel de folklore francais contemporain (paris. 1943), t. i,p. 239, n. 3.

١٥- هذه كلمة فرنسية بحروف عربية وهي Chemin de fer وتعني سكة الحديد، والمعنى: نسافر في القطار(المترجم).

١٦- هنالك عادة قريبة من هذه، شائعة عند صقليي تونس. عندما تريد فتاة شابة أن تعرف ما إذا كانت ستتزوج خلال السنة، وتعرف اسم حبيبها، تكتب على مربعات ورقية متشابهة أسماء الراغبين بالزواج منها، وتكتب على أحدها «عانس»، وعلى الآخر «غير معروف». وتطوي تلك المربعات الورقية أربع طيات وتضعها بعناية على وجه الماء في إناء تضعه تحت سريرها في ليلة التقدمة. وفي الصباح تكاد تكون كل المربعات الورقية مغمورة بالماء، والمربع الذي يظل طافيًا هو الجواب الموحي.

١٧- حجر منقور مثبت حول فوهة البئر. (المترجم).

١٨- ينبغي أن نلاحظ الجناس بين «حنة وحنين».

١٩- حول فطم الرضيع في شمال إفريقية، قارن بـ: ديبارميه، طبائع سكان الجزائر وعاداتهم ومؤسساتهم، ترجمة هنري بيرس وجان بوسكيه، ص ٥٠.

- رحماني س. عادات قبلية من رأس أوكاس، ص ٨٦، ولكن من دون أن يشار إلى دور القمر. ويتكرر الأمر نفسه في هاردي وبرونو: الطفل المغربي، ص ٢٢.

Pour le servage du norrisson en Afrique du Nord, cf. Desparmet: Moeurs, coutumes et institutions des Indigenesd. i. Algerie. traduction: H. Peres et J. Bousquet, p.50.

- Rahmani S.: Coutumes Koby les du Cap Aokas, p . 86 . Mais Sans qu. il Soit Fait allusion au role de la lun. de Meme Hardy et Brunot: I. Enfant Marocain. p. 22.

٢٠- قارن بـ دوت: السحر والدين... ص ٨٢؛ ووليام مارسيه: نصوص من تكرونة، ص ٣١٤- ٣٢٤.

Cf. Doutte: Magie et Religion... p. 82 et W.Marcais: Textes de Takrouna. pp.314- 324.

٢١- إن عادة قص شعر الفتيات الصغار في أول ربع من أرباع القمر، لكي يطول مع القمر، هي عادة موجودة في فلكلور عدد من المناطق الفرنسية. قارن بـ ليستيل دو لاسال: لو بيري، مج ٢، ص ٣٤٩ وأوران: فلكلور إيل - وفيلين، مج١، ص ١٢٣: «لا ينبغي قص الشعر في مرحلة تناقص القمر؛ لأنه يطول بسرعة أقل».

C'est d' ailleurs aussi une coutume note dans le folklore de plusieurs regions farneaises que de ronger les cheveux des fillettes au Ier quartier de al lune pour qu' ils croissent avec elle: le Berry. t. II. p349 et Oran: folklore de ille et vilaine. t.I. p 123: "il ne faut pas Couper les cheveux dans le decours de la lune parce qu. ils repoussent moins Vite".

٢٢- جمع «حُبلى». (المترجم).

٢٣- ولا نجد هنا - على ما يبدو - المعتقد المنتشر في صقلية، وفي جنوب فرنسا، إلا عندما لا يغير القمر منزله خلال الأيام الثلاثة الأولى، التي تلي ولادة الطفل، فإن الطفل الذي يليه يكون من الجنس نفسه.

٢٤- الكرنب الساقي، نوع من الكرنب ينبت ساقه فوق الأرض ويغلظ. (المترجم).

٢٥- نوع من الليمون الصغير. (المترجم).

٢٦- قارن بخصوص الممارسات المستخدمة لإنزال القمر، بكتاب هنري باسيه: محاولة في أدب البربر، ص ٣٠٢؛ دوكتوريس لوجيي: م. س، ص ١٢٦- ١٢٧ (كسكس طبخه ميت بماء القمر)؛ وأ. م. غواشون: الحياة الأنثوية في مزاب، ص ٢١٧- ٢١٧؛ والسيدة دوبولوز - لافان: البومرغود. فلكلور تونسي، ص ٩٤؛ والقمر لا ينزل على هيئة ناقة، ولكن بسمات امرأة تستولي الساحرة على حليبها.

Pour les Pratiques en Usage Pour Faire Desendre la lune. cf. H. Basset; Essai Sur la litterature des Berberes. p. 302: Desse Legey: op. cit. pp. 126- 127 (couscous roule par un mort avec l'eau de la lune); A. M. Goichon: la vie feminine au Mzab. pp 216- 217; Mme Dubouloz- Laffin: le Bou Mergoud. folklore tunisien. p. 94: La lune ne descend pas sous la forme d' une chamelle, mais sous les traitsd,une femme. don,t la sorciere s. empare du lait.

٢٧- يورد الأب ب. ريلون في كتابه: الأم والطفل، مج ١، الملاحظة ١٤، هذه الفقرة اقتباسًا من دراستنا التي كانت حينئذ مخطوطة.

Le R. P. Renon dans la mére et l'enfant. t. 1. note 14. repreduit ce passage emprunte a notre etude encore inédite

٢٨- عبارة من العامية التونسية بمعنى: احرص على عيادك. (المترجم).

٢٩- بمعنى حني من الحنان. (المترجم).

30- H. Basset: Essai sur la litterature Berberes. p. 195.

هنري باسية، محاولة في أدب البربر، ص ١٩٥.

31- Le pere Giacobetti. Recueil d' eniges arabes populairés. pp. 13a 16.

٣٢- IBLA «إبلا» هو: اختصار لمجلة معهد الآداب العربية في تونس.

٣٣- Le R. P. genevois. ciel mysterieux. montrez - nous vos secrets. in iblas octobre 1942, pp. 385- 386.

مجلة إبلا، أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٤٢م، ص ٣٨٥ - ٣٨٦. وقد ترجمنا هذا البحث ولعله ينشر قريبًا. (المترجم).

٣٤- بمعنى طير أصيل. (المترجم).

٣٥- مجلة «إبلا»، يوليو/ تموز ١٩٣٧م، ص ٥٤.

IBLA". Juillet 1937. p.54.*





الشجرة المفردة في البرية: الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي

يوسف عز الدين

ميلز - بريطانيا

قال أحد الفلاسفة: ما أصغر حياة الإنسان في عمر الكون! فهي أقل من أن تكون قليلة. فقد خلق الله تعالى الكون والأرض منه، وعليها هذا الجرم الصغير الإنسان، وأنزله ليعمرها، وجعله خليفة فيها.

فالله تعالى هو الذي خلق فيه رغبة التعمير، فأصبح العمل هو: إثبات الذات، والاستمرار في الحياة، والطموح، والبناء، والتطور، وأخذ يزحم ابناء جنسه ما وسعته القوة، وبما حباه الله من ذكاء وفطنة؛ لتكون الأرض وارفة الظلال، زاهية البقاء، ومن حكمته السامية، أنه لم يخلق البشر في ذكاء واحد، فكان لكل إنسان ما قدّره الله فيه لتسير الحياة. فكان فيهم العبقري الموهوب، والغبي البليد.

وقد كان عبدالعزيز الرفاعي ممن أنعم الله عليه بالذكاء والفطنة، والموهبة المبدعة، ومعها الطموح الواسع، والصبر الجميل.

زيارة إلى بغداد

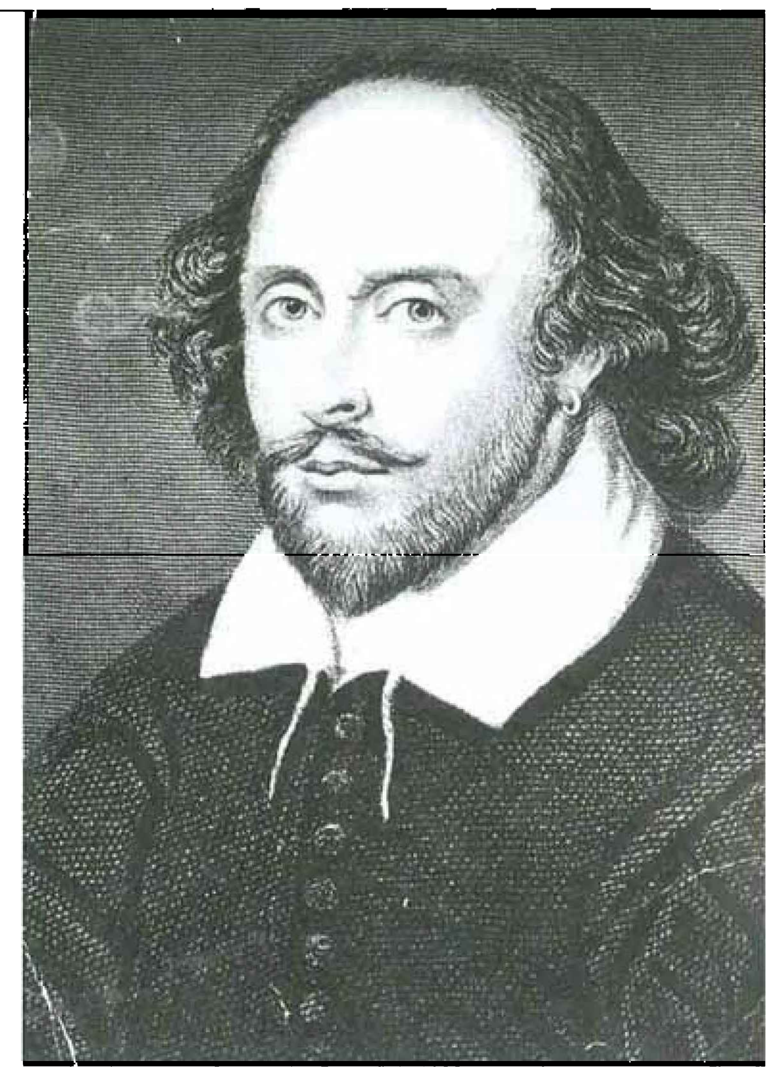
عرفته وهو في أوج تألقه، وذيوع شهرته في الرياض، بعد أن زارني في بغداد في المجمع العلمي العراقي، وأنا أمينه العام، فكانت الرياض هي التي روت وسقت بذرة المعرفة، وسمقت حتى أصبحت أخوة، وبقيت زاهرة الود، يانعة الحب، حتى رحيله، رحمه الله.



زارني في إحدى المناسبات الفكرية، التي كانت كثيرة ومتواصلة بين الوطن العربي، وعلمت بوصوله ورغبته في زيارة المجمع، وللاحتفاء به أعددت نفسي لتكريمه والترحيب به.

لقد سبقته مكانته الأدبية، وفضله الفكري؛ ولهذا سعدت بزيارته في مكتبي.. وبينما هو يرتشف الشاي، أخرج من جيبه ورقة على استحياء، وقال: أرغب في شراء هذه الكتب من مطبوعات المجمع، فأخذت الورقة، ووضعتها جانبًا، وحسب اني تجاهلت الطلب، وكتم إحساسه، ولم يعاود الطلب تعففًا وإباءً. ولم يظهر ألمًا أو عتابًا، ولما أراد الانصراف ودعته حتى السيارة.. ونظر في داخل السيارة، فانفرجت أسارير وجهه غبطة بزينة الرضا، والتعجب الواضح على محياه، وضحك، وقال: أعتذر إليك فقد أسأت الظن بك، فقد حسبتك أهملت الطلب، أو أن المطلوب غير موجود. وإذا أنت تملأ السيارة بالمطبوعات المتعددة.

قلت: يا سيدي، المنة لك؛ لأنك ذكرت مطبوعات المجمع، وأظهرت هذا الاهتمام.. والناس. حتى الأساتذة



وليم شكسبير

ووجدت فيها الاطمئنان الروحي بما حبتني من حب، وكان الرفاعي أول إنسان يزورني، ويتفقدني، وقال: لما سمعت بقدومك: جئت طيرانًا. فما أرق هذه الشمائل؟!

في الرياض

عندما وصلت إلى الرياض، كانت مهتمة اهتمامًا كبيرًا في إنشاء المؤسسات العلمية، والرسمية، والدرامية، وهي تسارع الأيام إلى الوصول إلى تكوين عاصمة كبيرة، تضاهي العواصم العربية، مثل: بغداد، ودمشق، وكان الاهتمام الفكري والأدبي في طريقه السريع إلى التكوين، فالمجاري الفكرية مازالت أنهارًا عذبة صغيرة، لم تصبح رافدًا كبيرًا. لهذا لم أجد ندوات فكرية، أو أدبية، مثل التي في بغداد والقاهرة، ومن هذه الينابيع الثرة، الفردية الدعوات، التي يقوم بها الدكتور محمد عبده يماني، والدكتور سليمان السليم، وعبدالوهاب عبدالواسع، والدكتور عبدالعزيز الخويطر، والدكتور أحمد الضبيب، والدكتور فهد الحارثي، والشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل، والدكتور عبدالعزيز الخوجة، تعقد عندما يأتي أديب كبير، أو عالم مرموق، وله صلات، أو جاء أستاذ في جامعة، أو صديق معروف، كما كان يفعل الصديق عبدالعزيز السالم.

- لا يزورون المجمع، ولا يأخذون مطبوعاته على رخص الثمن، ووفرة العدد.

ومرّت الأيام.. وتدخلت السلطة في أغراض المجمع وأهدافه، الذي بذلت فيه قصارى جهدي في تطويره، ورفع قواعده، بناءً شامخًا، وقانونًا فريدًا، واختيارًا لأحسن الأعضاء، وأبرز العلماء. وآثرت ترك العراق إلى الرياض وحبتني جامعة الملك سعود بالحب والتقدير،

ما دفعني إلى كتابة هذا المقال بعض الوفاء لرائد وقف حياته في سبيل الفكر العربي الإسلامي وتطويره، وترك وراءه إرثًا أدبيًا يجب أن يعتنى به. والإنسان زرع الحب والوفاء في كل مكان حلّ فيه. وما احتاج إليه إنسان إلا أسعفه بمورد عذب شديد الفائدة

موسارت

ندوة الرفاعي

ولهذا كانت ندوة الرفاعي، الندوة الوحيدة التي لها صفة الاستمرار والدوام، وكنت أسعد بحضور هذه اللقاءات ذات المناسبات الأدبية والفكرية، وعادة تنتهي مثل هذه اللقاءات بعد تناول الطعام، وإبداء الترحيب والتقدير للزائر الكبير المحتفى به.

وما كنت أتخلف عن ندوته الأسبوعية وقد أبكر في الحضور؛ رغبة في متعة الصحبة، وحبًا في اللقاء الجميل، والندوة مدرسة؛ بل موسوعة فيها الأدب، والفكر، والشعر، فيها تلقى القصائد، ويدور فيها مختلف الأحاديث العامة. وكانت هي الوحيدة في الرياض؛ التي جمعت مختلف الأعمار، وتنوع الاتجاهات، فقد كانت صلاته واسعة، وروابط الألفة قوية مع مختلف المتعلمين والمثقفين، إضافة إلى اختياره عضوًا في المؤسسات الثقافية، والصحافية، وبعض المجلات والصحف. والطريف أنه كان يأتي بعدد من هذه المطبوعات والمجلات؛ التي يسهم في إدارتها، ومنها المجلة العربية، وعالم الكتب، التي أسسها مع الأستاذ عبدالرحمن المعمر الأديب المعروف، وأناط إدارتها العلمية لأستاذ مختص فاضل، هو الدكتور الصديق يحيى محمود بن جنيد الذي أصبح رئيسًا لتحرير (الفيصل)، وكان الرفاعي يزود رواد الندوة بالمطبوعات، التي تطبع في دار الرفاعي، وأبرزها «المكتبة الصغيرة».

حالت مسيرة حياة الرفاعي الحافلة بالحرمان، والسعي في العمل، دون أن يتمتع بلهو الأطفال، وعبث المراهقين. وحفرت هذه الآلام في قلبه ألمًا صاحبه طوال حياته، فكان شديد الحياء، دائم الخجل، عميق الهدوء، فما رأيته غاضبًا، أو متبرمًا

عصامية وبر

نشأ الرفاعي عصاميًا، فلم تسنده أسرته، أو يُعينه جاه، أو يتوسط له ذو مكانة، كان يعتمد على والدته، وكافح كفاح الأبطال معها، وتجرع معها مرارة الحياة، وشرب

صابها بجلد وصبر الرجال الأشداء، وهو بعد صغير السن. ولما أحس بما تعانيه هذه الوالدة الرؤوم في سبيل الأسرة، أراد مشاركتها هذا العبء الكبير. قال: كنت في مفترق طرق صعبة جدًا، وأنا في نحو الثالثة عشرة.. وتساءل: أأفارق الدراسة لألتمس عملاً يؤمن حياتنا؟!.. وهل أستطيع أن أضع لمتاعب والدتي حدًا بالعمل؟!

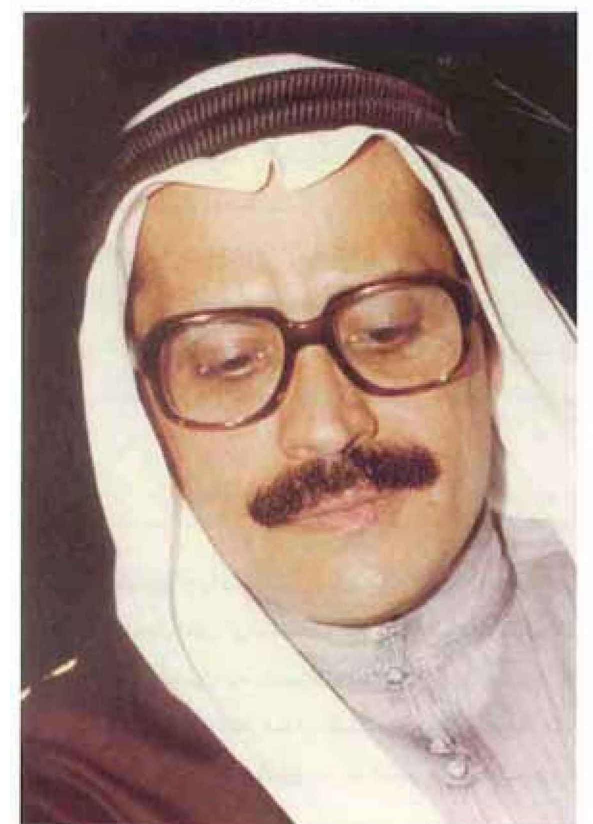
فقد كنت أحس بما تعانيه من شقاء جسمي ونفسي، وهي تحاول أن تعول أسرة، أو أن أواصل دراستي، ولو إلى الشهادة الابتدائية على الأقل. وفي هذه الحال

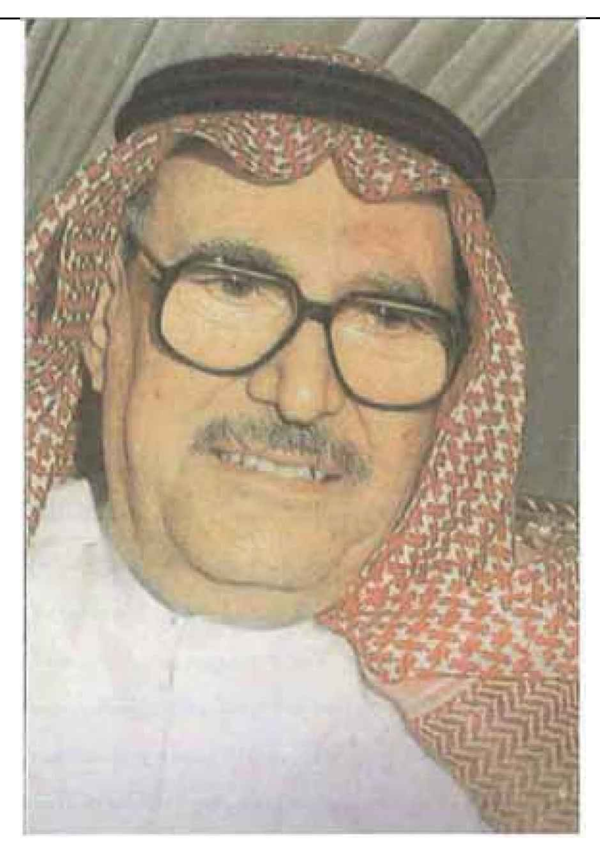
ما كنت أتخلف عن ندوته الأسبوعية وقد أبكر في الحضور: رغبة في متعة الصحبة، وحبًا في اللقاء الجميل. والندوة مدرسة: بل موسوعة فيها الأدب، والفكر، والشعر. فيها تلقى القصائد. وبدور فيها مختلف الأحاديث العامة

فهد العرابي الحارثي



أحمد محمد الضبيب





عبدالعزيز الرفاعي (رحمه الله)

سيظل كفاح والدتي متصلاً، وإن كان الأمر فوق احتمالها، فقد أخذ المرض والإعياء ينالان منها. حقًا أنا بين أمرين أحلاهما مرّ. ولكن لم ألبث أن اخترت - بالاتفاق معها - طريقًا وسطًا. هو أن أعمل في أوقات فراغي، وفي الإجازات، وهكذا وضعت كتفي الصغير في جوار كتفها الواهن، وواصلنا حياة صعبة المراس، ولكن ظل كتفها هو الذي يحمل العبء الأكبر. وبهمة الرجال أصبح موظفًا، وعندها استراح روحيًا، ورضي نفسيًا، بعد أن حمل وحده عبء الحياة ومشقات الكفاح.

إنها عصامية يقف أمامها الباحث مكبرًا الصراحة، مقدرًا الصدق. إنها عصامية الأفذاذ من الرجال، وكان يفخر بها، وحق له الفخر، فقد جاء من قرية في ساحل البحر الأحمر، وثبتت جدارته وسط زحام المدينة.. أدرك الحياة صغيرًا، وتمرس بزحامها في سبيل لقمة العيش، وكسبها بجلد الأبطال، وعزم الصابرين، وأرضى طموحه من العلم فجمع الفضلين، واشتد عوده وواصل مسيرته، موظفًا حتى غدا عضوًا في مجلس الشورى، وعضوًا مراسلاً في مجمع اللغة العربية، وكنت أسعد بلقائه في المؤتمرات بمجمع اللغة العربية، ولكن - يا للأسف - كانت أيامه محدودة، وما استفاد مجلس الشورى، ولا مجمع اللغة العربية الفوائد المرجوة الكبيرة من عقله وأدبه، ولا من خبرته العلمية؛ لقصر المدة التي عاشها فيها.

إن مسيرة حياته الحافلة بالحرمان، والسعي في العمل، حالت دون أن يتمتع بلهو الأطفال، وعبث المراهقين، وحفرت هذه الآلام في قلبه ألمًا صاحبه طوال حياته، فكان شديد الحياء، دائم الخجل، عميق الهدوء، فما رأيته غاضبًا، أو متبرمًا، مفرطًا في الحياء والهدوء، حتى عاتبته على هذا الصبر والحياء يومًا..

إنها ذكريات الطفولة الرابضة في اللاشعور، ولا يقدر الإنسان على التخلص منها. وكان يذكر أيامه بفخر. وظهر أثر هذا الحرمان بوضوح في شعره، وتدفقت العاطفة صادقة صافية فيه عندما قال:

سألت القلب عن دنيا
ه ما دنياك يا قلبي؟!
فهذي ضجة الحرما
ن تلذع نارُها جنبي
وهذا موكب السعدا
ء يزحم ركبُه ركبي
فكم أزرع آمالي
فما أجني سوى الجدب
وشمس شبابيَ المحرو
م قد مالت إلى الغرب

هذا الإحساس العميق بقي طوال حياته يتلوى في احنائه الرقيقة، ويعيش متقدًا في دروب أمانيه، مع ما وصل إليه من مكانة عالية، وتقدير في العمل والوظائف، ولكن الشعور الباطني بقي حزين السمات، باكي الآمال، من أثر حرمان الطفولة. فقال وهو يئن من هذا الأثر، ولم يجد له من منقذ غير الباري فقال:

تمرّ براكب النعمى
واشهد فرحة الركب
لقد أشفق محروم
بأن يلقاك يا ربي

كان ألمه عميقًا، وكان يتوقع الرحيل عن هذه الدنيا الفانية، وليس للمؤمن غير رحمة الله، والاعتماد على عفوه ورضاه، وأن يجازيه بالجنة؛ لأن الحياة لم تكن قد أسعدته، ولا يُعدم محروم من غفران الله فقال:

تُبدد لهفة الحرما
ن جناتك ياربي
إذا مست يدا رحما
ك أجدابي فذا حسبي

إن معاناته في الطفولة، واحتكاكه بالفقراء والمعوزين، خلقا منه إنسانًا شديد العطف، رقيق الإحساس، حلو الشمائل، ولا بد أن تمرّسه بالحياة طفلاً، وإحساسه بأن هناك طبقة ميسورة رافلة في الراحة، جعلاه يتمنى هذا اليسر لكل من عرفه وخالطه. فكان كريم اليد، جوادًا، سامي الخلق، وافر المعرفة. والحق كانت ندوته الأسبوعية محتشدة، وعندما كان في الملز وسّع الحجرة، ومع ذلك ضاقت بالرواد، حتى بنى داره في خارج الرياض وكانت حجرة واسعة فارهة.

وعلى الرغم من إصابته في أواخر حياته بمرض عضال، وعالجه خيرة الأساتذة والأطباء، إلا أن القدر أقوى من البشر؛ ولم يفارق الشمائل العالية، وهو يحس بذلك الأجل، فصبير وصابر، وكان يرد على كل من يسأل عنه، وهو في فراش المرض. قال الأستاذ الصديق عبدالعزيز السالم، وكان من أقرب الناس إليه: «أنه كان يصر على الرد على من

أبو عبد الرحمن الظاهري



على الرغم من إصابته في أواخر حياته بمرض عضال، وعالجه خيرة الأساتذة والأطباء، إلا أن القدر أقوى من البشر؛ ولم يفارق الشمائل العالية، وهو يحس بذلك الأجل، فصبير وصابر، وكان يرد على كل من يسأل عنه، وهو في فراش المرض


محمد عبده يماني

يسأل عنه بالهاتف، وقد ودع الدنيا.

وعندما كرم قال:

سبعون يا صحبي وجَلَّ مصابُ
ولدى الشدائد تعرف الأصحابُ
سبعون يا للهول أية حقبة
طالت وران على الرحيق الصابُ
تتراكم الأعوام فوق رؤوسنا
حتى تئن من الركام رقابُ
لا تعجبوا إن ندَّ خاطر متعب
بعد السُّرى وشكا إليه ركابُ

دفعني إلى كتابة هذا المقال بعض الوفاء لرائد وقف حياته في سبيل الفكر العربي الإسلامي وتطويره، وترك وراءه إرثًا أدبيًا يجب أن يعنى به، ولإنسان زرع الحب والوفاء في كل مكان حلّ فيه، وما احتاج إليه إنسان إلا أسعفه بمورد عذب شديد الفائدة. وقد عرفته وأنا أستاذ في جامعة الرياض، عندما كانت في الملز، وله هذا الكنز الفكري، فدعوته كي يلقى الطلاب، ويفيض عليهم من علمه وتجاربه، في محاضرة واحدة أعطانا معلومات كانت خيرًا من قراءة كتب كثيرة عن الأدب العربي في المملكة العربية السعودية؛ لأنه كان شاهدًا حيًا.

دعوة إلى تكريم الرواد

في الغرب أجد ظاهرة تكريم الرواد جزءًا من الحضارة شاعرًا كان، أو فنانًا، أو كاتب رواية، أو قائد جيش، فالكل يعرف ساحة الطرف الأغر، ويرون التماثيل في كل أنحاء لندن، ويلاحظون تخليد أماكن شكسبير، وجاريس، وكنز، ويذكرون المقهى الذي جلس فيه وشرب فيه الشاي، وجدتها في تخليد بيتهوفن، وموتسارت، والشاعر جوته، ومثلهم لا يُحصى من الأماكن، والتماثيل، وأسماء الشوارع، والطوابع البريدية؛ التي تخرج في مناسباتهم، والحق أن مصر رائدة العرب في هذا التخليد الفكري، وأرجو أن يخلد الرفاعي بطبع كتبه، وجمع مقالاته، وإخراج أعداد خاصة من المجلات، وبخاصة التي كان يشارك في إدارتها. وسرتني مجلة الأدب الإسلامي فقد أعلن الدكتور عبدالقدوس أبو صالح عن إخراج عدد خاص عن الرفاعي، فله فضل السبق، وأن يُسمى الشارع الذي فيه داره باسمه، إنه قليل من الوفاء والتقدير للرواد، ولا أستبعد الوفاء عن أهل الرياض لتقدير إنسان وضع أول لبنة حضارية، وبذل طاقته في سبيل أمته ولفتها مع غيره من الرواد.



الفيصل
العلمية
الآن بالأسواق



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٦١) رجب ١٤٢٧هـ / يونيو - يوليو ٢٠٠٦م.

الفائز الأول: آمنة محمد المصري. درعا. سورية.
الفائز الثاني: خالد علي عبدالرب صالح. صنعاء. اليمن.
الفائز الثالث: محمد محمد فوزي إبراهيم. القليوبية - مصر.
الفائز الرابع: محمد عبدالله داود. جدة. السعودية.
الفائز الخامس: أحمد حبيب سلطان. الدوحة. قطر.
الفائز السادس: موسى عبدالمجيد محمد عبابنة. إربد. الأردن.
الفائز السابع: محمد أمين إبراهيم سعيد. دبي. الإمارات.
الفائز الثامن: نقاش خليل. قرارم - الجزائر.

حل مسابقة العدد (٣٦١)

١- متى صدر العدد الأول من مجلة الفيصل؟
رجب ١٣٩٧هـ.

٢- من هي لاكشمي؟
ربة الجمال والثراء، وزوجة الإله فشنو في العقيدة الهندوكية وهي نواة الإخصاب له.

٣- ماذا يعني وادي الملكات؟
مقبرة تضم مقابر ملكات زوجات فراعنة عصر الإمبراطورية المصرية.

أسئلة مسابقة العدد (٣٦٤)

أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) ما معنى كلمة دِهْليز؟

(٢) من هو الـ «تربيون»؟

(٣) من الذي أطلق لقب صقر قريش على عبدالرحمن الداخل؟

الاسم: المدينة: ص.ب: هاتف:

العنوان: الدولة: الرمز البريدي: ناسوخ:

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد ......).

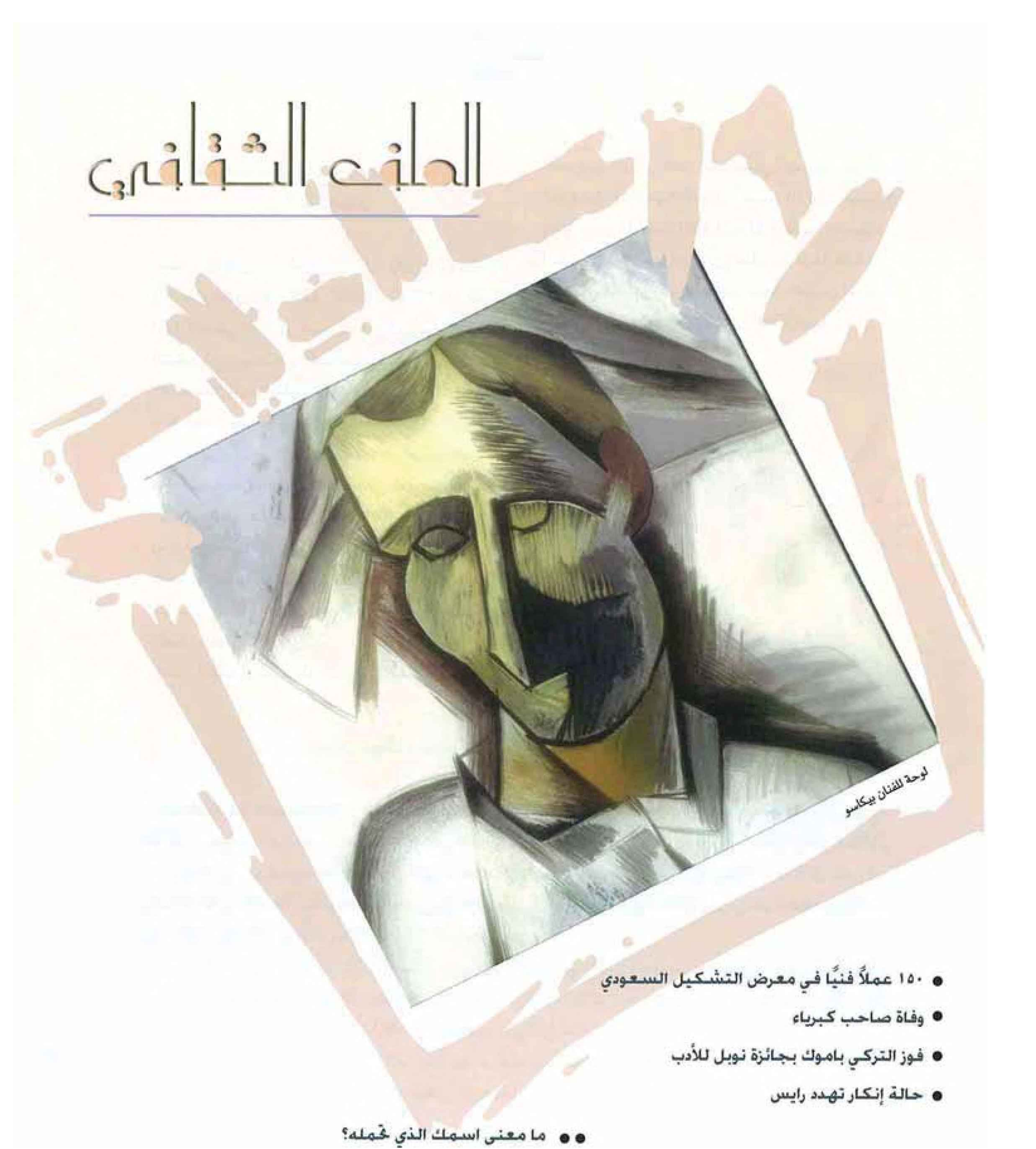
طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) . الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي



لوحة للفنان بيكاسو

- ١٥٠ عملاً فنيًا في معرض التشكيل السعودي
- وفاة صاحب كبرياء
- فوز التركي باموك بجائزة نوبل للأدب
- حالة إنكار تهدد رايس

•• ما معنى اسمك الذي تحمله؟



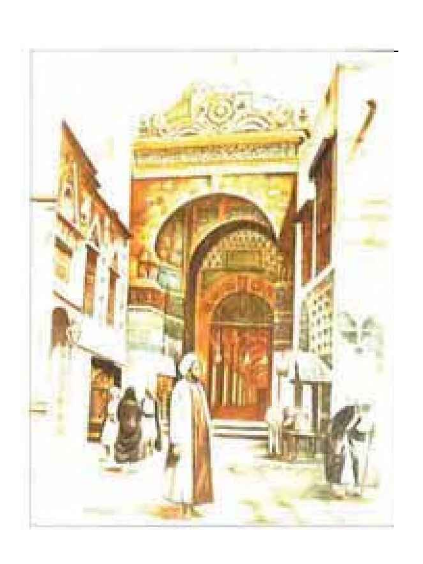
١٥٠ عملاً فنيًا في معرض التشكيل السعودي

بحضور الدكتور عبدالعزيز السبيل - وكيل وزارة الثقافة والإعلام للشؤون الثقافية - افتتح في ٤ اكتوبر/تشرين الأول الحالي الدكتور عبدالله الغذامي معرض الفن التشكيلي السعودي المعاصر، الذي اشتمل على ١٥٠عملاً فنياً تشكيلياً، تنوع بين مختلف المدارس والتوجهات، إضافة إلى أعمال ومنحوتات فنية متعددة، وقد جاوز عدد المشاركين المئة من فنانين وفنانات، من مختلف مناطق المملكة، ضمهم دليل تعريفي، أصدرته الوزارة، يشتمل على بعض لوحات العارضين.

ومن الفنانين الذين ضم المعرض أعمالهم: سمير الدهام، وعبدالله المرزوق، وحنان حلواني، وعبدالله حماس، وطه صبان، وسامي الحسين، وصديق واصل، وفهد خليف، وحميدة سنان، وغيرهم.

وأشار الدكتور عبدالله الغذامي، بعد جولته على المعرض، إلى أن الفن التشكيلي أصبح جزءًا من التركيبة الثقافية للمنزل، فبعد أن كان البيت لا يحوي من عناصر الثقافة إلا الكتب، أصبح من النادر أن تجد جدران منزل تخلو من لوحة فنية.

واشتمل المعرض على فعاليات فنية، تتضمن أمسيات تشكيلية، تضم بعض المشاركين والمشاركات.



إعلان موضوعات جائزة أبها للثقافة. لهذا العام

أعلنت أمانة جائزة أبها للثقافة عن موضوعاتها لعام ٢٠٠٦م، التي تأتي ضمن شعار ملتقى أبها «ارفع رأسك أنت سعودي»، وتتمثل موضوعاتها في: بحث علمي موثق عن دور الإبداع الأدبي والشعر والسرد والمسرح والرواية ، ودور الإبداع التشكيلي والفنون الأخرى، من تصوير، ونحت، وفلكلور، في تنمية الشعار وترجمته إلى حقائق ملموسة. وبحث آخر عن الآثار والموروثات بالمنطقة؛ لتأكيد الأصالة الوطنية، وربط الماضي بالحاضر. وبحث علمي عن إنسان منطقة عسير من حيث العادات والتقاليد والسلوكيات، والتعامل مع الآخر، وتقبله لصناعة السياحة.

وحددت الأمانة عدة شروط هي: ألا يقل البحث عن ٥٠ صفحة مدعمًا بالنماذج، ما أمكن، ومطبوعًا، وخاليًا من الأخطاء، ولم يسبق نشره، وأن تكون الأبحاث شاملة لمضمون العنوان، وملتزمة قواعد البحث العلمي، وتقديم ثلاث نسخ مغلفة فنيًا لأمانة الجائزة، وآخر موعد لقبول المشاركات هو نهاية شهر ربيع الأول سنة ١٤٢٨هـ.

وينال الفائز الأول في كل بحث مبلغ ٥٠ ألف ريال، ويدعى لحضور الملتقى والمشاركة في ندواته، علمًا أن المسابقة مفتوحة للسعوديين من الجنسين، والعرب المقيمين، ولمواطني دول مجلس التعاون الخليجي كذلك.

وفاة صاحب كبرياء



رحل في السادس والعشرين من شهر سبتمبر/أيلول الماضي، الشاعر السوداني محمد سعد دياب، بمقر إقامته في مدينة ينبع بالمملكة العربية السعودية.

ولد محمد سعد دياب بمدينة أم درمان عام ١٩٤٥م، وتخرج في معهد المعلمين العالي (كلية التربية) متخصصًا في اللغة الإنجليزية، وحصل على دبلوم تدريس اللغة الإنجليزية لأقطار ما وراء البحار من جامعة ليدز في بريطانيا، وعمل مدرساً للغة الإنجليزية بالمدارس السودانية، ثم بالمملكة العربية السعودية.

صدر له في عام ١٩٧١م ديوان «حبيبتي والمساء»، ثم «عيناك والجرح القديم» في عام ١٩٨٦م، الذي طبع منه ثلاث طبعات، وكان يستعد لإصدار ديوانه الثالث تحت عنوان «ونكتب في زمن الحزن»

وقدّم الراحل عددًا كبيرًا من البرامج الأدبية من خلال الإذاعة السودانية والتلفاز القومي، كما نشر مقالات وقصائد في صحف ومجلات محلية وعربية، منها: مجلة الفيصل، والمجلة العربية، ومجلة الحرس الوطني، والمنهل، وسيدتي، والبيان، والمجتمع والأسرة، والمعرفة، والكويت، إضافة إلى صحيفتي: الجزيرة، والشرق الأوسط، وغيرهما، كما ظل حريصًا على التواصل مع قرائه ومحبي شعره من خلال الأمسيات الشعرية كلما قدم إلى السودان.

وقد ورد اسم الشاعر الراحل ضمن أسماء الشعراء العرب المعاصرين في معجم البابطين، الذي صدر في الكويت، وأفردت له صفحتان، ضمتا سيرته الذاتية، إضافة إلى نماذج من شعره.

وكانت قصيدته «الجوع في العالم» قد فازت في المسابقة التي نظمتها صحيفة «الشرق الأوسط» بالتضامن مع منظمة الغذاء العالمي على مستوى العالم، بمناسبة الإعداد للمهرجان العالمي للجوع.

ومن قصائد الشاعر قصيدة بعنوان: «كبرياء»، جاء فيها:

يا قلبُ لا تبكِ الذي باعَ الهوى
لُمِّ جراحكَ.. لا تقُلْ ما أضيعَكْ
وإذا الحنينُ تأججتْ نيرانُه
وهفَتْ بكَ الأشواقُ فاحبسْ ادمُعَكْ
وَهمًا ظننتَ بأنَّهُ قد ضيَّعَكْ
ما ضيَّعَكْ
لكنْ أضاعَ وجودَهُ
وعهودَهُ
وأضاعَ معنى عمره.. لَيْتَ انثنى كي يسمعَكْ
ماذا يكونُ بغيرِ حُبِّكَ يا ترى؟
من غيرِ ليلاتٍ نديَّاتِ الرُّؤى
كانتْ معَكْ
يا قلبُ لا.. لا تَبْكِهِ
علَّمْتَهُ كيفَ العيونُ إذا أحبَّتْ
فاضتِ الأشواقُ فيها دونَ حَدّ
علَّمْتَهُ طَعْمَ المسا
وحَلاوةَ اللُّقيا
وليلاتِ السَّعَدْ
لكنَّهُ نَسِيَ الحنانَ جميعَهُ
وأضاعَ حبَّكَ.. وابتَعَدْ
يا قلبُ لا.. لا تَبْكِهِ
كلُّ الذي استعَرَتْ رُؤاهُ بمُقْلَتَيْكَ
ذَوَى.. وماتْ

فوز التركي باموك بجائزة نوبل للأدب

فاز الأديب التركي أورهان باموك (٥٤عامًا)، بجائزة نوبل للآداب لهذا العام، ليكون التركي الأول الذي يفوز بهذه الجائزة، التي تمنحها الأكاديمية السويدية منذ أكثر من قرن.

ومن حيثيات حصوله على الجائزة: أورهان باموك اكتشف رموزاً روحية جديدة للصراع والتشابك بين الثقافات، في معرض بحثه عن الروح الحزينة، للمدينة التي هي مسقط رأسه.

وهذه المدينة هي إستانبول التي لم يغادرها سوى ثلاث سنوات، عندما ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية، في منتصف الثمانينيات.

وقد استطاع باموك أن يعكس في أدبه، بصدق، التحولات الاجتماعية، والثقافية، والسياسية التي شهدتها إستانبول، وهي التي تتميز بتنوع إرثها الثقافي، وبالتنوع العرقي، والإثني، والطائفي، في بلاده.

يذكر أن باموك اتهم بالإساءة إلى الهوية التركية، وبالافتراء على العرق والتاريخ التركيين، بسبب حديثه عن انتهاكات ضد الأرمن والأكراد، لكن تدخل المنظمات والهيئات الدولية، وطموح تركيا إلى الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، حالا دون ذلك، لكن المفارقة أن يأتي الإعلان عن فوز باموك بالجائزة، متزامنًا مع سن البرلمان الفرنسي قانونًا يجرّم إنكار تعرض الأرمن لتطهير عرقي على يد الأتراك، قبل تسعين عامًا.

وعن الخط الفاصل بين الأدب والسياسة، يقول باموك: ينبغي للأدب أن يكون من أجل الجمال وحده، لا لتوجيه رسائل سياسية، فأنا أكتب لأؤثر في القارئ بكتابتي الجيدة، حتى في روايتي السياسية «ثلج»، لم أحاول أن أنقل رسالة سياسية، بل كل ما حاولت فعله الحديث عن روح هذا البلد ومشكلاته، وعن الألم والغضب في جزء بعيد من هذا البلد، يرقد تحت ظلال أوربا، ولكن من دون أن أجدني معنياً بالمشاركة في هذا الصراع، فالأدب في النهاية يتكلم عن الحياة، ويعكس النقطة الأكثر عمقاً في الروح الإنسانية.

ومع أن هناك إشارات إلى أن مواقفه السياسية كانت وراء نيله الجائزة، إلا أن باموك على المستوى الإبداعي يعدّ من أهم الروائيين المعاصرين على مستوى العالم، وقد ترجمت رواياته إلى أكثر من ثلاثين لغة، وكانت الأكثر مبيعًا، ومن ثم، استطاع أن ينقل صورة تركيا الحديثة إلى القراء في العالم.

ولد باموك في أسرة تميل إلى الثقافة الفرنسية، وبدأ حياته رسامًا، وكان يأمل أن يتفرغ للرسم.

وانتسب إلى جامعة إستانبول التقنية لدراسة الهندسة المعمارية، ثم تحول إلى الصحافة، فتخرج في المعهد العالي للصحافة التي لم يمارسها.

في سن الرابعة والعشرين قرر أن يتفرغ للأدب، وأن يكون - بالتحديد - كاتبًا روائيًا، لأنه: حسب ما يقول: اقتنع بأن الكتابة تعطي معنى للحياة؛ لأنها الحياة.

وكانت باكورة إنتاجه رواية «العتمة والنور»، وذلك في عام ١٩٧٩م، ونال عليها جائزة صحيفة ميلليت للرواية، ثم كتب روايته الشهيرة «جودت بك وأبناؤه» في عام ١٩٨٢م، وترجمها إلى العربية فاضل جتكر، وصدرت عن وزارة الثقافة السورية، ونال عليها جائزة أورهان كمال للرواية، ورصد في هذه الرواية محطات مهمة في تاريخ تركيا خلال القرن العشرين.

سيرة غراس في العام المقبل

من المتوقع أن تصدر السيرة الذاتية، التي تتضمن اعترافات الكاتب الألماني غونتر غراس - الحائز على نوبل للآداب عام ١٩٩٩م، في العام المقبل في ٢٣ بلدًا. أعلنت ذلك دار النشر الألمانية شتايدل، على هامش معرض فرانكفورت للكتاب، الذي افتتح في يوم ٤ أكتوبر/تشرين الأول الحالي.

وسيترجم هذا الكتاب إلى أكثر من ٣٠ لغة،

بدءًا من انهيار الإمبراطورية العثمانية في بدايات القرن، مرورًا بوفاة أتاتورك في عام ١٩٣٨م، وصولاً إلى فوضى الانقلابات العسكرية في سبعينيات القرن الماضي.

وفي العام التالي كتب رواية «البيت الصامت»، وترجمها إلى العربية عبدالقادر عبداللي، ونال عليها بعد ترجمتها إلى الفرنسية جائزة الاكتشاف الأوربي الفرنسية.

وحققت له روايته «القلعة البيضاء» التي أصدرها في عام ١٩٨٥م، شهرة عالمية بعد أن ترجمت إلى لغات كثيرة، وقد ترجمها إلى العربية عبدالقادر عبداللي، ثم كانت روايته «الكتاب الأسود» التي تهتم بتفاصيل الحياة في شوارع إستانبول، وأزقتها وحاراتها، ونالت هذه الرواية كثيرًا من الجوائز.

وتمثل روايته «الحياة الجديدة» التي نشرها في منتصف تسعينيات القرن الماضي، أهم ما كتب في الأدب التركي الحديث، وفي عام ١٩٩٨نشر رواية «اسمي أحمر»، ونال عليها جائزة (أفضل كتاب أجنبي) الفرنسية وجوائز أخرى، وفي عام ١٩٩٩م، نشر كتاب «الألوان الأخرى»، وهي مجموعة مقالات منشورة، ونصوص من دفاتره الشخصية.

وفي عام ٢٠٠٢م أصدر روايته «ثلج» التي عدت رواية سياسية، لأنها تتناول النزاعات والعنف والتوترات في مدينة قارص، في شرق الأناضول بين الإسلاميين، والجيش، والعلمانيين، والأكراد، والقوميين، وقد صدرت هذه الرواية بالعربية عن دار الجمل في ألمانيا عام ٢٠٠٥م.

وجاء كتاب باموق الأخير، الذي صدر قبل عامين بعنوان: «إستانبول»، وهو يوميات يرصد فيها ملامح مدينة إستانبول ابتداءً من مرحلة الطفولة.



وسينشر في فرنسا، وبريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية، وتركيا، وكوريا الجنوبية، واليابان، والصين، والبرازيل.

ويعترف غراس في سيرته بعمله مجندًا في قوات العاصفة النازية، عندما كان يبلغ من العمر ١٧ عامًا، في أواخر الحرب العالمية الثانية.

وكانت هذه المذكرات قد أثارت جدلاً حادًا وواسعًا في ألمانيا، بسبب اعترافات غراس التي رأى بعض النقاد أنها أتت متأخرة، وقد تم تقديم موعد صدورها الذي كان مقررًا في بداية الشهر الماضي، أسبوعين، وحقق الكتاب نجاحًا كبيرًا في ألمانيا.



مشكلات الدراما العربية في ملتقى التلفازيين العرب

يفتتح الملتقى الثالث للتلفازيين العرب في ١١ نوفمبر/ تشرين الثاني المقبل، بمقر جامعة الدول العربية بالقاهرة، ويستغرق خمسة أيام، يناقش خلالها مشكلات الدراما العربية، وإنتاجها.

ويأتي الملتقى الثالث بعد ١٣ عامًا من توقفه؛ ليعالج مشكلات الإنتاج الدرامي العربي، والمواد التلفازية، بمشاركة عدد كبير من الشركات العامة، والخاصة، بهدف طرح تصورات جديدة حولها.

وصرح إبراهيم أبو ذكري - الأمين العام لاتحاد المنتجين العرب - أن الأهداف الأساسية للملتقى تتلخص في الاهتمام بالأعمال القومية، والموضوعات الاجتماعية المشتركة، والإغراق في المحلية، للوصول إلى العالمية، وتشجيع الإنتاج العربي المشترك، على الصعيدين المالي والفني، ووضع المشروعات القومية التلفازية موضع التنفيذ، والسعي إلى توسيع قاعدة نجوم الصف الأول، في جميع المجالات.

وابرز العناوين التي سيتطرق إليها الملتقى: الإنتاج الدرامي العربي، واحتياجات المجتمع، وأهمية إنشاء مدن الإنتاج الإعلامي، وازدهار الإبداع التلفازي، ودوافع إنشاء عدد من المدن الحرة للإنتاج الإعلامي العربي، في كل من مصر، والأردن، ودبي، وسورية، والفرص التي تقدمها هذه المدن للمنتجين العرب.

وسيركز الملتقى في محور من المحاور على التأثير المتبادل بين الفضائيات الحكومية والخاصة، وضرورة إعادة هيكلة وسائل الإذاعة والتلفاز، كما يعالج في عنوان آخر عوامل النهوض بالمواد التلفازية الموجهة للأطفال.

ويناقش الملتقى أيضا عوامل الإبهار في الفيديو كليب، والثقافة الاستهلاكية، ويتطرق إلى تأثير الثقافة الغربية في الفيديو كليب العربي.

اكتشافات أثرية في سورية

أعلن إريك كوكينيو - مسؤول البعثة الأثرية الفرنسية بسورية - اكتشاف مبنى مزين برسوم متعددة الألوان، يعود إلى نحو تسعة آلاف عام قبل الميلاد، بمنطقة جعدة المغارة، على الضفة الشمالية من نهر الفرات.

وأوضح كوكينيو، الذي يقود منذ ١٥ عامًا، حفريات أثرية في موقع جعدة المغارة، أن جزءًا من هذا المبنى الجماعي يبدو في شكل جمجمة ثور، ويحتفظ بديكور ملون، هو الأقدم بمنطقة الشرق الأوسط، موضحًا أن المبنى، وهو أكبر من المنازل العادية، كان موضع استخدام جماعي على الأرجح، وربما للقرية بأسرها أو لمجموعة.

وأضاف: إن الرسوم الهندسية المتعددة الألوان التي تزين المبنى، سيتم عرضها بمتحف حلب شمال سورية، كما تم اكتشاف كثير من أدوات الصيد، بين رماح وسهام وأدوات منزلية، أغلبها من الصوان في الموقع نفسه.

وكانت البعثة الفرنسية عثرت على قرية نموذجية مبنية من الطين تعود إلى الألف السابع قبل الميلاد.



حالة إنكار تهدد رايس

كتاب «حالة إنكار» الجديد، الذي ألفه الصحفي بوب وودوارد، الحاصل على كثير من الجوائز يهدد بإلحاق الضرر بصورة شخصية وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس، بوصفها مسؤولة تتمتع بالكفاءة والهدوء، وذلك من خلال إثارة شكوك بخصوص أدائها، سواء في منصب مستشارة الأمن القومي، الذي شغلته خلال ولاية بوش الأولى، أو في منصب وزيرة الخارجية.

وقالت فيليس بينيس ـ من معهد دراسات السياسة ـ وهو مركز ليبرالي للأبحاث في واشنطن: اعتقد أنها فقدت بعض قدرتها على النأي بنفسها عن الأخطاء.

وواجهت رايس انتقادات في الآونة الأخيرة لأسلوب معالجتها أزمة برنامجي إيران وكوريا الشمالية النوويين، والأزمة في الشرق الأوسط.

وتعرضت لانتقادات خلال الحرب التي شنتها إسرائيل على لبنان، بسبب قرار الولايات المتحدة عدم الدعوة إلى وقف إطلاق النار على الفور، الذي منح إسرائيل الضوء الأخضر لتواصل الهجمات الجوية.

ويعمل وودوارد محررًا بصحيفة واشنطن بوست، وكان قد ساعد على تغطية فضيحة ووترجيت التي أطاحت بالرئيس الأسبق ريتشارد نيكسون.

ويقول وودوارد في كتابه: «إن جورج تينيت مدير وكالة المخابرات المركزية السابق أطلع رايس خلال اجتماع عقد في ١٠ يوليو عام ٢٠٠١م على أدلة، تشير إلى وجود خطط لشن هجوم وشيك على الولايات المتحدة».

وقالت رايس، التي كانت آنذاك مستشارة بوش لشؤون الأمن القومي في بادئ الأمر: إنها لا تذكر شيئًا عن الاجتماع، لكن شون مكورماك المتحدث باسمها، أكد في وقت لاحق أن الاجتماع عقد، وقال: إن رايس طلبت من مدير وكالة المخابرات المركزية أن يطلع رامسفيلد، وجون أشكروفت وزير العدل في ذلك الوقت على المعلومات نفسها.

ودافع مكورماك عن تضارب إجابات رايس بخصوص الاجتماع قائلاً: إنها لم تشأ مناقشة الأمر قبل التأكد من الحقائق.

وقال ستيفن زونس ـ أستاذ العلوم السياسية بجامعة سان فرانسيسكو: إن هناك رأيًا متشائمًا، هو أن رايس ستكون كبش الفداء المقبل في الإدارة الأمريكية، أو ربما الضحية المقبلة.

يذكر أن وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس، وعلى الرغم من دورها المحوري في حرب العراق، قد نجحت ـ حتى الآن ـ في تفادي انتقادات الرأي العام، التي تنهال على وزير الدفاع دونالد رامسفيلد، وحصلت كثيرًا على أعلى نسب التأييد بين أعضاء إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش.

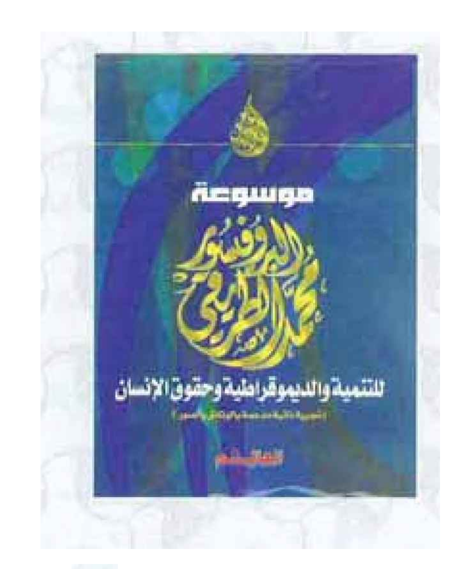
ويرجع معظم الفضل في الشهرة، التي تتمتع بها رايس، إلى وسائل الإعلام، فقد كانت وزيرة الخارجية ضمن أكثر النساء أناقة في قائمة مجلة فانيتي فير، كما سمحت لصحيفة نيويورك تايمز بنشر تقويم لحفلات موسيقية، تقيمها للأصدقاء وتشارك فيها بالعزف ببراعة على البيانو في شقتها السكنية.

وقدمت رايس، المولعة بممارسة الرياضة، نصائح عن التمارين الرياضية في التلفاز، كما يثير وضعها كامرأة عزباء تنبؤات عن خطاب محتملين.









الطريقي، محمد/ موسوعة البروفيسور محمد الطريقي للتنمية والديمقراطية وحقوق الإنسان: تجربة ذاتية مدعّمة بالوثائق والصور - الرياض: العالم للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ، ١١٩٩ص.

أراد المؤلف بهذا العمل أن يقدم حقائق، هي خلاصة تجربته، مدعمة بالوثائق والصور، ومن هذه الحقائق:

- أن القارئ العربي ملّ السير الذاتية، والغيرية، التي تكتب عادة في إطارها الحديث - وبخاصة الغيرية - بأسلوب البطل الأسطوري، الذي لولاه لما وصلت البشرية إلى هذا النضوج المادي، والتقدم التكنولوجي، وسرعة غسيل الأموال!!

- أن الديمقراطية ليست مطلبًا فضفاضًا يناسب كل المجتمعات والشرائح، وأنها ليست أكثر من تعبير عن الحرية، دون تقنين وبلا سقوف - ويا ويلنا من الحرية بلا سقوف - إلا أننا نفهمها من منظور، حق التعبير، وحق الكتابة، وحق النشر.

- أن التنمية لا تكون فعلاً سلطويًا بيد ساسة القرار وصناعه، إنما هي مشاركة قابلة لاستيعاب أفعال الجميع، وهي لا قانون يحكمها، أو حد يحدها، كما أن شموليتها تصل إلى حد التنمية الروحية، فيما هو غير ملموس بماديات الحياة... وهذا هو التعبير الحقيقي عن الاستثمار في الإنسان، وغير ذلك من الحقائق.

واحتوت الموسوعة جزءًا يسيرًا من الصور والوثائق. أما الوثائق فقد اقتضت الضرورة رصدها، بما يتماشى وتقريرات الأحداث في هذه الموسوعة، أما الصور فهي لغة ناطقة؛ بل هي موسوعة صور في موسوعة فكر، فإن خان التعبير فالصورة قد لا تخون!

وأكد المؤلف أن هذه الصفحات ليست سيرة ذاتية، ولا هي بجمع للأعمال الكاملة، فقد انتابها القصور من هذه النواحي، وهو قصور معمود إليه، لأنه لا يوثق لشخص، بل يوثق لقضية، كما أن هناك شيئًا من التكرار، وهذا لا ذنب للقائمين على هذا العمل فيه، لأنه تكرار بهدف التوكيد، وتقتضيه طبيعة المادة والنص، ويسهل - في حين من الأحيان - عمل الباحث في التسلسل، بعيدًا من الاستطراد، كما أن هذه الموسوعة منبعها تجربة ذاتية، هي المنطلق في صدور الأحكام، ورصد الأحداث، وانتقاء النصوص، والوثائق والصور، ولكنها لم تقم على أسس عبثية، بل وضعت بطريقة تخدم القارئ، للتعرف إلى محتوياتها بنمط جديد، وأسلوب شائق يؤدي غرضها.

وقد تضمن أحد فصول هذه الموسوعة ما يتعلق بهندسة الشخصية التنموية، عبر «رجالات» وليس الاقتصار على الشخصيات الواردة فيه من باب الانتقاء،



إنما هو من مرجعية الأسس التي تم اعتمادها في الشكل العام لهذه الموسوعة. وجاء في آخر الموسوعة «كاشف» بقضايا، ومصطلحات، وأعلام تنموية، أو أشكال لأسماء أثرت في مقتضى النص، أراده المؤلف أن يغدو مرجعًا للقضايا وأسلوب تناولها، مما دفعه لأن يشمل هذا «الكاشف» الأرقام (التواريخ)، ليصبح «كاشفًا» لا «كشاف».

طه، عبدالواحد ذنون/ دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي- بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٤م، ٣١٠ص.

يحتوي هذا الكتاب على عدد من الدراسات في تاريخ المغرب الإسلامي وحضارته، ودوره الفاعل في تاريخ الدولة العربية الإسلامية وحضارتها، وكانت الدراسة الأولى عن «استيطان القبائل البربرية في شمال إفريقية قبل الإسلام»، وأعطت الدراسة صورة واضحة لأحوال هذه المنطقة وساكنيها قبيل دخول الإسلام، فتحدثت عن تنظيماتهم الاجتماعية، وسائر قبائلهم، وأوجه نشاطها الاقتصادي، وتعاملها فيما بينها، والديانات التي كانت سائدة في المنطقة لتبيان الحقيقة التاريخية والأرضية، التي تعامل معها الفاتحون العرب.

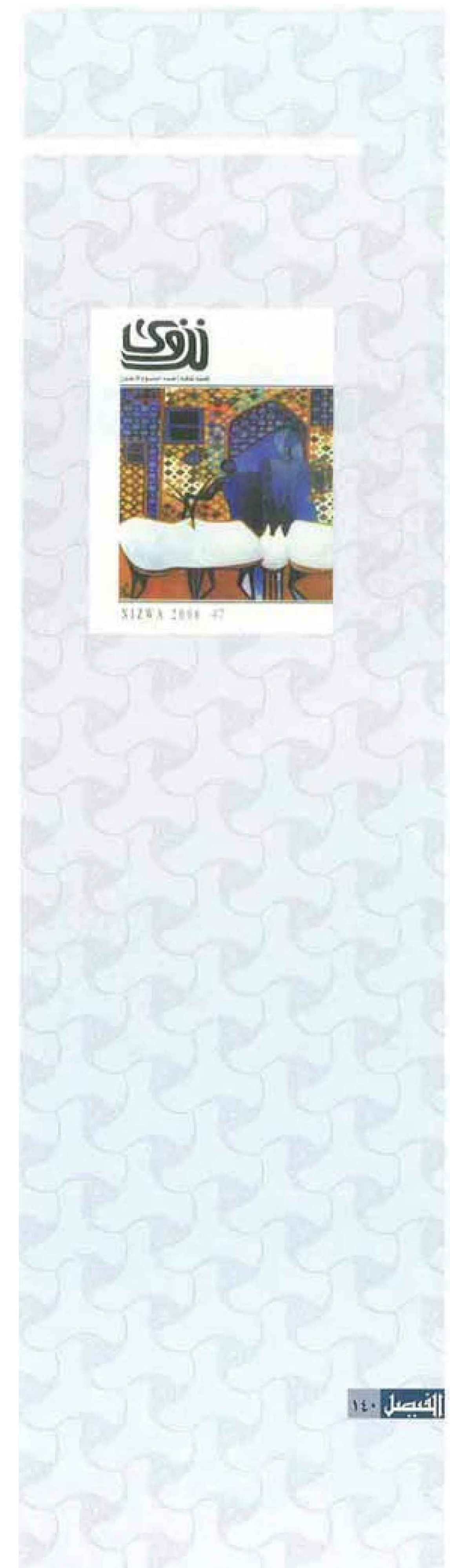
وتناولت الدراسة الثانية «اتجاهات الجهد العسكري العربي - الإسلامي في جبهة المغرب» التي استغرقت أكثر من سبعين عامًا لتحرير المغرب من سيطرة بيزنطة، وقد تم تحديد الطرائق والأساليب التي اتبعها القادة والولاة في سبيل إنجاز هذا التحرير.

وجاءت الدراسة الثالثة عن «دولة بني مدرار في سجلماسة» التي قامت بتأثير الخوارج الصفرية، بقيادة أحد زعماء أسرة بني مدرار، ثم تناولت الدراسة الرابعة «تاريخ وحضارة دولة الأدارسة في تنمية الحضارة العربية في المغرب».

وتناولت الدراسة الخامسة «تاريخ وحضارة دولة بني الأغلب في إفريقية»، والدراسة السادسة «جهود يوسف بن تاشفين في توحيد الغرب الإسلامي»، وجاءت الدراسة السابعة بعنوان «الموحدون: مدخل لدورهم السياسي والحضاري في الغرب الإسلامي».

وختمت هذه الدراسات بثلاثة أبحاث تشير إلى تميز المغرب في الناحية الثقافية والفكرية، وهو ما أشار إليه البحث الثامن عن نصوص محمد بن يوسف الوراق، الذي فقد كتابه عن تاريخ المغرب، وكذلك عن كيفية الاستفادة من موارد أبي عبيد البكري عن تاريخ إفريقية والمغرب، واختتمت هذه الأبحاث ببيان الأثر الذي تركه المشرق الإسلامي في التدوين التاريخي على المغاربة.





نزوى (ع ٤٧، جمادى الآخرة سنة ١٤٢٧هـ/ يوليو ٢٠٠٦م)

مجلة فصلية ثقافية تصدر عن: مؤسسة عُمان للصحافة والنشر والإعلان.

حفل هذا العدد من المجلة بعدد كبير من الموضوعات الثقافية، بدأت بالافتتاحية، بقلم سيف الرحبي، وجاءت بعنوان «موسيقا اليمامة الهاربة من سطوة الهاجرة».

وفي باب الدراسات: رحلة في مخطوط (الدر المنظوم في ذكر محاسن الأمصار والرسوم) للسيد حمود بن أحمد بن سيف البوسعيدي، لمحمد المحروقي، و(براغ قصيدة تختفي) لميلان كونديرا، ترجمة: أمين صالح، و(ذكريات جيمس جويس) لفيليب سوبو، ترجمة: صالح الدّمس، و(قدّاس أسود في الفاتيكان، أو تخريب الرواية العلمية من داخلها) لرافائيل ريغ، ترجمة: حسام الخطيب، وغير ذلك من الدراسات.

وفي مجال الشعر: (من ناداني في الربيع بصوت خفيض) للشاعرة الكورية الجنوبية: راهيدك، ترجمة: زكريا محمد، و(لذة الحياة والشعر) لسيرجي يسينين، ترجمة وتقديم: أحمد بن محمد الرحبي، و(صبابات الصيف) لهلال الحجري، و(الوحشة الساكنة) لفاروق شوشة، و(فرجيل على كرسي الأدب) لحسين القهواجي، و(وقت لم يكن معك قلم) لعماد جنيدي، و(الفرجة) لنجاة علي، و(قصائد) لمروان علي، و(قصيدتان) لنور القحطاني، و(شيطان آخر) لمحمد حجيري، وغير ذلك من القصائد الشعرية.

ومن نصوص العدد: (أنا وإميلي.. مرايا وظلال) للينا الطيبي، و(نصوص بلا شيء) لصموئيل بيكت، ترجمة: حسونة المصباحي، ومراقص المحامي كراي كاوسكي) للكاتب البولندي: فيتولد جومبر وفتش، ترجمة: محمد هاشم عبدالسلام، و(اللعنة عليك يا عراق كم أعشقك!) لصلاح الحمداني، و(قصص قصيرة)، لرسمي أبو علي و(الأشياء الجميلة المكررة والمملة) لحسن أبو سيف، و(بائع الكتب) لهوارد باركر، ترجمة: ربيع مفتاح، وغير ذلك من النصوص. إضافة إلى الأبواب الأخرى: لقاءات، ومسرح، وتشكيل، وسينما.

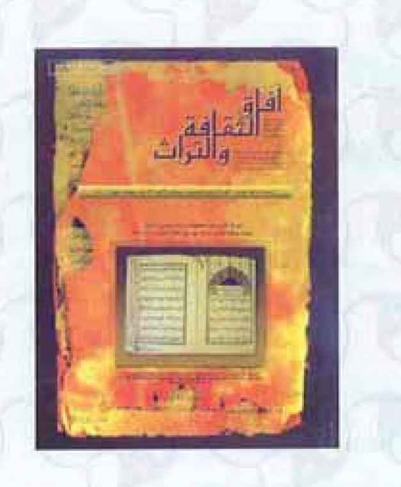
العنوان:

ص.ب: ٨٥٥، الرمز البريدي: ١١٧، الوادي الكبير مسقط ـ سلطنة عمان.

هاتف: ٦٠١٦٠٨

ناسوخ: ٦٩٤٢٥٤

موقع المجلة على الإنترنت: www.nizwa.com



آفاق الثقافة والتراث (س١٤، ع ٥٤، جمادى الآخرة سنة ١٤٢٧هـ/ يوليو/ تموز عام ٢٠٠٦م)

مجلة فصلية ثقافية تراثية تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات، بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

تضمن هذا العدد الجديد من الدورية مجموعة من الموضوعات الثقافية المتنوعة، جاءت الافتتاحية بعنوان (لستِ كأحد من النساء) كتبها مدير التحرير الدكتور عز الدين بن زغيبة.

وجاء في مقالات العدد: (دور الوقف في تنمية البشرية) للدكتور أسامة عبدالمجيد العاني، وقدم الدكتور أبوبكر محمد دراسة وتحليلاً لـ (قصيدة الفتح المبين للسامري الذي يحب المسلمين) للقاضي محمد بن عبدالعزيز الكاليكوتي، كما قدّمت الدكتورة ابتهال عادل الطائي دراسة تاريخية لـ (ملامح من أثر التراث القانوني الرافديني في حضارات الشعوب الأخرى)، وكتب الدكتور الحسن الهلالي عن (الفارابي وتصحيح العلاقة بين النحو والمنطق)، وتناول الدكتور نعمان بوقرة (سيكولوجية الإبداع ومقومات اللسانية والحركية والمعرفية في أدب الطفل)، وجاء مقال الزبير مهداد بعنوان: (الفكر التربوي عند الأطباء المسلمين (البلدي وابن سينا نموذجًا)، وختم مقالات العدد الدكتور طارق فتحي سلطان بمقالة عنوانها: (نشأة الإمارة الغورية ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م).

وفي مجال المقالات العلمية جاء: (نظرة معاصرة في إستراتيجية البحث العلمي: تاريخ علوم الحياة في الحضارة الإسلامية) للدكتور محمد حسن الحمود، و(تطور استغلال المياه في الحضارة الإسلامية) للدكتور عماد محمد ذياب الحفيّظ.

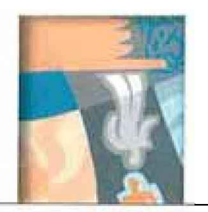
وجاء في ختام العدد (تحقيق المخطوطات) وكان بعنوان (المقالات المسفرة عن دلائل المغفرة) تصنيف: علي بن الشيخ جمال الدين عبدالله الحسيني السمهودي الشافعي، تحقيق بن يطو عبدالرحمن.

العنوان:

دبي ص.ب : ٥٥١٥٦

هاتف: ٢٦٢٤٩٩٩

ناسوخ: ٢٦٩٦٩٥٠ ـ دولة الإمارات العربية المتحدة.





ما معنى اسمك الذي تحمله؟

مصطفى رجب
سوهاج - مصر

تموج المنطقة العربية بأسماء كثيرة، يستحيل حصرها، ويتكرر بعضها جيلاً بعد جيل، ويختص بعضها بزمان دون زمان، أو بمكان دون مكان. وقد شغلت قضية أصول الأسماء ودلالاتها اللغويين والمفكرين من قديم الزمان.

ففي كتاب «أدب الكاتب» لابن قتيبة الدينوري (ج١، ص٦٥)، نجد مبحثًا أسماه ابن قتيبة «أصول أسماء الناس»، شرح فيه دلالات بعض أسماء الأعلام المنقولة عن أسماء لنباتات، مثل: اسم «ثمامة»، وهو اسم عربي قديم معروف، وهو منقول عن الثُمام (بضم الثاء)، وهو شجر ضعيف له خوص، وكذلك اسم «حمزة»، وهو منقول من اسم نبته بقولية طعمها لاذع للسان، ورمانة حامزة: أي فيها حموضة.

وفسر ابن قتيبة أسماء منقولة عن أسماء لطيور، أو حيوانات، مثل سعدانة، وهو من أسماء الحمامة، وحيدرة، وهو من أسماء الأسد، ونهشل، وهو من أسماء الذئب. غير أن أسماء عربية قديمة مثل حيدرة، ونهشل، وسعدانة، لم يعد لها وجود في العربية المعاصرة. وإن كان حمزة لا يزال متداولاً؛ لارتباطه باسم سيدنا حمزة بن عبدالمطلب - سيد الشهداء - رضي الله عنه.

وكذلك الأبشيهي في كتابه «المستطرف في كل فن مستظرف». والقلقشندي في كتابه الشهير «صبح الأعشى»، والسيوطي في «المزهر».

وفي العصور الحديثة اهتم بهذه القضية المستشرق الألماني «أنو ليتمان»، وأمير بقطر، وإبراهيم الفحام. وكلهم تناول معاني الأسماء، وتطور دلالاتها تاريخيًا.

أسماء أصولها فارسية

- شاهين: المعنى الأصلي للكلمة في الفارسية: الصقر. خورشيد: الصقر. نيازي: الصديق. درويش: على باب الله. شيرين: الحلوة. نازك: اللطيفة. إنجي: الجوهرة. بيرم: نوع من القماش الرقيق. جيهان: الدنيا. الخواجة: خواجا تطلق في الفارسية على السيد والتاجر، وقد أطلق المصريون هذه التسمية إبان الاحتلال على أي أجنبي من الغربيين، ولا سيما الذين كانوا يرتدون القبعات. دويدار: من الفارسية «دواة دار» بمعنى صاحب الدواة، وقيل من «دويت دار» بمعنى صانع المحابر. سوزان: بمعنى الحارق، أو الملهب، أو المحترق. مي: الخمر، أو الشراب الصافي. نرمين: لطيف، ناعم. نهاد: خلقة، طبيعة، أصل. يارا: قوة، جراة. هويدا: ظاهر، واضح.

وهناك أسماء دخلها التحريف والإبدال الصوتي عبر الفارسية، (وإن كانت تركية الأصل) مثل: اسم «هانم» الشائع الاستخدام للنساء في ريف مصر، وبخاصة في الصعيد، وأصلها كلمة «خانم»، وهي مؤنث كلمة «خان» بمعنى السيد، أو صاحب السلطة. وقد شاع استخدام كلمة هانم اسمًا علمًا على سيدة بعينها، ثم أصبح يُضاف وصفًا على أية سيدة عريقة النسب، كما يستخدم المذكر منها «خان» كلاحقة صوتية في أسماء شاعت بين العرب، مثل: «بدرخان»، و«طرخان».

أسماء عربية أصولها تركية

- سَهير: اسم أنثى، ونطقها الصحيح يكون بفتح السين، وكسر الهاء، كما كانت تنطقها دائمًا الدكتورة سهير القلماوي، وهي مشتقة من وقت السهر.

- ميرفت: اسم أنثى باللهجة التركية، قيل: إنه مشتق من اسم جبل «مروة» بمكة المكرمة، وقيل: إنه مشتق من «المرود»: الذي يستخدم في تكحيل العينين، وقلب الواو فاءً معروف في اللغة الفارسية والتركية، والنطق بالتاء المربوطة مفتوحة معروف في التركية. ومنه أسماء شاع استخدامها عند العرب، تأثرًا بالتركية، مثل: حشمت، وأصلها «حشمة»،

وجودت، وأصلها «جودة»، ورافت، وأصلها «رأفة».

– إضافة لواحق إلى الأسماء مثل: «جي، لي، دار» في أواخر الأسماء، فمقطع «جي» من اللواحق الصوتية، التي تأتي للدلالة على الصفة مثل: «الحلوجي» أي صانع الحلوى، أو «العربجي» أي صاحب العربة، أو مثل المقطع اللاحق «لي» الذي يأتي للدلالة على موطن الإنسان، أو مكان ولادته. مثل: «الخربوطلي» للدلالة على النسب إلى مدينة «خربوط»، ومثل «الجريتلي» للدلالة على النسب إلى جزيرة «جريت»، أو «كريت». أما اللاحقة «دار» بمعنى صاحب، فقد شاعت في كلمات صارت أعلامًا بعد أن كانت صفات لصاحب مهنة بعينها، مثل: الخازندار «خازن + دار»: أي: أمين المخزن، أو السردار «السر + دار»: أي: أمين السر، أو «الحكمدار»: أي: أمين دار الحكم.

– جاويش: تركية وينطقها العوام شاويش، وهي رتبة من الرتب العسكرية الدنيا. إنجي: لؤلؤة، درة. طوغان: البازي «نوع من الصقور». نازلي: ذات الدلال. خان: لقب أطلق على ملوك المغول والترك الشرقيين، ومعناه شريف، أو سيد مطاع.

أسماء ذات أصول غربية

وقد أثمرت حقبة الاستعمار الغربي للدول العربية والإسلامية تولد أسماء دخلت العربية تأثرًا بما شاع منها عند الأوربيين، على مختلف جنسياتهم. مثل: «وليام»، و«جون»، و«فرانكلين»، و«جوليانا»، و«ميشيل». وأكثر ما تشيع هذه الأسماء عند المسيحيين العرب.

نسبة الأسماء إلى البلاد أو الصناعات

وقد عرف تراثنا العربي القديم ظاهرة اشتقاق الأسماء من الصناعات مثل: «الكسائي»، و«الفراء»، و«الرفاء»، و«الفحام»، وهذه الكلمات يبدأ استعمالها صفات، ثم تنتقل من الوصفية إلى العلمية. ومنها الحموي، والبغدادي، والأصفهاني، وما جرى مجراها، وهو ما ينسب إلى المدن، أو الأقطار، أو الصناعات. ومن العجيب أن تراثنا العربي القديم نقل هذه الخاصية، وهي النسبة إلى البلاد من المشرق العربي إلى المغرب العربي، فرأينا اسم أبي العباس «المرسي»، المنسوب إلى مدينة «مرسية»، و«القرطبي» نسبة إلى مدينة «قرطبة» من بلاد الأندلس. كما عرفت الأسماء في المغرب العربي اللاحقة الصوتية «دون»، ومعناها السيد، سواء جاءت في صدر الكلمة منفصلة عنها «الدون علي» بمعنى السيد علي، أو جاءت في آخرها مثل «خلدون، وزيدون وعبدون».

وقد أسهمت شهرة بعض العلماء في إشهار أسماء قرى صغيرة عاشوا بها، أو مدن صغيرة ولدوا بها، مثل: «الشبلنجي» صاحب «نور الأبصار»، فهو منسوب إلى قرية صغيرة تسمى «شبلّنجة» – بتشديد اللام – من قرى محافظة القليوبية بمصر، ومثل: «البيلاوي» المنسوب إلى مدينة «بيلا» شمال مصر في محافظة كفر الشيخ، أو الشيخ «البيلاوي» المنسوب إلى قرية صغيرة تسمى «بيلاو» تتبع مركز ديروط بمحافظة أسيوط بصعيد مصر.

الكنى الشهيرة وأسبابها

– أبو علي: وهي كنية لكل من اسمه حسن أو حسين، استشعارًا للإمامين الحسن بن علي والحسين بن علي رضي الله عنهم.

– أبو خليل: وهي كنية لمن يسمى إبراهيم؛ لأن إبراهيم عليه السلام عُرف بإبراهيم الخليل.

– أبو الحجاج: وهي كنية لمن يسمى يوسف، نسبة إلى الحجاج بن يوسف الثقفي.

– أبو درش، أو أبو درويش: وهي كنية لكل من يسمى بـ مصطفى، والأصل فيها أن السلطان مصطفى العثماني تنازل عن الحكم في أواسط القرن الحادي عشر الهجري، وانضم إلى طائفة الصوفية، الذين يطلق عليهم بالتركية – نقلاً من الفارسية فيما يبدو – لقب درويش، أي: على الباب، أو على باب الله، بمعنى أنهم لا يملكون شيئًا. ثم صرفت درويش إلى درش تخفيفًا.

– أبو السباع: وهي كنية لمن يسمى بإسماعيل؛ لأن العامية المصرية اعتادت أن تصف الخديوي إسماعيل بأنه «أبو السباع»، ويقصدون بذلك تلك التماثيل التي أقامها الخديوي إسماعيل.